المنظمة العربية للترجمة

جان بريفو
جان فرانسوا سابليرول

المولَّد
دراسة في بناء الألفاظ

ترجمة

خالد جهيمة

توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية

المولَّـد

دراسة في بناء الألفاظ

لجنة اللسانيات والمعاجم:

بسّام بركة (منسّقاً)
حسن حمزة
سعد مصلوح
الطيّب البكّوش
علي أزرياح
سامي عطرجي

المنظمة العربية للترجمة

جان بريفو

جان فرانسوا سابليرول

المولَّد

دراسة في بناء الألفاظ

ترجمة

خالد جهيمة

مراجعة

د. حسن حمزة

الفهرسة أثناء النشر - إعداد المنظمة العربية للترجمة
بريفو، جان
المولّد: دراسة في بناء الألفاظ/ جان بريفو وجان فرانسوا سابليرول؛ ترجمة خالد جهيمة؛ مراجعة حسن حمزة.
190 ص. - (لسانيات ومعاجم)
بيبليوغرافيا: ص 179 - 182.
يشتمل على فهرس.
ISBN 978-9953-0-1834-8
1. اللغة - الاشتقاق. 2. اللغة - الكلمات. أ. العنوان. ب. سابليرول، جان فرانسوا (مؤلف). ج. جهيمة، خالد (مترجم). د. حمزة، حسن (مراجع). هـ. السلسلة.
401.4

Pruvost, Jean et Jean-François Sablayrolles
Les néologismes



المنظمة العربية للترجمة
بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: 5996 - 113
الحمراء - بيروت 2090 1103 - لبنان
هاتف: 753031 - 753024 (9611) / فاكس: 753032 (9611)
e-mail: info@aot.org.lb - http://www.aot.org.lb

توزيع: **مركز دراسات الوحدة العربية**
بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: 6001 - 113
الحمراء - بيروت 2407 2034 - لبنان
تلفون: 750084 - 750085 - 750086 (9611)
برقياً: «مرعربي» - بيروت / فاكس: 750088 (9611)
e-mail: info@caus.org.lb - Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى: بيروت، آب (أغسطس) 2010

المحتويات

مقدمة المترجم

هذا كتاب يحملنا عنوانه مباشرة، ومن دون مقدمات، إلى جدلية الموت والحياة؛ غير أنها في اللغة. وهي جدلية تستدعي تلك التي في حياة الناس ومماتهم، وتوحي بأن اللغة كالكائن الحي في أهم ما فيه: في حياته وموته، وبأن اللغة ترتبط بالاجتماع ارتباطاً لا فكاك منه. وقد ألحَّت اللسانيات إلحاحاً شديداً على هذا الارتباط حين قررت أن اللغة مؤسسة اجتماعية، وأن دراسة لغة من اللغات لا تنفصل عن دراسة المجتمع الذي هي فيه. ولا يكتفي اللسانيون بالقول إن اللغة ليست مجرد أداة لنقل الأفكار والتعبير عن الأغراض والمقاصد، بل يرون أن العلاقة بين الفكر واللغة علاقة لا انفصام لها، وأنه لا فكر بلا لغة، بل قد يمضون إلى أبعدَ من هذا حين يقررون أن لغة القوم لا تعكس رؤيتهم للعالَم فحسب، بل هي التي تحدد هذه الرؤية. وفي اللسانيات الاجتماعية حديث ذو شجون عن صراع اللغات وحروبها وموتها واندثارها، تماماً كما هو الحديث عن صراع البشر وحروبهم وموتهم.

بيد أننا في هذا الكتاب منشغلون بالولادة، أي بالجانب الأكثر إثارة للجدل في ثنائية الموت والحياة. أما الموت فلا حظّ له في هذا الكتاب إلا على سبيل الاستعارة المزدوجة حين يعتبر اعتراف صُنّاع

المعاجم بالمولود الجديد وتسجيله في معاجمهم دفناً له، لأنه صار غيره من مفردات اللغة، فلم يعد في قائمة المولّدات.

الكتاب منشغلٌ بقضية المولّدات؛ فلا حياةَ للغة ولا استمرارَ لها من دون توليد ومن دون مولدات. «إن لغة لا تعرف أي شكل من أشكال التوليد تعتبر لغة ميتة. لذلك لا يمكن الاعتراض على حقيقة مفادها أن تاريخ لغاتنا كلِّها إنما هو، باختصار، تاريخ مولَّداتها». بهذه الشهادة التي يقدمها برنارد كيمادا يبدأ الكتاب في ما يمكن اعتباره إحدى المسلَّمات في اللسانيات المعاصرة.

بيد أن قضية المولَّدات تحتاج إلى وقفة خاصة في العربية للنظر في مصطلح (المولَّد)، وفي موقف العربية من التوليد والمولَّدات.

ليس «المولَّد» مصطلحاً جديداً حملتْه اللسانيات الحديثة إلى العربية، وإنما هو مصطلح عربي شائع تداوله الباحثون في العربية قبل هذه اللسانيات، ومن دون علاقة بها. وبيت القصيد هنا أن مصطلح «المولَّد» الذي يتحدث عنه الكتاب المترجم يختلف في بعض وجوهه عن المصطلح الشائع الذي يقال عنه إنه «المولَّد»؛ فلابدّ إذاً من تدبُّرِ الفارق بينهما كي لا يختلط الأمر على القارئ العربي، فيضع أحد المصطلحَين بإزاء الآخَر. المولَّد الشائع المعروف في التراث «هو اللفظ الذي استعمله الناس قديماً بعد عصر الرواية». هكذا عرَّفه **المعجم الوسيط** الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وهو تعريف يتبناه **المعجم العربي الأساسي** الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، كما تجده تصريحاً أو تلميحاً في جُلّ ما كتب الباحثون العرب المعاصرون. كنت قد توقفت أمام هذه المسألة في مؤتمر أشرفْتُ عليه في مدينة ليون الفرنسية عن التوليد والمولَّدات في العربية تُنشرُ أعماله قريباً، وقلت يومها إن ما تسميه اللسانيات اليوم بالمولَّد ليس كذاك الذي في التراث؛ لأن

الذي يقال عنه إنّه مولَّد بالمعنى الشائع في التراث وفي المعاجم العربية الحديثة وفي كثير من كتابات الباحثين المعاصرين، قد يكون موغلاً في القِدم، وقد يكون مضى على ولادته قرون وقرون. غير أنه يظل، على تقادُم العهد به مولَّداً لا تُنزَع عنه هذه الصفة. يولَد المولَّد فيبقى مولَّداً لأن للتوليد بداية، وليست له نهاية، خلافاً للمولَّد الذي يتحدث عنه هذا الكتاب؛ فـ (المبْلَغ) الذي يعني «المقدار من المال» من المولَّد بالمعنى التراثي، وبهذا الوسْم يَسِمُه **المعجم الوسيط** حين يضع بإزائه (مو) التي تعني أن اللفظَ من المولَّد. وكذلك حال الصوت الذي «يُزجَرُ به الهِرُّ»: (بِس)، و(البِصارة) التي هي «مطبوخ متخذ من جريش الفول والملوخية أو النعناع وبعض الأفاويه»، و(النظرية) التي هي قضية تثبُت بالبرهان»، و(تسمَّعَ الطبيبُ) التي تعني: «فحَصَ المريض بأُذُنه أو بالسمّاعة»، و(البسيمة) و«هي ضربٌ من الحلوى»، وغير هذا كثير؛ فَكُلّ هذه الألفاظ من المولَّد مع أن بعضها ربما يكون عمرُه أكثرَ من ألف عام. هي من المولَّدات لأنها جاءت بعد عصر الرواية، ويُقدَّرُ لها أن تبقى من المولَّدات إلى أبد الآبدين؛ فليس مقدَّراً للمولَّد أن يُسجَّلُ في المعجم العربي، وهو لا يُدفَن - كما يقول برنارد كيمادا - حين يُسجلُه صُنَّاع المعاجم في معاجمهم.

هذا ما يثيره مصطلح (المولَّد). أما موقف العربية منه فمشغول بقضية الفصاحة التي تعني في أصل وضْعِها صفاءَ اللغة وخلوصَها من كلّ غريب. ويُفترَض أن الفصيحَ ما أنتجه فصحاء العرب في عصور الرواية والاحتجاج قبل نهاية القرن الثاني للهجرة. أما بعد هذا التاريخ، فقد اختلطت على العرب لغتهم، كما يقول الزجاجي، لأنهم اختلطوا بغيرهم. وهذا يعني أن لغة العرب قد فسدتْ إلى غير رَجْعة، وأن ما وُلِّد فيها بعد هذا التاريخ ينبغي ألاّ يُكتب له الدخولُ فيها لئلا يختلط الفصيحُ بغيره. ولهذا فإن كبار الشعراء من أمثال بشّار

وأبي نواس وأبي تمام والبحتري والمتنبي لا يُستشهَد بشعرهم في مسائل اللغة لأنهم من المولَّدين. وعلى هذا المبدأ سار صُنَّاعُ المعاجم العربية الذين لا يسجِّلون إلا الفصيح منها، فلا يسجلون إذاً لغةَ عصرِهم، بل لغة عصور الفصاحة والاحتجاج قبل نهاية القرن الثاني للهجرة. ولا يمتاز معجم عن آخر إلا بترتيبه ونقْلِه، أي بحُسْن وضعِه وبِحُسْنِ جَمعِه، لا بما يصفه من لغة عصره.

ينتهي الكتاب المترجَم بباب صغير عنوانه: «اعتراف المعجميين بالمولَّد ودفْنُه في آنٍ معاً». هي خاتمة المطاف إذاً. حين يعترِف صُنَّاعُ المعاجم باللفظ المولَّد ويُسجِّلونه في معاجمهم يكون قد حُكِم عليه بالخروج من جِلْدِه، والانتقال من عالَمه إلى عالم آخر، هو عالَم المفردات اللغوية التي لها الحقوق المواطَنة نفسها، ولا فضلَ فيها للفظٍ على آخَر بالنظر إلى تاريخ انتسابه.

بيد أن عملية النقل هذه لا تمر من دون حساب عسير؛ فللقديم سُلطة وسطوة لا يسمح فيها بالدخول لأي قادم. وإذا كانت المعاجم العربية في مبدأ أمرها أغلقت الباب وأحكمَتْ رِتاجَه أمام أي قادم جديد، فإن معاجم اللغات الأخرى قد لا تفعل فعلَها. غير أنَّ معاجم اللغات الأخرى مع ذلك ليست مستعدة لأن تفتح ذراعيها لأي قادم جديد؛ فالمحافظون في كلّ مكان، والمتصدُّون للتوليد والمولَّدات موجودون عند العرب وعند غيرهم؛ فها هو ذا أحد زعماء المحافظين الفرنسيين يقول قولته الشهيرة مهدداً حين عُرِض إدخال لفظ فرنسي جديد في معجم الأكاديمية الفرنسية: «إنْ دخَلَ خَرَجْتُ».

الصراع بين القديم والمُحْدَث صراع طويل ممتد عبر العصور، وهو إرث يشترك فيه الناس جميعاً، وإنْ بدرجات متفاوتة. مثلُه مثلُ الموت الذي يقول فيه أحد الشعراء العرب:

الموت بـين الخَـلْـقِ مـشـتـرَكُ لا سُـوقـةٌ يـبـقـى ولا مـلِـكُ

وقد فطِن نُقّاد العربية إلى ما في هذا الصراع من مفارَقة حين قالوا إن كلّ قديم كان محدَثاً في زمانه، ومَن كان مُحْدَثاً لا يُؤخذ عنه في زمان صار قديماً وحجةً في زمان لاحق. غير أن هذا التسلسل الطبيعي للأشياء لم يلبث أن توقَّف حين اعتبر علماء العربية أنَّها قد اختلطت إلى غير رجعة، فصارت المولَّدات ـ وهي ما لا بدّ منه في كلّ لغة حية ـ من نصيب العاميات العربية، يستخدمها الناس في حديثهم اليومي، ولكن المعاجم لا تسجلها لأنها لا تقبل بغير الفصيح. بهذا المعنى، كانت العاميات العربية ضمانةً للفصحى، وصَمّامَ أمان لها لأنها كانت تستوعب كلّ ما لم تكن الفصحى قادرةً على قبوله لخروجه عن المنهج الذي ارتضته. وكان على الفصحى أن تختار بين التجدد والتطور باستيعاب الجديد، وبين الجمود والموت بالانقطاع عنه، فسلَكَت سبيلاً ثالثاً حين تركت العلماء يستخدمون الجديد الذي لا بُدَّ منه، ولكنها لم تعترف به، بل جعلتْه من المولَّد، فلم تسجِّلْه في معاجمها، أو تركته للعامية التي لم يكن لها مَن يحرُسها خشيةَ الفساد، فكان من ذلك الازدواجيةُ اللغوية العميقة في العربية، ليس بين فصحاها وعامياتها فحسب، بل بين ما في معاجمها وما في كتب علمائها. يكفي «**مُستدْرَكُ**» دوزي على المعاجم العربية للتدليل على الفارق بين المسارَين.

لكن المعاجم العربية الحديثة وجدت نفسها مضطرة لتفتح أبوابها أمام المولَّدات في محاولة لاستدراك ما فات، واللحاق بالركْب، فأدخلَت بعض هذا المولَّد، ونصَّت أحياناً على أنه مولَّد أو مُحدَثٌ أو مجمعي أو معرَّبٌ أو دخيل؛ فقد أثبتَ **المعجم الوسيط** منذ نصف قرن «الألفاظ الطارئة التي دعت إليها ضرورات التطور، وفرَضها تقدُّمُ الحضارة ورُقِيُّ العلم». أما السابقون في القرن التاسع

عشر وبدايات القرن العشرين كالبستاني في **محيط المحيط**، والشرتوني في **أقرب الموارد** ولويس معلوف في **المنجد** الذين طوروا المعجم العربي، فإنّهم «لم يجرؤوا على أن يسجلوا شيئاً من لغة القرن العشرين. وما كان لهم أن يفعلوا والأمرُ يتطلب سلطة أعظم، وحجة لغوية أقوى» (**الوسيط**، ص 9). وقام المنجد في أول هذا القرن بإصدار معجم جديد جعله للغة «العربية المعاصرة» مما يفرِض أن يكون مفتوحاً لتسجيل المولَّدات وبعضُها كما ذكرنا، عمره قرون وقرون.

يستعرِض الكتاب المترجم مسألة المولَّدات في مختلف وجوهها. ينطلق من نقطة البداية حين يتساءل عن هذه الظاهرة في محاولة محاصرة المفهوم والإحاطة به، إذ هو مرتبط بالبحث في طبيعة اللغة، وفي أصلها، وفي طبيعة الخلق المعجمي فيها. وهذه عملية بالغة التعقيد لأن التوليد قد يكون عملية جماعية أو عملية فردية، وقد يكون عملية واعية مقصودة لذاتها، كما يمكن أن يكون تسلية ومزاحاً، أو مجرد صدفة، أو نتيجة خطأ لغوي، أو زلة لسان. تشير هذه الاحتمالات التي ذكرناها إلى صعوبة ملاحقة الظاهرة نظراً إلى اختلاف الأمكنة والأزمنة والظروف التي أنتجت المولدات؛ فغالباً ما لا يكون المولَّد نتيجة قرار واع صادر عن هيأة رسمية محددة. ويزداد البحث صعوبة حين يرادُ أن يُعرَف متى ظهر المولَّد لأول مرة، ومَن الذي ولَّده، وما الذي كان يعنيه في أثناء ولادته الأولى؟ لا يكتفي البحث في المولدات إذاً بما صار إليه المولَّد، بل يسعى إلى ملاحقته منذ النشأة الأولى إلى اللحظة التي يُدفَن فيها حين يسجله اللغوي في معجمه؛ هذا إنْ سجَّله اللغوي في معجمه.

وليس هذا الأمر على صعوبته إلا وجهاً من وجوه المشكلة؛ فليس المولَّد دائماً لفظاً جديداً يخرج إلى الوجود لواحد من الأسباب

الكثيرة التي ذكرت، فيسجِّلُه صانعُ المعجم أو لا يسجِّلُه، وإنما هو أيضاً كلُّ استخدام للَّفظِ القديم بمعنى جديد، أي كلّ تغيير للعلاقة بين الدالّ والمدلول في العلامة اللغوية. بهذا يصبح المشترَك الدلالي وجهاً من وجوه التوليد، وهو وجه لا شكّ أخفى من الوجه الآخَر الذي يُبتدَع فيه لفظ جديد؛ فالبحث عن الألفاظ الجديدة يظل أسهلَ منالاً وأقربَ متناوَلاً من البحث في تغيُّر المداليل. حين تضاف هذه الصعوبات الجديدة إلى تلك، يبدو البحث في التوليد والمولَّدات طريقاً وعراً محفوفاً بالمصاعب؛ فكيف السبيل للعثور على أول مبتدع للَّفظِ الجديد أو للمعنى الجديد، وعلى الظروف التي ابتُدِع فيها ولا سيما حين يتعلق الأمرُ بخطأ لغوي، أو مُزاح، أو زلة لسان؟

يبحث الكتاب المترجَم في المولَّدات وفي ظروف توليدها. ويبحث الكتاب أيضاً في حركة التوليد في الفرنسية، وفي اتجاهات هذه الحركة في القديم والحديث ما بين مؤيد متحمس، ومعارِض متشدد. من دعوة المتحمسين في القرن السادس عشر إلى التوليد وإلى الإكثار منه في محاولة إغناء الفرنسية في مواجهة اللاتينية ـ يوم كانت اللاتينية لغةَ العلم والثقافة ـ إلى مقاومة كلّ مولَّد في حركات مدّ وجزر دائمة. وهو يمثِّل لحركة التوليد عند الأدباء الفرنسيين في المراحل المختلفة، ويقدِّم كشفاً كاملاً بالطرائق التي تنتهجها الفرنسية في عملية التوليد، ويقترح تصنيفاً جديداً لهذه الطرائق يحاول فيه تجنُّب عثرات التصنيفات السابقة.

هذا عن الكتاب، فماذا عن ترجمته إلى العربية؟

لا ريب في أن العربية في أيامنا بأمسِّ الحاجة إلى التوليد؛ فالجديد في العلوم والفنون والآداب يجري في العالَم خارج حدود الوطن العربي الذي يستورد السِّلَع والمفاهيم والمصطلحات في آن

واحد، وفي شتى المجالات. ترجمة كتاب في المولَّدات إلى العربية تبدو إذاً مسألةً بدَهيةً راهنة في هذا السياق لا تحتاج إلى كثير من التعليل. غير أن الصعوبات التي تثيرها ترجمته إلى العربية تحتاج إلى وقفة قصيرة؛ ففيه منها ما ليس في غيره لأسباب ثلاثة:

أول هذه الأسباب ـ وهو سبب قد يثير كثيراً من الجدل إنْ أُسيءَ فهمُه ـ أن وسائل التوليد في العربية لا تطابق ما هو معروف في الفرنسية بسبب الاختلاف في طبيعة تصاريف اللغتين؛ فالاشتقاق في العربية اشتقاق داخلي في غالب الأحيان، وهو اشتقاق خارجي في الفرنسية. أعني بالاشتقاق الداخلي أن العربية تخلُق الكلمة الجديدة المشتقة خلْقاً آخَر لا يكون على مثال الكلمة المشتق منها؛ فكأنك أمام صانع الفخّار حين يكسر الإناء ويعيد عجْنه ليصنع منه شكلاً جديداً. وقد وُفِّق علماء العربية القدامى حين اختاروا لنوع من أنواع الجمع اسم «جمع التكسير»، وقالوا إنّه سُمِّي كذلك لأن بناء الواحد يُكسَّر، ثمّ يُختارُ للجمع بناء جديد، بخلاف جمع السلامة الذي يظل فيه بناء الواحد سالماً، ثمّ تضاف علامة الجمع في آخره. أما الاشتقاق في الفرنسية فخارجي يأخذ أُسّاً فيبني عليه بإلصاق السوابِق في أوله، واللواحق في آخره.

قلت إن هذا السبب قد يثير كثيراً من الجدل إن أُسيء فهمه، لأن المترجمين يعرفون أن الترجمة فهْمٌ وإفهام، وأن المترجم لا يستبدل كلمات لغةٍ ما بكلمات لغة أخرى، وأن القول بصعوبة الترجمة لاختلاف بنى الكلمات مما يثير السخرية عندهم، وهم محِقّون في هذه السخرية؛ فليست الترجمة بين لغتين متباعدتَين في بناهما الصرفية بأصعبَ منها بين لغتين متقاربتين. هذه فكرةٌ يتمسك بها أصحاب «النظرية اللسانية» الذين يصرفون همهم إلى مقارنة الكلمات والتراكيب بين اللغتين، فتهون الترجمة أو تصعُب بمقدار

اقتراب البنى التصريفية أو ابتعادها. وهذا منهج في الترجمة سقيم؛ لأن المترجم لا يهدِف إلى نقْل كلمات النصّ، بل يهتم بفهم مقاصد المتكلم في اللغة الأولى، ثمّ يعبِّر عن هذه المقاصد في اللغة الثانية على طرائق أهلها في التعبير.

ليست الصعوبة هنا في العمل الترجمي بحدّ ذاته: لا في فهم النصّ ومعرفة مقاصد صاحبه، ولا في التعبير بالعربية عن هذه المقاصد؛ وإنما الصعوبة كامنة في الكلمات الفرنسية المفردة المعزولة التي لا تؤدي رسالة، ولا تنخرط في سياق، وإنما تُقدَّم أمثلةً على التوليد وخصائصه، وطرائقه. مكْمنُ الصعوبة هنا أنه يُطلَب من الناقل أن يضع كلمة مكان كلمة، وأن يمثِّل في العربية لكلمات مبنية على أُسٍّ وسوابق ولواحق، وهو يعرف أن كلمات العربية ليست مبنية على هذا الشكل. ليس المترجم هنا مترجماً بالمعنى الحقيقي للكلمة. إنّه باحث عن كلمات عربية صيغُها صيَغُ الكلمات الفرنسية، وهذا أمر ليس صعباً فحسب، وإنما هو أمر غير ممكن في كثير من الأحيان. لو كانت الترجمة نقلاً للكلمات من لغة إلى لغة لكانت الترجمة محالاً على المستوى النظري لأن كلمات اللغات لا تتساوى.

أما السبب الثاني من أسباب صعوبة الكتاب فهي أن بعض مولَّداته ليس مما استقر في اللغة، وليس يُدرى إن كان سيُكتب له الاستقرار فيها؛ فلا يكاد يوجد في المعاجم الفرنسية وفي دوائر المعارف التي لم تسجِّلْه بعد، وربما لن يكتب له نصيب في التسجيل فيها على الإطلاق. ويقتضي هذا الأمرُ أن يكون المترجم على صلة وثيقة بتطور الفرنسية ليعرف ما جدَّ فيها مما لم يأخذ بعدُ طريقه إلى المعجم.

وهناك أخيراً، وليس آخِراً، سبب ثالث؛ فكثير من هذه

المولَّدات مما يعتمد على التلاعب باللفظ، أو مما تولَّد عن خطأ في النطق بإحلال صوتٍ محلّ صوت آخر، أو بإبدال حرف مكتوب بحرف آخر، أو بقطع الكلمة في غير المكان الذي تُقطع فيه، أو بغير هذه من الوسائل الكثيرة التي يتولد اللفظ الجديدُ فيها من التلاعب باللفظ القديم. وهذه المسائل يصعُب نقلُها، بل يكاد يكون متعذِّراً لأن اللغات لا تتساوى من هذه الناحية، وليس من السهولة أن يجد المترجم في لغته كلمات يمكنها أن تستجيب للتلاعب اللفظي في لغة أخرى، فإن لم يجد فقَدَ المثال كثيراً من قيمته.

لم تكن هذه الصعوبات خافية منذ البداية، قبل بدء العمل. وقد تريَثت المنظمة العربية للترجمة طويلاً قبل الإقدام على ترجمة هذا الكتاب بسبب هذه الصعوبات. وحين دفعَتْه إلى المترجم الشاب كانت تعرف وعورة المهمة. غير أن المترجم، وهو الذي يُعِدُّ في جامعة ليون الفرنسية رسالة دكتوراه في المولَّدات العربية في القرن التاسع عشر يُفترَض أن يناقشها قبل أن تُبصر النور هذه الترجمة، كان مهيَّأً للقيام بهذا العمل رغم صعوباته، لمعرفته الوثيقة بالكتاب وبمجاله، ولمعرفته الواسعة باللغة العربية التي ينقل إليها.

كنا نعرف أن العمل سيكون شاقاً عسيراً في الترجمة وفي المراجعة. غير أن الفائدة المرجوّة منه كانت حافزاً دائماً على الإقدام عليه، فعسى أن ينتفع قرّاء العربية به في وقت هم أحوج ما يكونون فيه إلى التوليد.

أ. د. حسن حمزة

مدير مكتب المعجمية والمصطلحية والترجمة العربية

أستاذ اللسانيات العربية بجامعة ليون 2 الفرنسية

الفصل الأول

المولَّد: مفهوم متعدد

«إن لغة لا تعرف أي شكل من أشكال التوليد تعتبر لغة ميتة لذلك لا يمكن الاعتراض على حقيقة مفادها أن تاريخ لغاتنا كلها إنما هو، باختصار، تاريخ مُولَّداتها».

Bernard Quemada, *Banque de mots*, no. 2 (1971).

يُمكن في مقاربة أولية مبسطة تقديمُ تعريف بسيط وحديث لكلمة نيولوجيزم (néologisme «مولَّد»)، وذلك بإرجاعها إلى أصلها الاشتقاقي حيث نيو (néo) تعني: «جديد»، ولوغوس (logos) تعني: «كلام أو خطاب»، فيكون المُوَلَّد «كلمة جديدة» أو «مَعنى جديداً لكلمة قديمةٍ»، لكننا ندرك في مقاربة ثانية أن عملية خلق وحدات لغوية جديدة أمرٌ أكثرُ تعقيداً ممَّا هو مُتصوَّر، وأن المُولَّد يمثل مفهوماً تصعب الإحاطة به؛ فهو من ناحية، ظاهرة لغوية طبيعية ذات بعد تواصلي، ومسلَّمَة تشهد على حركةِ اللغة ونشاطِها، وعمليةً لا يمكن لكائن من كان أن يتجاهلها؛ لأنه يتضمن حكماً على الاستخدام اللغوي نفسه، وهو من ناحية أخرى تفكير فلسفي في الزمن المنصرم.

أولاً ـ المولَّد ظاهرة طبيعيَة

من البديهيات التي لا يمكن التنَصُّلُ منها أنَّ تواصل النَّاس بعضِهِم ببَعضٍ يَتمّ ابتداءً باستحداث كلماتٍ لتسمية الظواهرِ الكونيةِ المحيطةِ بِهم، والأحاسيسِ والأفكارِ التي تُحَرِّكُهم. هذه الكلماتُ، الَّتِي تمثل النشاطَ الرمزيَّ للإنسان، تُولِّد رغبةً في تَمثيلِ الأشياءِ، والأفكارِ، والأحداثِ بالأصوات والعلاماتِ التي تنوبُ عنها. هذا يعني أنَّه مهما تعددت التأويلات: غيبيةً أو حيويةً أو لغويةً، فإن اللغة تندرج دائماً في عملية لغويةٍ إبداعيةٍ أي توليدية.

1 ـ عمليَّة أوليَّة غير مُعلَّلة

لقد تعاقبت النظريات الفلسفيةُ واللغَويةُ من دون كَلل، على مستوى الإنسانية، لغرض تفسير أصل اللغة والكلمات، وكذلك التأويلاتُ الدينيةُ والأدبية التي كانت مصدر عدد كبير من صور المجاز حول الكلمة إلى الحد الذي مَكَّن مجموعةً من العبارات والأساطير من أن تستقر في كلّ العقول. هذه الأساطير وتلك العبارات تعجز عن توضيح الأمور، ولكنها تشير بوضوح إلى الحيرة التي تَتَمَلَّكُنا في أثناء البحث عن تفسير لأصل اللغة والتوليد المستمر الذي كان سببَ وجودها ومصدرَ حياتها أيضاً.

من بين النصوص الدينية الكبرى التي اهتمت بهذا الموضوع **الكتابُ المقدسُ**؛ حيث نَتَذَكَّر، فما إن خُلقت السماواتُ والأرضُ والنورُ، كما جاء في الآية الخامسة من الإصحاح الأول من سفر التكوين، حتّى صارت تسمية ما خُلِق من عدم واجبةً، لذا فقد «سَمَّى» «اللهُ النورَ نهاراً والظلمةَ دعاها ليلاً». ثمّ يستمرّ التَوليدُ

الإلهي على الفور بتسمية «السماوات» في الآية السابعة. أما في ما يتعلق بالتوليد الإنساني فإننا نجده في الإصحاح الثاني من السِّفر نفسه مَزيَّة لآدم الذي سَمَّى البهائم جميعها، وطيور السماء، وكذلك حيوانات البرية كلها، كما سَمَّى أيضاً «العَظْمة التي أخِذَت من عِظامه واللَّحم الَّذي أخِذَ من لحمه» إنسانةً أي امرأةً.

هنا يظهر من جديد، بعيداً عن النَّص الديني وفي الطرف الآخر من السلسلة، لُغوي القرن الواحد والعشرين مُنتَبِهاً لِمُولَّد مُتَرجِم النصوص الدينية. هذا الأخير، يَجد نفسَه، لكي لا يخون النصَّ الأصْلِيَّ، مُضْطَراً إلى التوليد. لقد استحدث كلمة hommesse «رَجُلَة»[1]، في تأنيث homme «رَجُل» لتَرجَمة Icha مُؤنث Ich لكن المؤسسات لم تعترف بها؛ فهي غير موجودة في معاجمنا الكبرى على الرغم من وجودها، مثلاً، في **الكتاب المقدَّس** الذي راجعه وصححه دايفد مارتان (David Martin)، ونشرته المؤسسة التوراتية الإنجليزية والأجنبية، في سنة 1829.

لا ريب في أن موضوع ميلاد الكلمات الذي نوقش بِولع من ناحية دينية بطرح أسئلة من مثل: الله أم البشر أصل التسميات؟ يعكس بطريقة غير مباشرة عدمَ قدرتنا على إيجاد تفسير بسيط لمصدر الكلمات التي هي أصلُ اللغة؛ فظهور الكلمات لأول مرة، وكذلك قدرتُنا المتجَدِّدةُ على خلق المزيد منها ظلا سؤالين يفتقران إلى إجابات واضحة على الرغم من تعدد التفسيرات الدينية والفرضيات الوراثية لأصل اللغة الإنسانية، كتلك التي اقترحها نعوم تشومسكي

[إن الهوامش المشار اليها بأرقام تسلسلية هي من وضع المترجم، أما تلك المشار إليها بـ (*) فهي من وضع المؤلف].

(1) ليس في المعاجم العربية «رَجُلَةٌ» في تأنيث «رَجُل» كما إنه ليس في المعاجم الفرنسية hommesse في تأنيث homme.

(Naom Chomsky) (1959) عن فطرية اللغة الإنسانية، أو كتلك البحوث الحديثة حول عزل الجين (FOXP2) الذي اكتشف في عام 2001[(2)].

هذا كلّه يُذهب عنا الدهشة عندما نجد هذه النصوص المجازية كلها، أدبيةً أو دينيةً، مليئة بالعبارات العامة والفخمة، كما هو نصّ فيكتور هوغو (Victor Hugo) التالي من كتابه **التأملات** (*Les contemplations*) «لأن الكلمة هي الفعل وأن الفعل هو الله»، أو بالعبارات التنبؤية الساخرة على طريقة دايو كوكيش (Dai-O-Kokush):

«لقد ترك بوذا الكلمات تهرب من فمه الذهبي بطرافة، ومنذ ذلك الحين امتلأت السماء والأرض بالعُلَّيْق الذي يُشَبِّك كلّ شيء». في هذا العُلَّيْق المُرتَبِطِ بالزمان اللغوي تزدهر المُولَّدات على مدى حياة إنسانية كاملة.

2 ـ عملية طبيعية ومستمرة

لا يمكن الهروب، على مستوى الحياة الإنسانية من ظاهرة طبيعية وإنسانية مثلِ التوليد. هذه الظاهرة الهامة لحياة كلّ لغة تخضع، في الواقع، على مَرِّ حياة كاملة إلى مسيرة تعليمية غير واعية تتضمن مراحلَ مختلفةً تضمن لها من دون شكّ التعليمَ والتنظيمَ.

إن الطفل يُوَلِّدُ، بمساعدة وتشجيع أُسَرِي، الكلمات التي تَنقُصه للتعبير عن رغباته. من بين الوسائل التي يلجأ إليها لتحقيق ذلك أسلوبُ المحاكاة؛ فهو يشير إلى الحيوانات والأشياء بتقليده الصَّيحات والضَّوضاء التي تُمَيِّزُها بدءاً بصوت نباح الكلب «هَوْ هَوْ» (oua - oua)، ومُروراً بصوت المُحرِّك في السيارات القديمة «توف

(2) هو الجين المسؤول عن الكلام لدى الإنسان.

توف» (teuf - teuf)، وبصوت المُنَبِّه في سيارات إطفاء الحريق «بين بون» (pin - pon)، وانتهاء بصوت مُوَاء القطط «مياو» (miaou).

أما عن الصِّبيَةِ، فإنّهم يستمتعون أيَّما استمتاع بالتوليد حباً في الظهور، ورغبةً منهم في بناء عالمهم الخاص وتحديده باللغة، وذلك بمخالفتهم المعيار اللغوي نطقاً وكتابةً، وهم بذلك يتدربون دون قصد على معالجة اللغة من أجل إتقانها، ويتم لهم ذلك بالتدرب على طرقها التقليدية في بناء الوحدات المعجمية، كاختزال العبارات المركبة في مثل: from بدلاً من fromage blanc[3] «الجبن الأبيض»، أو التكرار في مثل gogol[4]، أو بخلق عبارات مسكوكة، مثل: péter les plombs[5] «غَضِبَ»، أو (lâcher les élastiques)[6] (لم يُبَالِ) أو عن طريق التركيب كما في noirliquette[7] «سويداء»، وعن طريق زيادة السوابق واللواحق في مثل: démouler[8] «أخرج من القالب»، وأيضاً créteux[9] «على هيئة عرف الديك» بدلاً من Punk[10]، وبوسائل أخرى، مثل: الاقتراضُ المُعدَّلُ أو التعريبُ كما

(3) وهي مركبة من fromage «جبن» وblanc «أبيض».

(4) حيث أعيد ذكر المقطع الأخير من كلمة mongol التي تعني «منغولي».

(5) المركبة من الفعل péter «فرقع» والاسم plomb «الرصاص»؛ كناية عن الغضب.

(6) المكونة من الفعل lâcher «أرخى» والاسم élastique «شريط مطاطي»؛ كناية عن عدم المبالاة.

(7) المبنية من noir «أسود» والكلمة العامية liquette «قميص» للإشارة إلى الفتيات اللاتي يقطنّ مجموعة الجزر الموجودة في أميركا الوسطى والناطق أهلها بالفرنسية (les antilles).

(8) التي تعني أخرج من القالب؛ كناية عن تحطّم. هذا الفعل مركب من سابقة النفي dé والفعل mouler «صب في قالب».

(9) المركبة من crête «عرف الديك» ولاحقة الوصف eux.

(10) حركة فنية واجتماعية ظهرت في سبعينيات القرن العشرين يعمد المنتمون إليها إلى حلق شعر رؤوسهم من الجانبين وترك الوسط منها لتبدو كعرف الديك.

في flasher[11] «أحَبَّ من أول نظرة»، أو الفعل relooquer[12] «غَيَّر في شكله»، وآلية القلب أي قلب مقاطع الكلمة (le verlan) التي لا تخلو من إيحاءات ذات طابع لُعبي كما في [zarbi مقلوب bizarre «غريب أو شاذ»] وceum [مقلوب mec «رجل»].

يضاف إلى كلّ ما سبق ذكره التجديدُ المعجمي ذو العلاقة بمنتجات التقنية الحديثة التي يستثمرها الشباب أكثر من غيرهم؛ لاستحداث أشكال جديدة للتعبير، كما تُظهره العشرة ملايين رسالة «SMS» (الرسائل القصيرة التي تُبعَثُ عبر الهواتف المحمولة) التي تمّ إحصاؤها في سنة 2002، والتي استخدمت فيها أشكال جديدة من الكتابة الفرنسية تقوم على الاختصار. هذه الحدائق الإلكترونية السِّرِّيةُ الغنيةُ بالعبارات المُركَّبة والمُؤقَّتة من دون شكّ، مثل: (mdr اختصاراً لـ mort de rire «ميِّتٌ من الضَّحك» وCtro och اختصاراً لـجملة c'est trop chaud «هذا حرّ شديد» و+ A بدلاً من à plus «في ما بعد»، و2 ,C4 A1 للتعبير عن à un de ces quatre, «نلتقي في أحد هذه الأيام الأربعة»)، تَمُدُّ المعاجمَ الجديدة المخصَّصةَ لتدوين هذه الرسائل القصيرة والتي يقوم على تحريرها الكبارُ بالكلمات الجديدة. بصورة سريعة، لكن هؤلاء إنما يعملون على دفن هذه المُولَّدات، وهي المدعوة دائماً إلى التَّجَدُّد؛ لكي تحافظ على خصائصها السِّرِّية، بإثباتهم إياها في معاجمهم، وبالتالي فأنّهم يُسهمون بطريقة غير مباشرة في عملية تحفيز البحث عن المُولَّد المعبِّر عن الهوية عند المراهقين.

---

(11) أحب من أول نظرة. هذا الفعل مركب من الكلمة المقترضة من الإنجليزية flash «مصباح» ولاحقة الفعل الفرنسية er.

(12) تغيير في الشكل. وهو مركب من الإنجليزية look الشكل الظاهري واللاحقة الفعلية er.

أما الكبار فإن توليدهم يتعلق غالباً بتسمية المخترعات الجديدة، سواء تلك المتعلّقة بالتقدّم المادي أم تلك التي تمس الجانب الفكري والخيالي. من بين هذه المولَّدات التي ظهرت في تسعينيات القرن الماضي: pochothèque «المكتبة التي تبيع كتب الجيب» وbiocarburants «الوَقود الحيوي»، وbédéphiles «مُحِبُّو قراءة الكتب المُصَوَّرة»، أو المولَّد الذي اختفى من الاستعمال اليوم [والذي يعني] tucistes «الشباب الموظفون الذين يقومون بأداء عمل مؤقت ذي منفعة عامة» والمشتقُّ من المختصر TUC (travail d'utilité collective) «عمل ذو منفعة عامة».

ومنها أيضاً تلك الوحدات المعجمية الجديدة التي ظهرت في السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين مثل: المختصر ADSL (مختصر العبارة الإنجليزية asymmetrical digital subscriber line «الاشتراك في الخط الرقمي غير المتناسق» وl'aquazole «مُركَّب من الماء وزيت الغاز»)، وles bobos (البورجوازيون الذين يحيون حياة البوهميين)، وles jeunes pousses ترجمة للمصطلح الإنجليزي (start-up) «الشركات التي ما زالت في طور الإنشاء»، وla quadrithérapie (إشارة إلى مرض نقص المناعة المكتسب)، وle sexeur (متخصص في تحديد جنس الكتاكيت).

ويرجع إلى الكبار أيضاً الفضلُ في التوليد الذي ينتمي إلى عالم الأدب والخيال سواء أتعلق الأمر بـ سيلين (Céline) ولغته المبدعة، وكذلك فريدريك دارد (Frédéric Dard) وريتشارد جوريف (Richard Jorif) أم دييغو ماراني (Diego Marani) في اليوروبانتو (l'europanto) التي مزج فيها بين اللغات الأوروبية المُهمَّة في مقال نشر في صحيفة **المساء المصَوَّر** (*Le soir illustré*) في عام 1997 أثار إعجاب قرائه من قاطني بروكسل: وهذه فرصة لتذكير علماء اللغة

من خلال هذا التركيب ذي الطابع الفكه: Instituto Europanto de Bricopolitik; «المعهد الأوروبي للسياسة» بأن المولَّد يمكن أن يكون عالمياً عن طريق اللغات الاصطناعية، مثلاً، كلغة الإسبرانتو التي اهتم بها أمبرتو إيكو (Umberto Eco) في محاضراته التي قدَّمها في الكوليج دو فرانس (Collège de France) في عام 1998، وهكذا فأياً كانت الأسباب التي تدعو الإنسان إلى التوليد، الضرورةُ أو المُتعةُ أو المثاليةُ، فإنها تمكّنه من أن يُسهم إسهاماً كبيراً في إمداد لغته المعاصرة عبر نشاطه المستمر بالكلمات الجديدة: أما بقاء هذه الكلمات أو اختفاؤها فالأمر متروك فيه للزمن وعوائده.

لكن مع تقدّم العمر، على الرغم من أن ذلك ليس شرطاً، يبدأ في الغالب وبدافع فطري، التَّأسفُ على لغة الأمس، لغة الشباب أو لغة عصر مُعيَّن يُنظر إليها باعتبارها أكثرَ استقراراً. لذا فليس غريباً أن تعمل بعض القوى المنظِّمة على التأثير، نوعاً ما، على تطور اللغة. ذلك يعني أنه يجب على المولَّد أن يثبت كفاءته ليتجاوز تَرَدُدَ وتَحَفُّظَ أولئك الذين يملكون خبرة طويلة باللغة؛ إذ من الطبيعي أن تَعلوَ أصوات مختلفة لتَحتجَّ على ما تعتبره سوءَ استعمال للغة، ولتعلنَ من حين إلى آخر نهاية الفرنسية السليمة التي بدأ ينخرها توليد فوضوي وخانق مُؤَسَّسٌ على الإفراط في الاقتراض من اللغات الأجنبية:

من بين هؤلاء هنري إستيان (Henri Estienne) الذي يهزأ كتابُه **تفوق اللغة الفرنسية** (*De la précellence du langage français*) المنشور سنة 1579، بالمقترضات من الإيطالية في القرن السادس عشر، وكذلك رينيه إيتيامبل (René Etiemble) في كتابه: **أتتكلمون الفرنسية الإنجليزية؟**» (*Parlez-vous françai-glais*) المنشور سنة 1964 والذي ندد فيه بالتعبيرات التي اقترضتها الفرنسية من الإنجليزية في القرن العشرين.

وتقوم التعليقات الصحافية أيضاً، وكذلك المؤسسات والقواميس، باعتبارها انتقائية، بدور المنظِّم، فتعمد إلى تقويم المولَّدات التي تنتجها الحياة اليومية وتوجيهها وتعريفِها واقتراحِ تعديلات لها، بل إنّها لَتعمد أحياناً إلى فرضها بقرارات رسمية.

نخلص إذاً إلى أن التوليد يدخل ضمن مجموعة من ردود الأفعال الطبيعية الصادرة بحسب العمر، وخبرة الشخص والجماعة، والمعبِّرة عن نفسها، وبحسب حيوية المراحل التاريخية المختلفة ونشاطها أيضاً.

ثانياً ـ مُسَلَّمة تشهد على حركة اللغة نفسها

إن على اللغة أن تسمح بخلق كلمات جديدة لكي تستطيع، بحسب عبارة جوزيف فندريس(*) (Joseph Vendryes)، أن تقوم بدورها باعتبارها نشاطاً اجتماعياً يستجيب إلى حاجات التواصل؛ فعلى كلّ لغة، في سبيل متابعة تطور المجتمع، أن تتوفر على آليات توليد خاصة تُمَكِّنها من خَلق وحْداتٍ معجميةٍ جديدةٍ يَفرضها تقدّمُ المعارف والتحولات التقنية. هذا النشاط العام يفرض على معجم اللغة، بالضرورة، أن يقدم لها ما يسميه اللغويون المجموعات المفتوحة (séries ouvertes) التي تجيز التوليد اللغوي المهم والضروري للتجديد المعجمي.

1 ـ دَارة «المجموعات المفتوحة»

يرجع الفضل أساساً إلى أندريه مارتينيه (André Martinet) في التذكير بالتمييز المُهِم بين الأدوات النحوية التي تنتمي إلى مجموعات

(*) Joseph Vendryes, *Le langage: Introduction linguistique à l'histoire* (Paris: La renaissance du livre, 1921).

مُقفَلة (séries fermées) من جهة، وبين الكلمات المعجمية (les mots lexicaux) التي تنتمي إلى المجموعات المفتوحة (séries ouvertes). من جهة أخرى؛ فإن الأولى تنتسب إلى المجموعات المغلقة لأنه يستحيل، على مستوى حياة ما، استحداثُ أدوات عطف جديدة مثلاً، كما لا يمكن تَصوُّرُ استحداثِ ضمائرَ شخصية أخرى. إذاً فَتَطَوُّر المفردات النحوية لا يمكن أن يَتِمَّ إلا على مدى تاريخ طويل للغة. أما اعتبار الثانية جزءاً من المجموعات المفتوحة فسببه أنها تُستحدثُ شيئاً فشيئاً بحسب الحاجات الدائمة وغير المحدودة وغير المتوقعة.

هذا يعني أن الحديث عن التوليد لا يعني في الأساس سوى الكلمات المعجمية، وأن المُولَّدات المذكورة يتم بناؤها، إمّا بفضل وسائل اللغة الصرفية، وهو ما يُسمَّى تقليدياً التوليدَ الشَّكلي، وإما بإضافة معانٍ جديدة إلى كلمات قديمة، وهو الذي يُطلَقُ عليه بعامة التوليدَ الدلاليَّ، وإما باللجوء إلى الاقتراض من لهجة أو من لغة أجنبية أو قديمة. فالأمر يتعلق هنا بأنواع المُولَّد التي سنعمل على إعادة تعريفها وتدقيقها وإعادة تسميتها.

2 ـ اللغة مصمَّمة لإنتاج المولَّد

من المُسَلَّمات التي تفرض نفسها في هذا السياق هي أن كلّ لغة، وبالتالي كلَّ نظام لغوي، مصمّمٌ بطريقة تُمَكِّنه من الخلق المعجمي متسلّحاً بترسانة مُتنوِّعة من الطرق والأنماط الصرفية والدلالية؛ فالتوليد الصرفي يتحقق في أغلب اللغات، كاللغات الهندية الأوروبية مثلاً، مع بعض التفاوت في ما بينها، ببناء صِيَغ وكلمات جديدة عن طريق استخدام مجموعة من الأساليب منها:

إضافة بعض اللواصق إلى كلمات موجودة، كما في هذين

المثالين: déceptif[13] «مُحبِط»، وtraçabilité[14] «تَتَبُعُ آثَارِ شيء ما». التركيب العَامِّي مثل ferme-cueillette[15] «مَزارع يقطف فيها الزبون الغلة بنفسه ثمّ يدفع ثمنها للمزارع» وهناك أيضاً التركيب العلمي في مثل: narcocratie[16] «التَّخْديرية».

المحاكاة أو اللعب على الكلمات، كما في الكلمة الآتية bibeur[17] «مُرِنٌّ» وكذلك في pourriel المجانسة لـ (courriel «رسالة إلكترونية») والتي تعني «رسالة إلكترونية سيئة».

الألعاب الكتابية في مثل A2 M1[18] «عند الساعة الثانية بعد الظهر». كما يلجأ أيضاً إلى التغير الذي يطرأ على وظيفة الكلمة، كما في مثل alias[19] «هُوِيَّة كاذبة». وهكذا يتم استخدام إمكانيات النظام اللغوي الصرفية جَميعِها للتوليد بحيث يتم الانطلاق عموماً من علامة بسيطة لتكوين علامة أكبر.

أما عن التوليد الدلالي الذي يتم بإضافة معنى جديد إلى كلمة قديمة، مثل: (être grave «مريض عقلياً» ne rien capter «عدم فهم

---

(13) حيث أضيفت لاحقة الصفة tif إلى الجذر décep.

(14) تتبع مراحل صناعة منتج ما للوقوف على أصله. وقد تمّ توليد هذا المصطلح بإضافة اللاحقة abilité إلى الجذر trace «أثر».

(15) مركّب من كلمتي ferme «مزرعة» وcueillette «جني الثمار» ويعني نوعاً من المزارع التي تسمح للزبون بأن يقوم هو نفسه بقطف المحاصيل التي يريد شراءها.

(16) المشتق من الكلمة الإغريقية narco «خدر» واللاحقة الاسمية ratie وقد صيغت على غرار démocratie «الديمقراطية».

(17) جهاز يطلق صوتاً رناناً تستخدمه في الغالب العناصر الطبّية للمناداة على بعضها البعض. وهي كلمة مركبة من bib محاكاة لصوت ضعيف رنان ترسله بعض الأجهزة واللاحقة الاسمية eur.

(18) عند الساعة الثانية بعد الظهر حيث اختصرت عبارة à deux heures après midi بالجمع بين الحروف والأرقام.

(19) ظرف بمعنى بعبارة أخرى. صارت اسماً ينتمي إلى المصطلح الحاسوبي.

أي شيء»)[20]، فإنه من الطرق المستخدمة في كلّ اللغات وبخاصة المجاز بوسائله العديدة مثل الاستعارة un boulevard «طريق واسع» une voie royale[21] «طريق ملكي» وأيضاً un ver informatique[22] «دودة حاسوبية» والمجاز المرسل كما في: un pressé de volaille «أكلة تتكون في جزء منها من لحم الدجاج»[23].

إذاً فالنظام اللغوي يجيز استخدام كلمة واحدة بدلالات متعددة. هذه المعاني المتعددة يمكنها أن تَسْتَمِرَّ جَميعُها فلا يسقط منها شيء البتة كما في هذا المثال: «bureau»، «مكتب» الذي يعني في الوقت نفسه المنضدة التي يكتب عليها، والغُرفَة التي تَضمها، وكذلك المبنى الذي يضم عدداً من الغُرَف المخصصة للعمل، وأيضاً فريقاً من المديرين أو المسؤولين، وفي النهاية الملفات الإلكترونية التي توضع على شاشة الحاسوب).

كما يمكن لأحدها أو بعضها أن يسقط بالتدريج، كما هو حال هذا المثال niais «أبْلَه» حيث لم يعد أحد يذكر أنها كان تعني قبلُ «الطائرَ الذي سقط من عشه».

أما بالنسبة إلى طريقة الاختصار التقليدية، كما في (l'ordi) [مختصر ordinateur «حاسوب»]. فإنها تشترك مع وسائل أخرى

---

(20) كانت كلمة grave تعني من بين ما تعني «خطير» فصارت تعني «مريضاً عقلياً»، كما إنَّ كلمة capter كانت تعني «التقَطَ» فصارت تعني «فَهِمَ».

(21) سُمِّي boulevard «طريق واسع» une voix royale «طريق ملكي» بجامع الفخامة في كلّ منهما.

(22) الاستعارة تتعلق هنا بكلمة ver التي تعني «دودة» ثمّ أطلقت على نوع من البرامج الحاسوبية الضارة بجهاز الحاسوب بجامع المضرة في كلّ.

(23) المجاز المرسل هنا علاقته الجزئية حيث نسبت الأكلة كلها إلى الدجاج على الرغم من أنه لا يمثل في الحقيقة سوى جزء منها.

تشبهها لكن قلَّ استخدامها في الماضي، كالترخيم أو النحت كما في هـذه الأمـثـلـة sorbonagre[24] مـن مُـولَّـدَاتِ رابـلـيـه (Rabelais)، وcochonglier، التي ظهرت في بداية القرن الواحد والعشرين، والمنحوتة من كلمتي cochon خنزير وlier (sang) «خنزير بري». ومنها أيضاً alicament[25] إشارة إلى «عنصر ينصح به لما له من فوائد علاجية».

وكذلك مختصرات العبارات مثل: NAC اختصاراً للعبارة التالية: nouveaux animaux de compagnie, exotique التي تعني «حيوانات أنيسة جديدة وغريبة» و ـDVD RAM[26].

إن هذه الأمثلة كلها لتُذَكِّر بمُسَلَّمَةٍ مفادها أن كلّ اللغات تسمح باستخدام وسائل توليدية تقوم على اختصار الوحدات اللغوية الطويلة حرصاً منها على مبدأ الاقتصاد اللغوي.

وأخيراً المقترضات التي تلجأ إليها كلُ اللغات مع اختلاف في درجة قبولها من لغة إلى أخرى؛ ذلك لأن هذا القبول يعتمد على السياق التاريخي، وعلى الخصائص الصوتية للغات المقترِضة. (bimbo من الإسبانية وتعني «فتاة جذابة»، وmektoub من العربية «مكتوب»).

إذاً فمن الطبيعي أن يترتب على التواصل بين اللغات وما يصاحبه من تبادل منتجات وأفكار، استقرارُ مجموعة من الكلمات

---

(24) من Sorbon (ne) «الجامعة المعروفة» و(agre) on «حمار الوحش».

(25) التي تجمع بين aliment «غذاء» و(médi) cament «علاج».

(26) اختزالاً لهذين المصطلحين الإنجليزيين المركبين: Digital Video Disc «شريط مرئي رقمي وRandom Access Memory «ذاكرة الحاسوب الحية».

التي تُعَبِّر عن هذه المنتجات والأفكار بدرجات متفاوتة من القوة أو الانبهار أو الاحتقار: (panini[27] «فطيرة خبز إيطالية»، glasnost[28] «الشفافية».

3 ـ خيارات متعددة

نَذكر من جهة أخرى أن اختيار تسمية ما ليس محدداً مسبقاً، فالتسمية تظل حرة لأنها تتعلق بوجهة النظر المتبناة، وبوضع الشخص المُوَلِّد، وكذلك بالمستوى اللغوي المراد. وهي أمور تتم عن طريق آليات تُجيزها اللغة. هذه الآليات نفسها هي التي تمنح المُولَّدات نكهَتَها وتنَوُّعَهَا، وهكذا فإن كلمة مثل moineau (دُوريّ) قد أطلقت على نوع من العصافير يشبه راهباً (moine) بديناً ذا حجم صغير، وكذلك فإن كلمتي huppe «هدهد»، وrouge-gorge «أبو الحناء» أطلقتا لوجود خاصية فزيولوجية [هي طرَّة الأول وحمرة الثاني] أما في coucou «الوقواق») فقد روعي صوته في تسميته.

لكننا نجد في مستوى لغوي آخر أن كلمة piaf هي التي اختيرت تسمية [لنوع من عصافير الدوري] قياساً على piaffer «هَمَرَ»[29].

والأمر نفسه يمكن أن يتكرر مع كلمتي clavardage وbavardoir اللتين يمكن أن يفضلهما المتصفح للشبكة العنكبوتية على chat «الكتابة المباشرة عبر الإنترنت»، وhatroom، «المكان المخصص لهذا النوع من التواصل». وهناك أيضاً كلمة l'apache التي دخلت الاستخدام اللغوي منذ عام 1902 بمعنى مجرم التي تجد صدى لها في

(27) مقترضة من الإيطالية.

(28) مقترضة من الروسية.

(29) للحصان، ضرب الأرض بقائمتيه الأماميتين.

كلمة sauvageon التي ظهرت في بداية القرن التالي. هذا يعني أن كلّ شخص يمتلك القدرة اللغوية التي تُكتَسب بالتعلُم غيرِ الواعي للغة، ويَعرف كيف يستفيد من الشفافية في ما يتعلق بعملها، يَستطيع أن يُحدث كلمات جديدةً بفضل آليات الإبداع المعجمي الموجودة في النظام اللغوي الذي أُشْرِبَهُ.

وهذا ما يقوله كارل نيروب (Karl Nyrop)، في كتابه **النحو التاريخي للغة الفرنسية**، وهو مُحِقٌ في ما يقول، «كلّ الناس يمكنهم خلق كلمات جديدة، يستوي في ذلك العالم والجاهل، والمُجْتَهِد والكسول، والمُنَظِّر والمُمَارِس».

ويضيف لويس غيلبيرت (Louis Guilbert)، بحقّ أيضاً، في المقال الذي خصصه للتوليد(*)، إن الإبداع اللغوي هو في النهاية «الشيء الأكثر اشتراكاً في العالم».

ثالثاً ـ الحكم على المولَّد

1 ـ مطاردة المولَّد واصطياده عبر الزمن

بما أن المولد يكشف عن تغير إرادي أو لاإرادي لمجرى الوجود العادي، فإنه يجد نفسه ملاحَقاً في بعض الأحيان من قَبلِ أن يُولَد رسمياً، وذلك عندما يكون المجتمع في سبيل البحث عن تسمية ملائمة، وأحياناً في أثناء هذه الولادة نفسها، وبخاصة بعد ظهوره في وسائل الإعلام المختلفة، أو بعد هذه الولادة حيث يبدأ المبنى أو المعنى الجديد في أخذ مكانه في اللغة بعد مروره من دون ملاحظته في أثناء ظهوره أول مرة.

فمن المُوَلَّد الملاحَق قبل ميلاده الرسمي تسميةُ الأحزاب

(*) *Grand larousse de la langue française*, 1975.

السياسية. ومنها على سبيل المثال «البيت الأزرق» اسماً للحزب الجديد لتيار يمين الوسط الذي كان محل سخرية فاستبعد ليحلّ مكانه (l'Union pour un mouvement populaire) (UMP) «الاتحاد من أجل حركة شعبية» الذي خضع بدوره للتصويت في 17 تشرين الثاني/ نوفمبر 2000 منافساً لاسم آخرَ هو l'Union populaire «الاتحاد الشعبي».

إن رغبة أي شركة أو مؤسسة أو منتَج أو حركة في تسمية نفسها إنما يأتي من رغبتها في أن تستقر في الأذهان بصورة دائمة. وهكذا فإن المولَّد المُختار يَقومُ مَقامَ شهادة ميلاد رسمية لهذه المُسمَّيات: (هذا فقد جاء في أحد عناوين صحيفة (*Le Monde*, 3/10/2002) «لقد سَمى الثوار أنفسهم الحركة الوطنية لساحل العاج»).

أما في ما يتعلق بالمولَّد الذي يتم فَرضُه من أول مرة أي منذ ولادته، فإن من أمثلته المولَّدَ الدِلاليَ sauvageon «مجرم» الذي استحق بسببه جان بيار شوفينمون (Jean-Pierre Chevènement) وزير الداخلية السابق الذي أدخله إلى النقاش العام، بحسب ما كتبه لوك روزنزويغ (Luc Rosenzweig) في صحيفة **اللومند** (*Le Monde*, 14/1/ 2001)، «طُوفاناً من السخرية»، ويستمرّ الكاتب في تعليقه الساخر حول الكلمة نفسها قائلاً: «في ما بين العبارة التي يغلب عليها طابع علماء الاجتماع «الشباب الَمَوْلودون في أسر مُهاجِرة» ومقلوب الكلمات المستخدم في الأوساط المعنية [لتسمية هؤلاء الشباب] مثل reubeu[30] [مقلوب arabe أي «عربي»] renoi[31] [مقلوب noire أي «أسود»] يجب التوصل إلى إيجاد شيء آخر قبل أن يتحول sauvageons (مجرمون) إلى «أطفال مريم».

(30) إشارة إلى الفرنسيين ذوي الأصل العربي.

(31) إشارة إلى الفرنسيين ذوي الأصول الأفريقية.

لعلَّ من العلامات الواضحة للمولَّد الحديثِ (أي المولَّد الأصيل) هي قدرته على أن يكون موضوعاً دائماً للتساؤلات المصحوبة في الغالب ببعض الاقتراحات.

يبقى في النهاية المولَّدُ الذي يخضع للمحاكمة **بعد ولادته**. هذا النوع من المولَّد هو ذلك الذي يظهر في الماضي، ثمّ تعاد مناقشته أو يُرَدُّ على سبيل المعاندة في الحاضر؛ فنحن إذاً أقربُ إلى الرُّقية، جائزةً أو غيرَ مُهِمَّة التي تنطق ضدّ ما اعتُبِر، بطريقة محافظة أو حصيفة، بَربريةً. ومن هذا القبيل اعتراض كاتب مثل جاك كابلوفيتشي (Jacques Capelovici) في مقاله: «الفرنسية الجديدة» الذي كتبه في صحيفة (*Le Figaro* 18/5/1993) على استخدام كلمة achalandé بالمعنى المنتشر بين الناس اليوم، في حديث أكثرهم عن محل تجاري مليء بالبضاعة بدلاً من معناها الأصلي: «محل تجاري له زبائن كُثْر» les chalands. إذاً فالتغير الدِّلالِيُ ذو الصِّبغة التوليدية الذي استقر في اللغة في صمت ولكن بقوة والذي يعتبر في نظر معارضيه خَطَأً، يُوقظ الإحساس بالحنين عند أولئك الذين يرغبون في العودة إلى لغة الماضي؛ تلك اللغة التي يعتبرونها معياراً تقليدياً ينبغي عدم تَجَاوُزِه.

2 ـ الأماكن المفضلة للتعليق على المولَّد

توجد أماكن مفضّلة لاختبار وتحليل ومناقشة المولَّد بل استبعاده أيضاً، وذلك بحسب اللحظة والعمل ومزاج وطبع المعلِّقين. من بينها الصحافة والمعاجم والأدب والمؤسسات التي تمثل قدراً كبيراً من السلطات حيث يَستدعي المولَّد، في حركة مفيدة للغة، تَدخلَ عددٍ من المستشارين الحكماء، وقدراً مساوياً من المتملِّقِين والمتَخَلِّفين.

أ ـ الصحافة المقروءة والمسموعة

تُعتَبر الصحافة المقروءة والمسموعة، بوجودها في قلب الأحداث، المكانَ المفضل للنقاش؛ لذا فلا غرابة في أن يظهر فيها قَدْر كبير من المولَّدات التي تستعدّ لأخذ مكانها في معجم اللغة، وأن ينتشر فيها عدد كبير من المولَّد الذي تنتجه أحداث الساعة. وهكذا فمن الطبيعي أن تُعِير برامجُ إذاعيةٌ، كالتعليق الذي يقدمه آلان راي (Alain Rey) في إذاعة فرنسا الدولية (France Inter)، ومقالاتٌ وملاحظاتٌ لغوية، كتلك التي يكتبها روبير سوليه (Robert Solé) وبيرتراند بوارو دولبيش (Bertrand Poirot-Delpech) في صحيفة **اللوموند**، اهتماماً كبيراً بالمولَّد، فالأخير، وهو يمثل الصحافة والأكاديمية الفرنسية معاً، لا يفوّت فرصة أبداً ليغربل المُولَّد الجامع للحسن والسيئ في رأيه: «يقع في اللغة كما يقع في المعاملات المالية أن تَطرُدَ، العُملةُ الزائفةُ العُملةَ السليمةَ وأن تَظل العُملَةُ الباطلةُ مُتداوَلةَ بين الناس؛ لذا يجب أن نُسَلِط الضوء على الكلمات الجديدة، كلّ أسبوع»(*).

ب ـ المعاجم

تقوم المعاجم، ورقيةً كانت أو إلكترونيةً، مقامَ الحَكَم لدى كلّ متكلم لغة، وذلك بفضل وجودها الدائم وجودتها المعترف بها؛ الأمر الذي تدعمه الألعاب الإذاعية والتلفزيونية العديدة القائمة على الكلمات. كما آل إلى المعجميّين (حراسة التوليد) (وهي نفسها عبارة مولَّدة)، وما يترتب عليها من مهمة دقيقة تتمثل في اختيار الكلمات الجديدة التي ستمنحها مَزِيَّة الانضمام إلى أعمدة المعاجم. أمَّا عمل أولئك الذين أوكلت إليهم مهمة التجديد الدائم للمعاجم التاريخية،

(*) *Le Monde* (13 mai 1998).

مثل **لاروس المصور** (*Larousse illustré*)، فإنه ليس من السِّرِ في شيء؛ ذلك لأن الجمهور والصحافة ينتظرون مع بداية كلّ سنة جديدة في قراءة محكمة مجموعَ الكلمات التي حظيت بالاختيار. فها هو روبير سوليه الذي يكتب تعليقات الوسيط في صحيفة **اللوموند**، يذكر ـ بعد أن كان قد وصف من قبلُ صحيفة **اللوموند** بأنها «مصنع كلمات»، وأن «قرّاءها الأكثرَ انتباهاً من غيرهم هم مؤلّفو المعاجم الذين يدقّقون بالتفصيل في إنتاجها اليومي»(*) ـ أن هيلين أوسمين فلورون (Hélène Houssemaine-Florent)، مسؤولةَ «ملاحظة المولَّد» التي تُغَذي قاعدة بيانات حاسوبية في مؤسسة لاروس، قد أحصت في سنة 1998 وحدها 2194 مولَّداً، كما ذكرت ميشلين سومان (Micheline Sommant) التي أشرفت في فترة معينة على قسم اللغة الفرنسية في مؤسسة لاروس من جهة أخرى في مؤتمر خُصِّص للتجديد اللغوي(**)، أن قسم التوليد يُرَشِّح إلى اللجنة اللغوية كلّ سنة حوالى 300 وحدة لغوية لتَختار منها ما يقرب من مئة كلمة جديدة تدخل الطبعة السنوية الجديدة لمعجم **لاروس**.

أما ماري هيلين دريفو (Marie-Hélène Drivaux)، مديرة النشر في مؤسسة روبير (Robert)، فقد أشارت في الصحافة في عام 2002 إلى وجود فريق من المُوَثِّقين يَجمع ويُحَرِّر باستمرار موَادَّ لغويةً يُختار منها ما يقرب من مئة كلمة تضاف إلى الطبعة الجديدة لـ **معجم روبير الصغير** (*le Petit Robert*).

من بين المصادر التي يعتمد عليها مؤلّفو المعاجم عند اختيارهم الكلماتِ الجديدةَ التي سيضيفونها إليها، الحياةُ اليومية باعتبارها مَعِيناً

(*) *Le Monde* (18 janvier 1999).

(**) Jean-François Sablayrolles, *L'innovation lexicale* (Paris: H. Champion, 2003).

لا ينضَب من المولَّد مثل bioterrorisme[32] «الإرهاب البيولوجي»، وأيضاً covoiturage[33] «تشاطر المركبات» التي ظهرت إبان إضرابات سنة 1995، وchimiquier «سفينة لنقل المواد الكيميائية» التي عرفت بعد غرق حاملة النفط إريكا (Erika)، من دون أن ننسى الإشارة إلى موضوعين من بين مجموعة أخرى من المواضيع، هما: تأنيث أسماء أصحاب المهن التي لم تكن مؤنثة مثل ingénieure «مهندسة»، والنشاط الحاسوبي الذي قدَّم لنا من بين ما قدَّم الفعل double-cliquer[34] (نقَّرَ) [أي نقر مرتين].

مما يمكن ذكره في هذا السياق أيضاً أن المعجميين يخضعون أثناء كلّ عودة مدرسية إلى مقارنات دقيقة في ما بينهم. يقوم بها بعض المهتمين؛ كتلك التي قام بها آلان سالس[*] (Alain Salles) ولاحظ فيها أن «الكلمة الوحيدة التي دخلت المعاجم الثلاثة[35] في الوقت نفسه هي الفعل judiciariser «لجأ إلى القضاء».

لكن هذه النظرة إلى المعجمي الحَكَم ليست حديثة في الواقع؛ فها هو ألفريد دو موسيه (Alfred de Musset) يشير في **رسائل ديبوي وكوتون** (*Lettres de Dupuis et Cotont*) (1836) إلى أن بواست (Boiste)، مؤلِّفَ **المعجم العالمي للفرنسية** (*Dictionnaire universel du français*) الذي ظهر في عام 1800، كان «رجلاً ذكياً ومتسامحاً مع المولَّد».

---

(32) المركبة من كلمة terrorisme «إرهاب» والسابقة bio «حيوي»، إشارة إلى النشاط الإرهابي القائم على استخدام الأسلحة البيولوجية.

(33) المركبة من السابقة co الدالة على الاشتراك وكلمة voiture «سيارة» واللاحقة الاسمية age والتي تعني «تنقل مجموعة من الأشخاص لأداء أعمالهم في سيارة واحدة».

(34) مشتق من الاسم double-clique أي «النقر مرتين».

(*) *Le Monde* (4 Septembre 2001).

(35) يقصد بالمعاجم الثلاثة: **روبير الصغير، ولاروس الصغير، وهاشيت.**

ج ـ الأدب

يعتبر الأدب مكاناً ملتبِسا للتوليد حيث يظهر من جهة، عددٌ هائل من المولَّد، على الرغم من أنه في الكثير الغالب لا يدوم، في لغة المؤلّف أو في الخطاب، بحسب علم اللغة، كما إنه يمثل من ناحية أخرى ملجأً ترتاده السلطات لتبحث فيه عن الاستخدام الفصيح لتُثْبته، وبخاصة في المعاجم؛ فعلى هذا المنوال يتم اختيار الشواهدِ المَنُوطِ بها بيان الاستخدام السليم للُغة في تردُّدٍ بين البحث عن الحدود الدلالية للكلمة وبين الإضافة المتميزة لكاتب مؤثر.

يقول موريس باري (Maurice Barrès) في اندهاش غير متصنع في: ((Mes cahiers, t. 7 (1908)): «لقد أثبتت لجنة المعجم كلمة déraciner «اجْتَثَّ» بالمعنى الذي أعطيته لها» هذا يعني أنه راضٍ عن كلمة déracinés (مجتَثُّون) التي ظهرت في 1987.

فالمُولَّد الأدبي باعتبار طبيعته الإيحائية، له علاقة بأسلوب المؤلِّف، ذلك لأنه مُنتَج فردي يظهر في ظروف معينة، وبالتالي بالنصّ الذي وقع عليه الاختيار؛ إذاً فمن الطبيعي أن كلماتٍ مثل le pianocktail[36]، وla gondolance[37] «تـقَـوُّس» le suppôt de satin «خادم الشيطان» التي استحدثها بوريس فيان (Boris Vian) لم تدخل اللغة، مثلها في ذلك مثل les brigailles mortiffiees وlancebregotz التي ولدها رابليه مُسَمَيات للوجبات الخمسين التي قدمت للنساء المصابيح في بلاد المصابيح (Les Lanternois). فهذا كلّه وُلِّدَ على سبيل المزاح.

والأمر نفسه يتكرر مع ليون بول فارغ (Léon-Paul Fargue)؛

---

(36) كلمة منحوتة من piano «بيانو» وcocktail «كوكتيل»؛ خليط من عدة عصائر.

(37) كلمة مشتقة من gondoler «تَقوَّس».

فهذا الأخير عندما ولَّد الوحدات المعجمية التاليةَ: moulinguer وfornidre وfulpager le malin، لم يكن ينوي، في الحقيقة، إدخالَها في المعاجم العامة .من بين هؤلاء أيضاً فريدريك دارد (Frédric Dard) الذي استحدث أكثر من 20000 مولَّد تمَكَّن أَفضلُها من الانضمام إلى معجم سان أنتونيو (San Antonio) (1998)؛ فإن الأمر يتعلق هنا، بحسب عبارة الكاتب نفسه، ببعض الهذيان الذي وُضع في خدمة التعبير الحُرِّ والإرادي والمبتكر، وذي الحساسية الخاصة، حساسية المؤلّف.

يتميز تاريخ الأدب أيضاً، كما سنثبت في مكان آخر، بالمواقف الفردية والجماعية تجاه التوليد. فنحن نتذكر في هذا السياق أنه على الرغم من أن كتاب **الثريا**[38] (*La pléiade*) قد دعوا في القرن السادس عشر الميلادي إلى استخدامه لإثراء اللغة. فإن كُتَّاب العصر الكلاسيكي كانوا يشمئزون منه، متَّبِعين في ذلك نصائح ماليرب (Malherbe). أما الرومانسيون فقد أعلنوا الثورة على المعاجم، بحسب عبارة فيكتور هوغو (Victor Hugo) الشهيرة، ففتحوا باب المفردات لِكُلّ المؤثرات. لكن هذا لم يمنع من ناحية أخرى، فيكتور هوغو نفسَه من أن يُغَنِّي لحن الأسف والحزن بتصريحه الواضح في **المراقب الأدبي** *(Le conservateur littéraire)* (مجلد 1، 1826) بأن «التوليد ليس إلا علاجاً بائساً للعجز».

أما القرن العشرون فقد عرف فيه المولَّد الأدبي ثورة إيحائية معترفاً بها، وذلك بفضل السرياليين وبعض الكتاب المبدعين مثل

---

(38) اسم تَسمّى به سبعة شعراء عاشوا في القرن السادس عشر وتحلقوا حول بيار رونسار (Pierre Ronsard)، ويواكيم دو بلاي (Joachim Du Bellay) لنشر الفرنسية والدفاع عنها.

سيلين (Céline)، وبوريس فيان (Boris Vian)، وهنري ميشو (Henri Michaux)، وريتشارد جوريف (Richard Jorif) وآخرين، وبفضل الأدب الشعبي الموهوب مُمَثلاً في سلسلة **سان أنتونيو** (*San Antonio*) التي ظهرت في سنة 1948 والتي بيع منها مئتان وعشرون مليون نسخة، كما لا ننسى أثر تنامي أدب الخيال العلمي، والغناء (بيار بيريه (Pierre Perret)، آلان سوشون (Alain Souchon)) والصحافة الساخرة في ذلك، وهو ما ورثته، وإن من طريق غير مباشر، اللغةُ المستخدمةُ في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين التي تبدو أكثر حُرِّية ونشاطاً، وبخاصة في ما يتعلق بآليات الإبداع والخلق فيها.

د ـ المؤسسات الرسمية

تقوم هذه المؤسسات، غيرُ المعروفة في بعض الأحيان، بدور مهم ونشيط في الضبط والاقتراح على الرغم من ممارستها له في الكثير الغالب بحذر واحتراس. تُذكِّر هنرييت والتر(*) (Henriette Walter) في هذا السياق بأن «فرنسا ربما تكون الدولة الوحيدة في العالم التي تخضع فيها اللغة لسياسة رسمية يشرف عليها مكتب رئيس الوزراء» فالمجلس الأعلى للغة الفرنسية يتبعه هو مباشرة».

ومن بين المؤسسات المختلفة التي بدأت تَتَأسَّس وتَتكيَّف في هذا الإطار، المجلسُ الأعلى للدفاع عن اللغة الفرنسية وانتشارها الذي تأسس في سنة 1966، وقد كان يَتبع مكتب رئيس الوزراء جورج بومبيدو (Georges Pompidou)، وفي السنة التالية وُلِد المجلس الدولي للغة الفرنسية (CILF) برعاية كلّ من رئيس الوزراء، والسكرتير الدائم للأكاديمية الفرنسية. هذا المجلس ما زال يعمل

(*) *Lire,* no. 294 (avril 2001).

بنشاط إلى يوم الناس هذا. أما في سنة 1989 فقد ظهرت، بعد إجراء بعض التعديلات، في الوقت نفسه مؤسستان اثنتان هما: المجلس الأعلى للغة الفرنسية والمفوضية العامة للغة الفرنسية. التي أسندت إليها تحديداً مهمةُ تَمكين «الفرنسية من امتلاك المصطلحات التي تسمح لها بتسمية الحقائق المعاصرة».

ومع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين وضَع لغويان معروفان عالمياً وبارزان في علم المعجم وتاريخ اللغة الفرنسية، هما برنارد كيمادا (Bernard Quemada) وبرنارد سيركيغليني (Bernard Cerquiglini)، مواهبَهما في خدمة سياسة لغوية أساسها التفكيرُ المستمر الدائر حول التوليد والتجديد لدراسة المصطلحات الجديدة، وبخاصة الإنجليزية منها، تلك التي بدأت تتدفق على عالم الشركات؛ فأصدر جاك شابان دولماس (Jacques Chaban-Delmas) سنة 1970 مرسوماً يقضي بتكوين اللجان الوزارية للمصطلح؛ لغرض إثراء اللغة الفرنسية وإعدادِ قوائمَ بالمصطلحات الفرنسية التي ينبغي فرضُها في النصوص الإدارية، ومنها: logiciel «برنامج حاسوب» (1970)، وpuce électronique «بطاقة برقاقة إلكترونية» (1980)، وbaladeur «مسجل صغير مخصص لقراءة الأسطوانات الممغنطة» (1983)، وmercatique «التسويق» (1987). بعض هذه المصطلحات وُلِد داخل هذه اللجان، وبعضها الآخر اعترفت هي به رسمياً.

هناك أيضاً مجلس اللغة العلمية الذي ظهر للوجود غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية. هذا المجلس تأسس سنة 1953 برئاسة لويس دو بروغلي (Louis de Broglie)، وجورج دوهاميل (Georges Duhamel) من أجل توليد مصطلحات جديدة. لكن إذا ذهبنا إلى أبعد من ذلك نجد في الحقيقة أن أول لجنة للمصطلح قد اجتمعت

في حضن الأكاديمية الفرنسية سنة 1933. ذلك يعني أن المبادرات المَجمَعية، أعني تلك الصادرة عن الأكاديمية الفرنسية وأكاديمية العلوم، قد سبقت الإجراءات الحكومية.

استطاعت هذه اللجان الرسمية للمصطلح التي أُسست لتمكين اللغة الفرنسية من تسمية كلّ الحقائق والمخترعات والمفاهيم الجديدة، سواء تلك التي لم تسبق تسميتها أم تلك التي لها أسماء أميركية، أن تعالج مع بزوغ فجر القرن الواحد والعشرين حوالى عشرة آلاف مصطلح، وهي تجمع أكاديميين وشخصيات مختلفةً فرنسيةً وأخرى تنطق باللسان الفرنسي، وصحافيين وخبراء وممثلين عن منظمات للتنميط اللغوي، مثل المؤسسة الفرنسية لتنميط المصطلحات l'AFNOR التي ترتبط بعلاقات مع مؤسسات أخرى فاعلة في مجال المُصطَلحية مثل FRANTERM، من دون أن ننسى التنسيق المهم مع دول أخرى ناطقة بالفرنسية مثل بلجيكا وسويسرا، والكيبك، وبخاصة مع مكتب الكيبك للغة الفرنسية، ومع عديد من قواعد البيانات الحاسوبية، هذا النشاط كلّه الذي تقوم به هذه المؤسسات يدخل في عملية التوليد النشطة التي تحتاجها اللغة لتستطيع العيش في الفضاء المصطلحي.

أما القرارات الصادرة عن هذه اللجان فقد صارت موضوعاً لمعاجم تُنشَرُ بانتظام تحت مسمًّى معاجم المصطلحات الرسمية التي منها **معجم المولَّدات الرسمية** الذي ظهر في سنة 1998 مصحوباً، كما جرت به العادة، بقدر من الرضا والوصف الساخر والسهل. في العدد 12 أيار/ مايو لسنة 2000 من **الجريدة الرسمية** نسجل المصطلحات التالية من بين مصطلحات أخرى: appariement بدلاً من المصطلح الإنجليزي matching «الاعتماد على الآلة»، وpublireportage تسمية للرسالة الإعلانية التي تقدّم في صورة تحقيق مُتَلفَز، وgéomercatique «الاستراتيجية التسويقة». ومنها أيضاً ذلك

المصطلح الذي لاقى ترحيباً واسعاً أي «niche fiscale» العش الضريبي»[39].

وبما أن أصحاب المهن الذين تتوجه إليهم أعمال هذه اللجان يَعْتَدُّون بها ويأخذونها في الحسبان بأكثر مما يعتقد، فإن مجرد نصحهم باستخدام كلمة chariot بدلاً من كلمة caddie «عربة صغيرة»[40] يترك أثراً في إعلاناتهم. ومن هذا القبيل أيضاً كلمة filet التي أخذت، من دون أي اعتراض، مكان مقابلتها الإنجليزية net التي تشير في رياضة كرة المضرب إلى إرسال مرفوض.

الرِّهان عظيم. وقد أوضح غبريال دو بروغلي (Gabriel de Broglie) الذي يرأس اللجنة العامة للمصطلح والتوليد في خطاب لامع ألقاه في ريو دي جينيرو في عام 2001 الرهانات المختلفة، لإثراء اللغة الفرنسية. التي يأتي في مقدمتها الوعيُ بالمجهود المصطلحي الضروري لإثراء الفرنسية وسَدِّ النقص في معجمها؛ فمن المعروف مثلاً أن الاستخدام الجاري للغة يُوظِّف أساساً مفردات اللغة الأساسية التي تقدر بثلاثة آلاف كلمة، وأن المعاجم العامة لا تتضمن في أحسن الأحوال أكثر من مئة ألف كلمة. لكن «مجموع المفردات المتخصصة يبلغ ملايين الكلمات» كما إنَّ «إنجاز آلة تقنية كبيرة كطائرة خارقة لجدار الصوت، أو غواصة نووية يتطلب استخدام عشرات الآلاف من الكلمات الخاصة»، فالرِّهان واضح لا لبس فيه. إذاً: «يقع الجهد المصطلحي بين الكلمات الجارية في الاستخدام العام والمهني وبين المصطلحات المتخصصة. لكن يحصل في أحيان كثيرة أن تصير المفردات المتخصصة جزءاً من الاستخدام الجاري للغة» وهكذا نكتفي بالتذكير بأن كلمات مثل: logiciel

(39) الذي يعني نقصاً أو فراغاً تشريعياً يمكن الاستفادة منه ضريبياً.

(40) تستخدم لنقل الأغراض في المحلات التجارية.

«برنامج حاسوبي» بدلاً من (hardware)، وoctet بدلاً من byte «ثُمَانِي»، وraccourcie clavier «مختصر في لوحة مفاتيح الحاسوب» بدلاً من (hot Key)، وdidacticiel «برنامج حاسوبي تربوي» التي صيغت كيفما اتفق على غير قياس، وoyagiste «وكالة سفر» بدلاً من (tour operator)، وoption sur titre «اختيار على السهم» بدلاً من (stock-option)[41]، لم تعد حكراً على فهم المتخصصين، وأنها ترن بطريقة ممتعة مثلها في ذلك مثل عبارة gardien de but «حارس مرمى» الذي كان يسمّى في الماضي (goal).

لكن هذا لا يعني أن التنظيم المصطلحي للغة الفرنسية، كما يُذكِّر به عضو الأكاديمية الفرنسية غابريل دو بروكلي، مُوجَّهٌ ضدّ الاقتراض من اللغات الأجنبية: «ليس للفرنسية أن تخشى المقترضات من اللغات الأجنبية التي لم تنقطع أبداً. (.) إن علم المصطلح من حيث المبدأ، علم مُحايِد في ما يتعلق بالسياسة اللغوية؛ فهو علم نفعي لا يهدف إلا إلى تلبية حاجات المتكلِّمين»؛ فالتسمية فيه تغلب الإيحاء. وبما أن الفرنسية تُعَدُّ واحدة من اللغات الكونية الكبيرة «géolangues»: الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية، «فإن عليها أن تحافظ على رسالتها في أن تظل لغة كونية».

وهي تحتاج، لكي تستطيع ابتداع مصطلحات فرنسية بسرعة وكفاءة، لتسمية الحقائق الجديدة، إلى مساعدة نشيطة وإلى أن تلقى أذْناً لدى الحكماء الذين يصدرون حكمهم بالتشاور مع أولئك الذين سيستخدمون الكلمة التي يراد توليدها، متمنين أن تَسحرَهم فلا تحتاج عندئذ أن تُفرض عليهم فرضاً. ذلك لأن توليد المفردات الجديدة ليس لعبة للتسلي ولا موضوعاً للاستفزاز.

---

(41) أسهم تمنح لبعض المسؤولين في الشركات من دون مقابل أو بأسعار زهيدة.

3 ـ اختلاف النظرة إلى المولَّد

تتم ملاحظة المُوَلَّد، وتنشيطُه، وتحمُّلُ مسؤوليته بحسب مزاج كلّ فرد، وبحسب اللحظة الراهنة، كما إنَّ لذلك كلّه علاقة بالسياق وباللغة المعنية؛ فالمزاج يلعب دوره في اللغة وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالإبداع؛ لذا قد لا يكون مفيداً الإشارة إلى أن مزاج المتكلم، خائفاً أو ساخراً، محترماً أو مستفِزّاً، مُذعِناً أو مُتمرِداً، مُوجِزاً أو مُقفِراً، يسهم في مدى عفوية المُوَلَّد أو تصنعه.

فالكتّاب يحسنون جيداً وصف هذا النوع من الشخصيات الذي لا بدّ أن كلّ واحد منا قد لقيه في أحد المقاهي أو في أحد القطارات أو داخل قاعة من القاعات، والذي يمتلك لساناً ذلقاً قادراً على التوليد في يسرٍ وسهولة. يقول الكاتب إدموند روستان (Edmond Rostand) على لسان شخصيته الرمزية سيرانو دو بيرجراك (Syrano de Bergerac) (المشهد 2، الفصل الرابع) أنها «تمنع أي شخص أن يسخر[42] منها بخيانتها زوجَها» وهكذا فإن أحداً لم يفاجأ عندما نشر الممثل الساخر جان يان (Jean Yanne) في سنة 2000 «معجم الكلمات التي لا يعرفها أحد غيري» من مثل: (éfrezouille: مسابقة في الإملاء)، وبيار ديسبروغ (Pierre Desproges) **المعجم الزائد لاستخدام النخبة والأثرياء** (*Dictionnaire superflu à l'usage de l'élite et des biens nantis*) (1985) وكذلك بيار بيريه (Pierre Perret) كتابَه **بيري الصغير مصوراً بالأمثلة** *Petit Perret illustré par l'exemple* (1982)، وعندما نُشرت بعض الكتب بعد موت أصحابها، مثل: **معجم فرنسية المجانين** (*Dico franco-laufoque*) (1996) لبيار داك (Pierre Dac) محرِّر **العظم ذو النخاع** والمؤلّفُ الحقيقُ لـ (*le*

---

(42) يسخرر (riducoculise).

(*schmilblick* (1949)، ولـ (le biglotron)، وكذلك عندما نُشرت أعمال كولوش (Coluche) التي منها «الرعب صفة إنسانية» الذي وردت فيه الجمل التالية «أصيد la manganille ما هذا؟ لا أعرفه، ولم أتناول منه شيئاً». ونُنهي بمثال من مجال آخر هو الرسم حيث يظهر الرسام بيف (Pef) مؤلّف **معجم الكلمات المِعْوَجَّة** (*Dictionnaire des mots tordus*) (1983) الذي وردت فيه (chapeau d'eau «قُبَّعة من ماء»، وtraîtresse d'école[43] «خائنة مدرسة»)، مُوَلِّدا مزّاحاً، فهو يستحدث الكلمات ويجعل منها موضوعاً لرسم مبدع.

من الأمور التي يمكن أن تؤثر في قدرتنا على التوليد أيضاً المرحلة التي نعيشها؛ فإذا كان المزاج الشخصي لا يدفع كثيراً نحو التوليد فإن هناك حقباً زمنية منشطة أكثر من غيرها في هذا الموضوع. هذا التراوح بين الرفض والشغف الذي يعانيه أو يتمتع به المولّد سنزيده إيضاحاً في الجزء الذي خصص للتوليد في الأدب حيث سيظهر لنا أن النصف الثاني من القرن العشرين يمثل حقبة مُحفِّزة في هذا الصدد؛ إذ فتح الباب أمام التوليد، بطريقة أو بأخرى، تزايد كتب المولَّدات المرتبة ترتيباً ألفبائياً حيث تَلتمع الكلمات المتخيلة. نذكر من بين هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر *Le petit*[44] *fictionnaire illustré* (**القابوس الصغير المُصَوَّر**) لآلان فانكييلكرو (Alain Finkielkraut) (1981: الـذي ورد فيـه: مـن zobsédé[45]

---

(43) فـ traitresse «خائنة»، بنيت على غرار maîtresse «مُعَلِّمة»، كأن تبتدع في العربية فتقول: هذه مُعَلِّفَةُ مدرسة بدل مُعَلِّمَة مدرسة.

(44) لقد صيغت fictionnaire من fiction «قصة متخيلة» على غرار dictionnaire «قاموس».

(45) تحريف لكلمة obsédé «مهووس» بإضافة حرف (z) إلى أولها.

«زمهووس» إلى «نبجح» aboyager[46]، و *le Distractionnaire* لـ روبير غاليسون (Robert Galisson) ولويس بورشير (Louis Porcher) والذي منه: Abeuglement-zizazie[47] «بِغَمّى» «بلا تَبَصُّر» 1986) و**المعجم المعكوس** (*contraditionnaire*) لـ جاك سيرغين (Jacques Serguine)، ومنه: (Abonnapartiste-zouloubards[48] أبونابرتي» 1988)، **ومعجم الكلمات غير الموجودة** (*Dictionnaire des mots qui n'existent pas*) الذي أَلفَهُ جان لو شيفليه (Jean-Loup Chiflet)، ونتالي كريستي (Nathalie Kristy)، والذي ورد فيه من ضمن ما ورد: (1992: abcoudication-zigomnastique)، و le pianissimot[49] وفيه: (1993: abdomadaire-zodiacre) لـ جيرار غريفيران (Gérard Gréverand) وإيف ماري كليمن (Yves-Marie Clément)، وقاموس **المجانين** لمؤلّفه راوول لامبير (Raoul Lambert) والذي ورد فيه: (azut: 1997)، ومعجم الكلمات الغائبة لـ بول غلاسيه (Paul Glaser) (1999: abévaudage - zolner)، كما لا ننسى أن نستشهد مرة أخرى، لكي لا نكون من العاقّين، بمعجم سان أنتونيو (San - Antonio) الذي نشره في طبعة جَيْب سنة 1998 كلّ من سيرج لو دوران (Serge Le Doran)، وفريدريك بيلو (Frédéric Pelloud)، (*Dicodingue*) وفيليب روزي (Philipe Rosé)، والذي منه: (abasourdissance - zyrcon).

مما يمكن ملاحظته في هذا السياق الاستخدامُ الواسعُ للنحت المتمثل في دمج كلمتين إحداهما على الأقل مبتورة مثل:

---

(46) تحريف للفعل aboyer «نبح» بإضافة حرف الجيم إلى وسطه.

(47) حيث حلّ (b) محل (v) في كلمة aveugle فصارت abeugle.

(48) النسبة إلى بونابرت (Bonaparte) تتم من دون إضافة حرف الألف في أول الكلمة أي bonapartiste «بونابرتي».

(49) قاموس متخصص في الكلمات المنحوتة.

(apéricube[50] «مكعبات الجبن المُشَهِّيات»، restauroute[51] «المطاعم المحاذية للطرق السريعة»، caméscop[52] مُصَوِّرة مرئية»، alcotest[53] «رائز الكحول»، abribus[54] «مظلة محطة انتظار الحافل») فالنحت وسيلة مُحَبَبة لِنَفَر من المؤلّفين الذين يتَسلون بتركيب أسماء شخصيات من خلالها. وهو مبدأ أشاعه لويس كارول (Lewis Carroll) في **أليس في بلاد العجائب** (*Alice au pays des merveilles*) (1876) وجرى عليه من بعده جمعٌ من المؤلِفين، مثل: هيرجي (Hergé) الذي أطلق في كتابه (*le Sceptre d'Ottokar Musstler Mussolini* وHitler) على شخصية المتآمر اسم موستلير (Musstler) (موسوليني (Mussolini) وهتلر Hitler)، وكذلك إيرفي بازان (Hervé Bazin) بتخيله الشخصية المكروهة فولكوش folcoche[55] «نزيرة مجنونة». وقد انتشرت وسيلة التوليد هذه انتشاراً واسعاً في اللغة، كما في مثل: (franglais «الفرنسية الإنجليزية» tapuscrit «نصّ مطبوع»، وcubitainer «إحدى العلامات التجارية المسجلة)، وpostépargne[56] «حساب ادخار بريدي»)، وdistribanque[57] «موزع مصرفي... إلخ)؛ إذاً فمعجمية التَّسَلِي تشترك هي أيضاً بطريقتها في عملية التوليد اللغوي بتفضيلها إحدى صيغ التوليد فتستخدمها وتروِّج لها.

---

(50) قطع جبن على هيئة مكعبات تتناول مشهيات، وهي مركبة من كلمة apéri (tif) بمعنى «مقبّل» التي بُتِر منها المقطع الأخير، وكلمة cube بمعنى «مكعب».

(51) وهي مبنية من كلمتي restau (rant) أي «مطعم» و route بمعنى «طريق».

(52) وهي منحوتة من مفردتين هما: camé(ra) «مُصَوِّرة» وscope «مرئي».

(53) آلة لقياس مقدار الكحول في الدم - مركبة من alcool «كحول» ومن teste «اختبار».

(54) نحتت من abri «ملجأ»، و bus «حافلة».

(55) المركبة من folle «مجنونة» cochonne «خنزيرة».

(56) المنحوتة من post (e) «بريد» وépargne «ادخار».

(57) مركبة من distri (biteur) «موزع» وbanque «مصرف».

هناك أيضاً السياق السياسي الذي يعتبر، في بعض الأحيان مُحرِّكا مهما لعملية التوليد. إن اللُغة إذا شعرت بأنها مهددة وأنها في خطر من أن تأخذ مكانها لغةٌ أخرى فإن التوليد ينمو فيها غالباً بحكم الضرورة. ومن الأمثلة على ذلك إقليم الكيبيك الكندي الذي قاد سياسة مثالية في هذا الإطار ليتفادى ثنائية اللغة الخانقة التي كان يمكنها أن تجعل من الإنجليزية النموذج اللغوي الغالب. . . لقد حققت تلك السياسة ثورة هادئة بِسَنِّها سنة 1977 القانون رقم 101 الذي فرض الفرنسية لغة رسمية، وسمح بأن يؤخذ في الاعتبار المطلبُ الشرعي بحق العمل بالفرنسية. وقد أعطى هذا الأمر الأنشطة التوليدية دفعة قوية، والتوليدَ دورَ الصَّدارة. وتُمَثل السياسة اللغوية المترتبة على هذا القانون، بحسب عبارة جون هومبلي (John Humbley) الذي أدار مركز علم المصطلح والتوليد الذي أنشئ في عام 1987 «أداةً لسياسة لغوية، وأداة للسياسة بمعناها الواسع»(*). وهو ما دفع كلود ألليغر (Claude Allègre) وزير التعليم السابق إلى أن يقول بحق في كتابه **روزنامة** (*Ephéméride*) الذي خصصه للغة الفرنسية (le Québec)(**) هذا الأرخبيل الصغير الناطق بالفرنسية في وسطِ مُحيطٍ هائل ناطق بالإنجليزية يقاوم ببسالة تقنياً واقتصادياً ولغوياً، فما علينا إذاً إلا أن نتخذه قدوة لنا»، وإلى أن يقول أيضاً بنبرة إعجاب عن الكنديين الناطقين بالفرنسية أنّهم «يستحدثون كلماتٍ ويستخدمونها مثلاً في النشرات الثنائية اللغة التي يضعونها مع منتجاتهم التي يصنعونها لشرح طريقة استخدامها. فلماذا لا يُنتخب بعضُهم أعضاءَ في الأكاديمية الفرنسية إذاً؟»

(*) J. Humbley, *Histoire de la langue française 1945-2000* (Paris: CNRS, 2000).

(**) *L'Express* (1er Février 2001).

مِنَ العوامل التي يجب أخذها في الاعتبار أيضاً، لإصدار حكم موضوعي على الالتزام بالتوليد، لغةُ المولَّد نفسه. وَمما له دلالةٌ في هذا السياق قلةُ المؤتمرات الدولية الخاصة بالتوليد؛ ذلك لأن لِكُلّ لغة أسلوبَها الخاص في معالجة المولَّد، كما إنَّ إدراك هذا الأخير وتَلقِّيَه يختلف من لسان إلى آخر. يقول فولتير (Voltaire) مادحاً اللغة الإيطالية في رسالة إلى ألبرغات (Albergat) بتاريخ 1 تشرين الثاني/ نوفمبر 1759 «تعجبني خصوبة لغتكم ومرونتها؛ لأننا نستطيع أن نترجم إليها كلّ شيء بصورة موفقة».

مما يثيره اللغويون أيضاً في هذا الإطار «عقدة سان فرانسوا» (Saint François) التي تعبِّر عنها اللغة الإيطالية لما توليه من اهتمام خاص بلواحق التصغير (tête «رأس»؛ testina «رُؤيس» petite tête، testolina petite petite tête «رؤيئيس». . . إلخ).

أما عن اللغة الألمانية فمن المعروف عنها باعتبارها لغةً إلصاقية أنها تتضمن بطريقة طبيعية تقريباً المُولَّد في التعبير الفكري نفسه إلى درجة أن التوليد يكاد يمرّ فيها من دون ملاحظة؛ لأنه يذوب في الممارسة اليومية وبالتالي فإنه ينظر إليه باعتباره نشاطاً طبيعياً.

ونختم بمثال من لغة تنتمي إلى عائلة لغوية مختلفة تماماً عن تلك التي تنتمي إليها اللغات المذكورة آنفاً ألا وهي لغة الإنويت[58] (l'inuit)، ففي هذه اللغة النادرة ذات البناء الذي تتبادل فيه العناصر مواقعها في التركيب، حيث تشترك مُكوناتها المعجمية والنحوية المحدودة العدد في أكبر عدد من التوليفات والتراكيب الممكنة، لا يعود للمولَّد، بمعناه التقليدي، وجودٌ. ذلك لأنه بالرغم من أن الإبداع اللغوي يظل ممكناً. فإنه لا يتم عن طريق تعديل الوحدات

(58) لغة السكان الأصليين في القطبين الشمالي والجنوبي.

اللغوية السابقة؛ مما يعني أن التمييز بين المعجم والتركيب فيها يعد من شبه المستحيل.

نخلص بعد هذا العرض إلى أنه إذا كان التوليد يعتبر آلية من الآليات اللازمة لبقاء أي لغة على قيد الحياة فإن بناء المولَّد وإدراكَه يختلفان من لغة إلى أخرى.

رابعاً ـ رؤية فلسفية

يعكس التوليد تَطَوُّرَ اللغة بالقدر نفسه الذي يعكس فيه تطور المجتمع. ومعه يتفتت، على طريقة الساعة الرملية، الزمنُ الذي يتسرب على مَرِّ توالد الكلمات. وبما أن اللغة شيء يؤَرَّخ فإن المولدات تعتبر الأكثر بروزاً من بين عناصرها القابلة للعدِّ.

1 ـ التوليد يحكي تاريخ مجتمع ولغته

يعتبر المعجميون الشهودَ المفضّلين على ذلك، بل إنّهم استطاعوا أن يصبحوا، خلال النصف الثاني من القرن العشرين، الشهود المعتمَدين الذين تُتَلقّى عنهم، عبر الصحافة المكتوبة والمسموعة والمرئية، الآراءُ حول المجتمع واللغة المتغيرة؛ ففي عام 1999 ظهر كتَيِّبٌ بعنوان ذي دلالة خاصة هو **سنوات روبير الصغير** (*Les années petit Robert*) مرفقاً بعنوان صغير: «من acide إلى ZEP «**من الألف إلى الياء**»، **أربعون سنة من اللغة الفرنسية**». لقد مثَّل هذا الكُتَيب الذي قدَّمت له ماري هيلين دريفو (Marie-Hélène Drivaud)، مثلاً، فرصةً لِلَفْتِ الانتباه إلى الرَّواج الذي عرفته المقترضات من الإنجليزية خلال ستينيات القرن الماضي، مثل: (boots «حذاء»، وbrushing «تسريح الشعر»، lifter «شَدُّ الجلد»)، وخلال سبعينياته أيضاً حيث شهدت هذه الحِقبة تكاثرَ المختصرات والمرَخَّمات: écolo[59]

---

(59) مختصر écologie «علم البيئة».

«علم البيئة»، وhyper[60] «متجر كبير ومتنوع البضاعة»، وmacho[61]، وbio[62] «حيوي»، وJVC[63] «الإجهاض الاختياري»، وPVC[64] [«مسمّى لمادة بلاستيكية»، وSAMU[65] [«إسعاف الطوارئ»].

من العناصر التي يمكن الاهتداء بها في هذا السياق مورفيمات اللغة نفسها؛ إذ بينما تميزت الطفرة الحاسوبية، خلال عقد الثمانينيات من القرن العشرين، بمركّبات اللاحقة «ique» مثل: (bureautique) «مَكْتَبِيٌّ»، وconnectique «يجمع كلّ الوسائل المتعلّقة بالربط الكهربائي والإلكتروني»، وdomotique «مكان التحكم في التقنيات الكهربائية والإلكترونية الموجودة في أحد الأبنية»)، فإن سنوات التسعين من القرن نفسه قد أعطت مكاناً متميزاً للسابقة «cyber» بدءاً بـ (cybernétique) التي تعني «علماً مركباً من مجموعة من النظريات له علاقة بالانضباط والانتظام والاتصال في الآلة وعند الإنسان»، ومروراً بـ (cybernéticien) «المتخصص في العلم السابق»، وانتهاء بـ (cybercafé) «مقهى إنترنت».

وهو ما دفع آلان راي إلى القول: «إن **معجم روبير** مَرْصَد للغة وليس حفيظاً عليها». وتضيف ماري هيلين دريفو قائلة: «إن القاموس الحديث يشركنا، بوصفه المجتمع واللغة التي تمثل أحد شهوده، في النظرة إلى العالم وإلى المصادر المشتركة والمشاعر

---

(60) مختصر hypermarché «متجر كبير ومتنوع البضاعة».

(61) مختصر matchist «من يقول بأفضلية الرجل على المرأة».

(62) مختصر biologique «حيوي».

(63) مختصر المصطلح المركب التالي: interruption volontaire de grossesse «الإجهاض الاختياري».

(64) مختصر العبارة التالية polyvinyle chlorure «مسمّى لمادة بلاستيكية».

(65) مختصر هذه العبارة d'urgence service d'aide médicale «إسعاف الطوارئ».

الجماعية أيضاً». أما جوزيت ري دوبوف (Josette Rey-Debove) فإنها تلاحظ أن إبداع اللغة الفرنسية «قد ازداد خلال السنوات العشرين الأخيرة ازدياداً ملحوظاً، حيث بدأنا نشاهد انفجاراً في المعنى».

إن كلمات مثل: aéroglisseur «عربة برمائية تتزحلق على الماء وعلى اليابسة»، وminibus «حافلة صغيرة»، وtwist «نوع من الرقص»، وfilm en superhuit «نوع من الأفلام»، وmini-jupe «تنورة قصيرة» التي دخلت المعاجم خلال عقد الستينيات من القرن العشرين لَتُعَبِّر عن مرحلة ذاتِ لون مختلف تماماً عن تلك المعبَّرِ عنها في غَلَّة قاموس **لاروس الصغير** (*Petit larousse*) الصادر في عام 2003 مثلاً، وذلك بدخول كلمات بدلالات مقلقة من مثل: bioterrorisme «الإرهاب الكيميائي»، وbiovigilance «الحذر الكيميائي»، وأيضاً بالدخول الرمزي للكلمات الآتية: graveur «آلة تسمح بالتسجيل على الأقراص المرنة»، وhyperlien «رابط نصّ كبير»، وclavardage «التواصل بالكتابة عبر لوحة مفاتيح الحاسوب»، وharcèlement moral «تَحرُّش خُلُقي». إننا نشيخ بسبب الكلمات والدليل على ذلك أننا نضطر إلى أن نشرح للطلبة في بداية القرن الواحد والعشرين. ما تعنيه كلمة مثل carte perforée «البطاقات المثقوبة» التي كان الجميع يعتبرها رمزاً للمعالجة الحديثة للمعلومات خلال عقد الستينيات من القرن العشرين؛ ذلك يعني أن مولَّد الأمسِ قد صار اليوم من مخلفات الزَّمن القديم.

2 ـ قيمة المولَّد الرمزية

لقد أصبح المُوَلَّد، بفضل قدرته على فعل الحدث، وعلى تلخيص اللحظة، السَّنَدَ المفَضَّلَ لمختلف التأويلات. نضرب مثلاً على ذلك رجلَ السياسة الذي يلاحظ عليه أقلُّ انزياح لغوي، كما إنه لا يمكن لأي من مولَّداته أن يمرّ من دون ملاحظة، بل قد ينسب

إليه أحياناً بعضُ المولَّد خطأً؛ فنحن نذكر أن عبارة le quarteron de généraux «الرُّبْع من الجنرالات»[66] التي أطلقها شارل دو غول (Charles de Gaule) أثناء مؤامرة الجزائر في عام 1961 قد عُلِّقَ عليها بأكثر مما ينبغي. مثلها في ذلك مثل تعجب جاك شيراك (Jacques Chirac) في 22 أيلول/ سبتمبر 2000 من الاتهامات التي وصفها بأنها abracadabrantesques «مُهَلْهَلة»[67] وهو الوصف الذي استخدمه من قبله رامبو (Rimbaud)، وكذلك عندما يكتب جاك أتالي (Jacques Attali) تعليقه في **مجلة الإكسبريس** (كانون الثاني/ يناير 2001) حول «البورجوازيين البوهيميين» -bourgeois les bobos) (bohèmes، و«الرَّحَالون الجدد» (les nonos (nouveaux nomades باعتبارهم يمثلون طبقات اجتماعية جديدة محتملة، وأيضاً عندما يُشَبِّه رئيس الجمهورية في تموز/ يوليو 2000 نقداً مُوجَّها إليه بأنه «قَرْقَرة» pschitt[68] والأمر نفسه يتكرر عندما يذكر رئيس الوزراء بأنه «لا يَتَبَلْدَر» se balladurise pas[69] و«لا يَتَجبَّب» se juppéise[70] مشتقاً فعلين من اسميهما se balladurise وse juppéiser ونختم بما أثير أثناء الحملة الانتخابية في شهر أيار/ مايو 2002 من نقاش حول فرنسا التي فوق وفرنسا التي تحت la France d'en haut وla France d'en bas «فرنسا التي فوق وفرنسا التي تحت»، كلّ هذه الأمثلة تشير إلى أن المُوَلَّد له قوة الرمز؛ فهو يمثل، إلى جانب ما يتركه من تغيير على مستوى الشكل من دون أدنى شكّ، نقطةً راسخة للتفكير الفلسفي.

---

(66) يقصد بالربع التقليل من شأن الجنرالات الأربعة الذين قاموا بمحاولة الانقلاب.

(67) سخرية من هذه الاتهامات.

(68) محاكاة لصوت السوائل عندما تتدفق بقوة.

(69) لا يسير على خطى بالادور، رئيس وزراء فرنسا الأسبق.

(70) أي أنه لا يتبع سياسة آلان جيبي (A. Juppé) أحد رؤساء وزراء فرنسا السابقين.

الفصل الثاني

حقيقة يصعب الإحاطة بها

«هذه كلمات اخترعتها لتسمية أشياء أراها في أحلامي. إذاً فأنت تمارس التوليد يا سيدي»؟

ر. كينو (R. Queneau)
الوردات الزرقاء، 1965

بادئ ذي بدء، فإن الوعي بظاهرة التوليد لا يعني بالضرورة معرفة المُوَلَّد عندما نقف عليه في نَص ما؛ ذلك لأنه ليس من السهل دائماً حصرُه في كيانه المعجمي أو النحوي، ولأن الحدود بين التوليد وبين تعدد المعاني «تعدد دلالات الكلمة» يصعب دائماً تحديده، ثمّ إن تأويل اللغة الذي يتم بحسب وجهات نظر مختلفة لها علاقة بالزمن؛ بالحاضر أحياناً وبالمستقبل في أحيان أخرى، يدفع إلى مقاربة المشكلة المتعلّقة بمدّة حياة المولَّد بالإجابة عن السؤال الآتي: هل يمكن المولَّد أن يُولَّد مرات عديدة؟ ومتى يمكن أن يموت؟

وفي النهاية، فاللغة ليس لها مستوى واحد، بل مستويات متعددة تتمتع بوسائل انتشار مختلفة بدءاً بالمَخْبَر المحصور وانتهاء

بوسائل الإعلام الأكثر انتشاراً، كما إنها ترتاد في آن معاً الطرق الأكثر انضباطاً واستقامة، وتلك الصغيرةَ الملتوية. وفي هذه الأخيرة تُزهِر الاستفزازات الموفَّقة والشواذ المُوَلَّدة التي قد تكون أحياناً نذيراً بأن الخطأ يمكن أن يصبح هو المعيار.

أولاً ـ الإدراك المتردِّد للمولَّد

إن ملاحظة شكل جديد على مستوى كلمة بسيطة أو مركبة، (أي وحدة كتابية واقعة بين فراغين طباعيين)، ليس أمراً صعباً في حدّ ذاته. فكلمات مثل: montgolfière «منطاد»[1] (اشتقاقاً من اسم الشخص الذي اخترعه عام 1782) وكذلك deux-roues[2] «دراجة» (ولِّدت حوالي عام 1960 لاحتياج قانون المرور لها)، وأيضاً L'aéroglisseur[3] «عربة برمائية» (المشتقة بطريقة تقليدية من أصل قديم عام 1964)، وrollerskate «التزحلق على حذاء بعجلات صغيرة» (المقترضة من اللغة الإنجليزية عام 1985). تَمَّ إدراكها باعتبارها كلمات جديدة منذ اللحظة الأولى.

إن هذا النمط من التوليد (التوليد الشكلي) ظلّ، في الواقع، هو النمطَ الوحيد الذي أثار اهتمام النحو التاريخي الذي ساد في القرن التاسع عشر، حيث كان الاهتمام منصباً على الإطار الضيق للكلمة ولم يكن ينظر إلى اللغة إلا باعتبارها اتحاداً متميزاً بين المعجم باعتباره تشكيلة كبيرة من الكلمات، وبين النحو باعتباره مجموعة من القواعد التي تحكم ترتيب الكلمات.

---

(1) يعمل بالهواء الساخن.

(2) المركبة من كلمتين هما: deux أي «اثنان» وroues «عجلتان».

(3) مركبة من aéro «سابقة علمية» تعني air أي «هواء»، وglisseur التي تعني «مُتزَحلِق».

أما عن المولَّد الدِّلالِي فإن من الصعوبة بمكان تعيينه وملاحظته وتحديد الفرق بين توسع بسيط في المعنى وبين معنى جديد مختلف اختلافاً تاماً عما سبقه؛ وهكذا فإن كثيراً من المختارات الموسيقية في تسعينيات القرن العشرين قُدِّمت آنذاك باعتبارها مختارات نهائية (compilations définitives) أي لا يمكن تجاوزها «indépassables»؛ فالصفة definitive «نهائي» بمعنى «indépassable» لا يمكن تجاوزه» يمكن أن تمر عند ظهورها لأول مرة دون ملاحظة تقريباً، وتندثرَ دون أن تترك أي ذكرى، كما يمكنها على العكس من ذلك تماماً، أن تستقر في اللغة خلسة. فهل نحن أمام توسُّع في دلالة هذه الكلمة définitif، وهو توسُّع يحلّ مشكلة (**معجم روبير الصغير** يقترح مادة مستقلة لهذا المعنى) أم أن الأمر يتعلق بخطأ دلالي، أو بنسخ دلالي للمعنى الإنجليزي؟ على كلّ حال فإنه، نظراً إلى عدم الاعتراف بهذا المولَّد وعدم تقييده في القواميس. لم يتم الإعراب عن هذه الاحتمالات المتعلّقة بأصله.

تظل الوحدات المعجمية المركبة من أكثر من كلمة، على اختلاف المسمَّيات التي أطلقها عليها بعض اللغويين مثل locution «عبارة» أو synapsie «عبارة مركبة من كلمات وأدوات» (عند بنفينيست (Benveniste)، أو synthème «عبارة مركبة» عند مارتينيه (Martinet)، أو syntagme figé «عبارة مسكوكة»، من أكثر الوحدات التي يصعب إدراكها باعتبارها من المُولَّد. وهكذا فهل يمكن اعتبار عبارات مثل: au niveau du vécu «على مستوى الخبرة»، أو quelque part «في مكان ما» من المولَّد الدَّلالي، وذلك بغضِّ النظر عن الأثر الذي تتركه الرغبة في مسايرة ذوق العصر الذي سرعان ما يختفي؟ أم إنها لا تعدو أن تكون ظواهر أسلوبية؟ هناك أيضاً السؤال المتعلق بمن قام بتدوينها أول مرة؛ ذلك لأنه على الرغم من معرفتنا الدقيقة لمولِّدي بعض هذه العبارات وتاريخ ظهورها كما هو حال

عبارة «الكسر الاجتماعي» التي نشرها جاك شيراك سنة 2000، أو تلك التي صاغها فرانسوا ميتيران (François Mitterrand) أعني «القوة الهادئة» التي مثلت أحد الشعارات الأساسية في حملته الانتخابية سنة 1981، فإن أغلبها ينمو على طريقة الإشاعات التي لا يُعرف لها أصل. إن الجانب التوليدي في هذه المركَّبات يقوم أساساً على العلاقات الدلالية والتركيبية بين مفرداتها مما يؤكّد التكامل القوي بين النحو والتوليد.

إن التوجه النظري المعتمد في ما يتعلق بالوحدة المعجمية يتداخل أيضاً مع التأويل المتَبَنَّى بالنسبة إلى التوليد؛ فالتوزيعيون مثلاً الذين يهتمون أولاً وقبل كلّ شيء بتواتر الكلمة مع غيرها، وبتوزيع استعمالاتها النحوية، لا يعتبرون كلّ استخدام نحوي جديد دلالة جديدة بل مشتركاً لفظياً. الأمر الذي يعزِّز اعتباره من المولَّد. وهكذا فإن الفعل plier «طَوَى» المشار إليه على أنه من «الكلمات الجديدة في الفرنسية الحية» التي ضمَّها **معجم هاشيت** (*Hachette*) في طبعة 2003 بمعناه الجديد «أنهى» أو «أتَمَّ»، يعتبر من وجهة نظر التوزيعيين مشتركاً لفظياً للفعل plier «طَوَى» بحسب استخدامه النحوي الخاص كما هو في المثال التالي: de rugby n'avaient pas encore plié la rencontre les joueur «لم يتمكن لاعبو الرُّجْبي من إنهاء اللقاء لصالحهم حتّى الآن».

لكن إذا أخذنا في الاعتبار وجهة نظر جاكلين بيكوش (Jacqueline Picoche) التي تمثل استمراراً لأفكار غوستاف غيِّوم (Gustave Guillaume) الذي كان يبحث لِكُلّ كلمة عن «مدلولها الكامن» أي عن كلّ ما يَتَوَلَّد عنها من معانٍ جديدة يتضمّنها استخدامها الكامل؛ فإن معنى plier une rencontre «أنهى اللقاء» لا ينظر إليه إلا باعتباره معنى إضافياً. وهو فضلاً عن ذلك، معنى يمكن توقعه تماماً؛ نظراً إلى وجود عبارات مثل: plier une tente «طَوى

خيمة» وplier ses affaires «رَتبَ أغْراضَه»، أي تَجَهَّزَ للمغادرة. وهكذا فإن المولَّد يفقد شيئاً من قوته ليذوب في التعدد الدلالي.

أما في ما يتعلق بعبارة arts de la rue «فنون الشارع» التي دخلت قائمة الكلمات الجديدة نفسها، فإنه من الممكن ألا تعتبر من المولَّد بحسب هذا المفهوم الأحادي للكلمة.

لكن وجهتي النظر كلتيهما تعتبران صائبتين؛ لأنه من المستحسن أن تظل الكلمة مكاناً لوجهات نظر متباينة على الرغم من أن ذلك سيساهم في أن يَفقد مفهوم المولَّد دِقَّته؛ ذلك لأن اللسانيات لا يمكنها، بحكم انتمائها إلى العلوم الإنسانية، تفادي التأويل.

ثانياً ـ زمنية المولَّد المتقَلِّب

1 ـ الآجال المختلفة لحياة المولَّد

كم من الوقت يحتاجه المولَّد لكي يفقد هذا الوصف؟ عشر سنوات تقريباً بحسب أدبيات سنوات السبعين من القرن العشرين. فعندما قام بيار جيلبير (Pierre Gilbert) بجمع المولَّد لنشره في **قاموس الكلمات الجديدة**[4] اعتمد على مُدَوَّنة جمعها من كتب ودوريات ظهرت منذ عام 1955، «وبانتظام منذ عام 1966». كما إنَّ لويس غيلبيرت كان قد أشار في مقاله الذي سبقت الإشارة إليه والذي خصَّصَه للتَّوليد إلى ذلك بقبوله بمدّة حياة مُمكنة للمولَّد «أكثر بقليل من عشر سنوات». من ناحية أخرى إذا تمّ طرح السؤال نفسه على لسانيين في القرن الواحد والعشرين بفضائه المتميز بالحضور الطاغي لوسائل الإعلام الحديثة، والانتشار السريع للكلمات فإنّهم

(4) Pierre Gilbert, *Dictionnaire des mots nouveaux* (Paris: Hachette - Tchou, 1971).

يميلون إلى اختصار المدّة الممنوحة لـ «الإحساس بالمُوَلَّد» إلى أقل من خمس سنين. وهو ما يمكن أن توضحه هذه المقارنة السريعة.

من بين الكلمات العشر الأولى من الحرف (ا) في معجم بيار جيلبير (Pierre Gilbert) «الكلمات الجديدة» المنشور سنة 1971 (كما في agrammatical «مخالف لقواعد النحو»، absentéisme «غياب»، abstractisant «مجرِّد لفكرة»، abstractiser «جَرَّدَ»، accessoiriste d'automobile «بائع قطع تزيين السيارات»، accident de parcours «كبوة جواد» أو «نبوة سيف»، s'accidenter «عمل حادثاً»، accord-cadre «اتفاق مُؤطِّر»، accordéon «أكورديون» في المصطلح المركب cloison - accordéon «ستارة مصَمَّمة على شكل آلة الأكورديون» accrochage بمعنى querelle «خصومة») ليس هناك، اليوم بعد ثلاثين سنة من أول ظهور لها كلمةٌ واحدةٌ مما يُحسب في عداد المولَّد، الأمر الذي يعتبر طبيعياً، لكنه يسمح أيضاً بقياس الاندماج السريع للكلمات إلى الدرجة التي لم نعد نشعر فيها بحداثتها.

ويمكن ملاحظة الأمر نفسه بالنسبة إلى الكلمات العشر الأولى في قائمة الكلمات الجديدة المدرجة في **معجم هاشيت** (*Hachette*) 1990 : (accessoiriser «زين»، accro «مدمن»، additivé «مضاف»، *antémémoire* «ذاكرة مساعدة في الحاسوب»، antigalère «ضدّ المَشَقَّة»، *anti-LAV* «ضدّ النظافة»، antilook «ضدّ التزين» appeler «نادَى»، وarborescence من مصطلحات الحاسوب، aspartam «مادة كيميائية تستخدم في الصناعات الغذائية») فَكُلّ هذه الكلمات، باستثناء تلك التي وضعت تحتها خطوط واختفت، دخلت أعمدة المعجم نفسه في طبعته التي ظهرت في سنة 2000، كما إنها قد اختفت جميعها من قائمة الكلمات الحديثة الملحقة بهذا المعجم في طبعته الأخيرة هذه. وقد تمّ بالطريقة نفسها إلحاق كلّ الكلمات الموجودة في قائمة الكلمات الجديدة في طبعة سنة 2000 مثل:

abdos)[5] «عضلات البطن» abuser sexuellement «أساء إلى فلان جنسياً»، وactionnisme[6] «حركة فنية»، aéroville[7] «مركز تجاري قريب من المطار» afrocentrisme «التركيز على أفريقيا»، agent d'ambiance «موظف يعمل في وسائل النقل العام للمحافظة على النظام فيها ومساعدة من يستقلونها وتقديم المعلومات لهم»، - aide éducateur «مُساعد مُربٍّ»، alexandrium «نوع من الطحالب السامة»، algicide «مادة سامة»[8] بالمعجم في طبعة سنة 2003 ما عدا aéroville وalexandrium.

نستخلص مما تقدّم: 1 ـ أنه لم يعد يمكن التجرؤ اليوم على اقتراح عمل بعنوان «معجم الكلمات الجديدة» يضم بين دفتيه كلمات جديدة ظهرت منذ أكثر من عشر سنين. 2 ـ إن الإحساس بالتوليد متقلّب ومُتَردٍّ.

2 ـ المولَّد من الفضاء التخصصي الضيق إلى فضاء اللغة المشتركة

من بين القضايا المُسلَّم بها أن الزمان والمكان عنصران يشتركان في ما بينهما بطريقة وثيقة، وبالتالي فإن المولَّد لا يمكنه أن يفلت من قبضة هذين البُعدين المتكاملين؛ لذا وجب التذكير بأن هناك مرحلتين يلزم التفريق بينهما غالباً في ما يتعلق بنشر المولَّد وبخاصة

---

(5) اختصاراً لكلمة abdominaux أي عضلات البطن، كما تطلق مجازاً على التمرينات التي تهدف إلى تنمية هذه العضلات.

(6) ظهرت في ستينيات القرن العشرين في العاصمة النمساوية فيينا.

(7) كلمة مركبة من aéro لاحقة الكلمة aéroport التي تعني «مطاراً»، وكلمة ville أي «مدينة»؛ فإذا ترجمنا الكلمة ترجمة حرفية قلنا «مدينة المطار».

(8) مبيد موجه لقتل الطحالب؛ وهو يضاف عادة إلى الدهان الذي تدهن به السفن لكي لا تلتصق بها هذه الطحالب.

المصطلحات العلمية. وهكذا فإن مصطلح (*sexeur* de poussin) «متخصص في تحديد جنس الطيور» الذي أشرنا إلى وروده في **معجم هاشيت** في طبعته التي ظهرت في سنة 2002، كان قد ظهر قبل ذلك بسنين، أي منذ سنة 1979. كما إنَّ عدداً كبيراً من المصطلحات التي ذُكِرت سابقاً قد عرفت طريقها إلى المعاجم بعد سنين عديدة من ظهورها في نصوص أخرى؛ فمصطلح algicide «مبيد الطحالب»، على سبيل المثال، ظهر في صيغته الوصفية منذ سنة 1974، لكن معرفته كانت مقتصرة على المختصين. أما اليوم فهو معروف في صيغته الاسمية بين عامة الناس جراء بناء عدد كبير من حمّامات السباحة الخاصة في الجنوب الفرنسي. وبما أن أصحابها يقومون بصيانتها بأنفسهم فإنّهم يضطرون إلى شراء هذه المادة l'algicide «مبيد الطحالب».

إذاً فإن مصطلحاً علمياً أو تقنياً يُولَّد داخل لغة متخصصة لتسمية شيء يعرفه عدد قليل من المتخصصين، يمكنه أن يَعرف ولادة ثانية بولوجه فضاءً آخرَ، ألا وهو فضاء الاستخدام العام. وهذا ما يمَكِّن «المولَّد العِلمِيَ» من تجاوز الحضور الضعيف والاستخدام الضيق ويسمح له بمغادرة مسقط رأسه إلى مكان آخر يكتسي فيه حُلَّة جديدة بالقرب من الجمهور الكبير الذي استطاع أن يَكسِبه، فيتمكن بالتالي من الدخول إلى المعجم العام الذي يؤكّد ولوجه إلى رحاب اللغة المشتركة واستقراره فيها.

3 ـ من المولَّد الأدبي المنعزل والخالد إلى المولَّد الشاهد على الزمن المتغيّر

يظل المولد الأدبي في الكثير الغالب خارج المعاجم إذ يكتفي بوجوده دون أي تغيير في الأعمال التي شهدت مَولِده أول مرة. أما

المُولَّد العلمي والتقني فإنه. على العكس من ذلك، يقوم بالشهادة على عالم متغير يمثل بالنسبة إلينا إطاراً على مدى الحياة. لذلك فإننا بمجرد أن نفتح أحد معاجم الكلمات الجديدة من مثل معجم جيلبير (Gilbert) الذي تمت الإشارة إليه سابقاً، أو معجم «الكلمات الرائجة» الذي نشر في السنة نفسها التي نشر فيها المعجم السابق الذكر (*Larousse*, 1971)، نشعر بسرعة مرور الزمن. وهكذا فالكلمات الخمس الأولى من الحرف (ب) في المعجم الأول (معجم جيلبير) (babélisme babélien «فوضى لغوية»، baby-boom، «زيادة عالية في عدد المواليد»، baby-foot «كرة قدم الطاولة»، baby-sitter «حاضنة أطفال»)، وكذلك الخمس الأولى من الكتاب الثاني **شارة** (badge)، balkanisation «بَلْقَنة»، banalisation «ابْتِذال»، voiture banalisée de la police «سيارة شرطة لا تحمل أي علامة تدلّ على ذلك»، banque de données «بنك معلومات»)، استطاعت أن تدخل الاستخدام العام وتستقر فيه إلى الدرجة التي أنستنا أنها كانت تعتبر منذ عقود زمنية قليلة من المولَّد. الأمر الذي يدفعنا حينئذ إلى أن نتذكر ما قاله مونتاين (Montaigne) متفلسفاً في «المقالات» (3,19) في ما يتعلق بهروب الزمن الحساس على صعيد حياتنا المبنية مع رفقة نشطة للكلمات: «إذا أخذنا في الاعتبار التَغيُّر المستمر الذي يتبع لغتنا إلى هذه الساعة فإن أحداً لا يمكنه أن يأمل في أن يظل شكلها الحالي مُستخدماً بعد خمسين سنة قادمة».

ثالثاً ـ المولَّد الناتج عن الخطأ أو المنحرف عن المعيار

يُنظَر إلى الخطأ الظاهر والانحراف المحسوس عن المعيار على أنهما يوجبان التصحيح غير أنهما يدفعان أحياناً في اتجاه كسر الحواجز المقبولة في اللغة وينجحان بالتالي في كسب موقع قدم فيها.

1 ـ في مجال الأصوات

نشير في البداية إلى أن الإدراك السَّمعي الخاطئ للوحدة اللغوية يؤدي في بعض الأحيان إلى توليد كلمة جديدة، فتدوم. من الأمثلة على ذلك «التقطيع الخاطئ» العفوي عند الأطفال الذين لا يلاحظون الوصل بين الصامت الأخير والصائت الأول كما في الكلمات التالية: (un noiseau بدلاً من un oiseau «عصفور»، وun névier بدلاً من un évier «حوض غسيل المطبخ»)، أو أولئك الذين لا يُمَيزون بشكل خاص الأصوات المجهورة في اللغة (gros codile بدلاً من crocodile «تمساح»). كلّ هذه الظواهر تُسَاعد على ميلاد كلمات ظريفة. هذا النوع من التقطيع الخاطئ الذي طبّقه الشعب الذي ظلّ يجهل كتابة الفرنسية زمناً طويلاً قد ساعد علي ميلاد بعض الكلمات التي دخلت إلى اللغة واستقرت فيها نهائياً. وهكذا فقد احتفظت اللغة على مرِّ تاريخها بمجموعة من المولَّدات التي ظهرت إما بسبب إدغام أداة التعريف في الكلمة مثل: (le lierre بدلاً من l'ierre «اللبلاب»، وla luette التي كانت تنطق l'uette «لهاة»، وun nombril التي أصلها un ombril «سُرَّة» وإما بسبب العكس، أي بفك أداة التعريف في مثل la griotte التي أخذت مكان l'agriotte «نوع من الكَرَز»، وma mie بدلاً من m'amie «لُبّ الخبز»... الخ)، كما وظفت الفرنسية العامية أيضاً هذه الوسيلة في توليد بعض الكلمات التي منها في فرنسية أهل فرنسا مثلاً: zyeuter[9] «نظر بتمَعُّن» من (les zyeux) «عيون»، و le nhomme[10] «رجل أو إنسان» (l'homme) في فرنسية أهل أبيدجان.

---

(9) فعل مشتق من zyeux المتحولة عن yeux بعد إدغام أداة التعريف les فيها».

(10) وهي حاصل كلمة homme رجل أو إنسان وأداة التنكير un بعد إدغام هذه الأخيرة في الأولى.

على أن بعض الصيغ والتراكيب الخاطئة قد تنتشر بطريقة أو بأخرى في الاستعمال الجاري، على الرغم من مخالفتها المعيار ولا تمثل الاستخدام المثقف بحيث يكاد بعضها يحتاج إلى شيء من الاعتذار عنها إذا وردت في بعض مواقف التخاطب، كما هو الحال عندما يذكر أحدهم «مشاكله المالية» مُستخدِماً كلمة (pécuniaires) فإن تعليقاً وقائياً يفرض نفسه على شاكلة: إن هذا ليس من الخطأ، وإن كلمة (pécuniaires)، على الرغم من كثرة تداولها في لغة الكلام، غير موجودة، أي أنها لا تنتمي إلى اللغة المعيارية.

2 ـ في مجال الدلالة

إن تغيّر مستوى استخدام كلمة ما يبدو في بعض الأحيان جلياً وواضحاً إلى الدرجة التي يأخذ فيها شكلاً توليدياً؛ ففي نهاية القرن العشرين تعرَّض الفعلُ gruger «خَدع»، مثلاً، إلى تغيير دلالي محسوس مكَّنه من أن يُستخدم في مستويين مختلفين: تارة في مستوى اللغة المتأنق وتارة في مستواها العامي. وهكذا فإن المعاجم، مثل معجم **روبير الكبير للغة الفرنسية** (*Le gand robert de la langue française*) في طبعته المزيدة التي ظهرت في عام 2001 وكذلك معجمَي **لاروس الصغير** (*le Petit larousse*)، وهاشيت (*Hachette*) (2003)، ظلت وَفِيَّةً للمستوى الأول، فاستمرت في تعريف هذه الكلمة باعتبار استخدامها المتأنّق (voler «سَرق»، وtromper «خَدع» **لاروس الصغير**: 2003). من جهة أخرى فإن هذا الفعل نفسه قد عَدَّه جان بيار غودايبه (Jean-Pierre Gaudaillier) في «معجم فرنسية الضواحي المعاصرة: كيف تتواصل مباشرة عبر الإنترنت؟» المنشور في سنة 1997 مرادفاً عامياً للفعل arnaquer «غَشَّ» منذ سنة 1995 على الأقل: «للغش في مترو الأنفاق أساليبه الخاصة»، كما استخدمته في صيغته الاسمية وفي التاريخ نفسه إحدى فرق موسيقى

الراب في شريط لها بعنوان: (شعراء الشارع الحكماء) مرادفاً للاسم embrouille «تشويش لغرض الخداع» وكذلك للاسم lézard «سحلية»[11]. وفي السياق نفسه فإن لا فونتين (La Fontaine) الذي يُستشهد به غالباً لإثبات الاستخدام الأدبي للفعل gruger «خدع» يمكن أن يبدو، بدون قصد، في نظر تلاميذ نهاية القرن العشرين، رائداً لفناني موسيقى الرَّاب عندما يقرأون قوله على لسان إحدى شخصياته (حكايات لافونتين 1/ 21) «هم يغشوننا. إنّهم يقتلوننا ببطء» (On nous mine par des longeurs): on nous gruge.

والتوليد يتم أيضاً، من دون علمنا تقريباً، بالإضافة وبالتجديد أو بتطوّر مستويات الاستعمال اللغوي للكلمات التي لا تُقيَّدُ مباشرة في المعاجم. من ناحية أخرى فإن المعيار يظل محافظاً على مكانته كما إنَّ الاستخدامات التي تبتعد عنه تظل ينظر إليها بشكل أو بآخر باعتبارها أخطاء، ويجب عليها أن تستمر وأن لا تختفي لكي تتمكن من نيل حقها في الاستشهاد بها.

(11) ومعناها في اللغة العامية «مشكلة».

الفصل الثالث
المولَّد في الأدب

«مبدع للغة جديدة بمزادة مليئة بالعبقرية (...) أنا لا أخاف من الكلمات. اللغة الفرنسية نبيلة خلية البال».

فريدريك دارد (Frédéric Dard)
Mes délirades (1999).

«المولَّد ليس إلا علاجاً بائساً للعجز».

فيكتور هوغو (Victor Hugo)
Conseil littéraire (1826)

«معشر الكتّاب: ما هي الكلمات التي استحدثتموها؟» هذا ما عنونت به مجلة **إقرأ** (*Lire*, no. 294 (2001)) مذَكِّرَةً في مقدمة الملف المخصص لهذا الموضوع بأن «حبّ الكُتَّاب اللغة الفرنسية يقودهم في الكثير الغالب إلى أن يمنحوها أولاداً رائعين». إن الإبداع اللغوي يمثّل في الواقع جزءاً لا يتجزأ من أسلوب الكاتب الذي يعتبر بحكم ماهيته عنصراً فاعلاً في اللغة يجب عليه أن يضعها في خدمة ما يرغب في التعبير عنه، لكن تشجيع التوليد يظل مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بشخصية الكاتب من ناحية، وبالظروف الأدبية من ناحية أخرى.

أولاً ـ العصر الوسيط المتقلب والإبداع العفوي

إن التغير الكبير الذي طرأ على اللغة الفرنسية منذ الفرنسية القديمة إلى الفرنسية الوسيطة، أي ما بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر، يجعل التفريق بين المُولَّد المرتبط بلغة في مرحلة تَشَكُّل واسع وبين ذلك المنسوب إلى كُتَّاب تلك الفترة أمراً فيه من الصعوبة ما فيه. وفي هذا السياق يلاحظ موريس رايمس (Maurice Rheims) في مقدمة: **معجم الكلام الوحشي** (*Dictionnaire des mots sauvages*) الصادر في سنة 1969 أنه على مدى العصر الوسيط «تعرضت اللغة الفرنسية التي كانت أشبه ما تكون بقلعة غير محروسة بشكل جيد، بدون توقف، لاجتياح عناصر إقليمية وحدودية». كما إنَّ الكتاب قد قاموا بالتوليد مستعينين على ذلك بالاقتراض من الإغريقية ومن اللاتينية ومن لغات حية أخرى. وهذا ما يفسر أن المصطلحات السياسية المستعملة اليوم التي ظهرت أول ما ظهرت ما بين عامي 1371 و1375 قد تمت ترجمتها من كتب لا تينية في الفلسفة السياسية. إذاً فبفضل المترجمين الفرنسيين، كما يوضح أوليفييه برتراند(*) (Olivier Bertrand) الذين طُلب منهم المشاركة في هذا العمل وبخاصة أولئك الذين استعان بهم شارل الخامس، (Charles V) من مثل أوريسم (Oresme) وفولشا (Foulchat) وراؤول دو بريسل (Raoul de Presles)، ورث القرن الرابع عشر هِبَة مُمَثلَة لاتجاهات ولحقب زمنية مختلفة حيث يوجد فيها جنباً إلى جنب أرسطو (Aristote)، وتيت لايف (Tite-Live)، وسانت أوغسطين (Saint Augustin) وجان دو ساليسبوري (Jean de Salisbury)... إلخ. ومن

(*) Olivier Bertrand, *Du vocabulaire religieux à la théorie politique en France au XIVe siècle: Les néologismes chez les traducteurs de Charles V (1364-1380)* (Paris: [s. n.], 2002).

حبر أقلامهم عرف معجم النظرية السياسية الفرنسي مصطلحات من مثل démocratie «ديمقراطية»، corruption «فساد» dissolution «حَل»، doctrine «مذهب»، tolérer «سامح»، usurper «اغتصب».

لقد تميزت الفرنسية أيضاً باعتبارها لغة سيَّالة ملائمةً للإبداع، بغضّ النظر عن الترجمة، بحرية واسعة في الإلحاق وهو ما يثبته وجود الكلمات الآتية معاً: abitement، abitance، abit، abitage، abitail. لتعريف السكنى، لكن ذلك يُفصح عن قلَّة في عدد الجذور.

على الرغم من أن ذلك الأدب الوليد قد اعتمد في انتشاره على الرواية الشفهية، نظراً إلى قلة القرَّاء آنذاك، إلا أن ذلك لم يَحُدَّ من قدرته على التأثير على اللغة التي كانت آنذاك في طور تنظيم وسائل التوليد والخلق اللغوي فيها.

ولأن القالب الشعري، وبخاصة ذلك الذي كان يرويه شعراء التروبادور (les troubadours) والتروفير (les trouvères)، أسهل في الحفظ من [البنية النثرية] فقد تمكن من فرض نفسه أولاً؛ فبساطة أغنية رولاند (Roland) (القرن الثاني عشر) التي وصلت إلينا في لهجة إنجليزية نورماندية، ورشاقةُ أعمال كريتيان دو تروي (Chrétien de Troyes) (القرن الثاني عشر) التي ترسم صورة واضحة لرواية الغزل العنيف في لهجة إقليم إيل دو فرانس (Île de France)، وكذلك العنصر السردي المسلّي والساخر في الحكايات الشعبية، وفي **رواية رونار** (*Le roman de Renard*) (حيث حلّ اسم البطل رونار (Renard) محل غوبي goupil اسماً للثعلب) اشتركت جميعها، بفضل انتشارها الواسع، في إثراء اللغة التي اكتسبت قوة وحضوراً أدبيين يعوضان نقص قدرتها على التوليد. أما مع **رواية الوردة** (*Roman de la rose*) فقد استطاعت عناصرُ أخرى مثل المجاز، وفن

الحب، وكذلك سعة المعرفة، غزو اللغة الفرنسية. وفي النهاية لا يمكن أن لا نشير في هذا السياق إلى الموهبة الواقعية والساخرة والشخصية لروتوبوف (Rutebeuf) الذي كان مقدمة لغنائية فييون (Villon) الصريحة والمعبِّرة.

وُلِد النثر الأدبي ونَما مع الإخباريين وبفضلهم من مثل فيلاردوين (Villehardouin) وجوانفيل (Joinville) الرسامين الدقيقين للحملات الصليبية، وكذلك بفضل فرواسار (Froissart) ووصفه الدقيق والمتنوع لمباريات المبارزة وحرب المئة سنة. وفي النهاية مع كومين (Commynes) الذي استطاع باهتمامه بلويس الحادي عشر إدخال فن الوصف النفسي، وكذلك التحليل السياسي.

لكن على الرغم من أن التوليد لم يُتَبَنَّ بطريقة صريحة وواضحة في العصور الوسطى، فإن هذه القرون الخمسة من الأدب التي لم تدرس علاقتها بالإبداع اللغوي إلا نادراً، تظل حاسمة بالنسبة إلى اللغة الفرنسية.

ثانياً ـ القرن السادس عشر والتوليد المناضل

يقول رونسار بإعجاب في ما ينقله عنه فرديناند برونو (Ferdinand Brunot) «كلّما زادت مفردات لغتنا أصبحت أكثر كمالاً»(*)؛ لذلك فقد كان النهج الذي اختاره هذا الأخير هو وآخرون من شعراء «**الثريا**» (*Pléiade*) كـ دو بيلاي (Du Bellay) هو إثراءَ اللغة الفرنسية بالمفردات لكن من دون اللجوء إلى الاقتراض من اللغة الإيطالية التي كانت رائجة آنذاك أدبياً وسياسياً.

(*) Ferdinand Brunot, *Histoire de la langue française*, t. 2, p. 168

1 ـ التجديد اللغوي بإضفاء قيم جديدة على ما هو موجود

الدفاع عن اللغة الفرنسية وتوضيحها عنوان كتاب ذي صبغة نضالية ألّفه يواكيم دو بيلاي، ونشره في سنة 1539. هذا العمل الذي مَثَّلَ رَدَّةَ فِعلِ كُتّاب **الثريا** (*Pléiade*) على نفوذ وتسَلُّط الشعر اللاتيني الجديد، يلخص السياسةَ اللغويةَ التي روَّجت لها هذه المدرسة الشعرية لإثراء اللغة الفرنسية.

وتقضي هذه السياسة بالتشجيع على الاقتراض الداخلي في صوره المتعددة، ويأتي في مقدمتها إحياء الكلمات القديمة التي سقطت من الاستخدام اللغوي: «عليك، لتحقيق ذلك، أن تنظر في كلّ هذه الروايات القديمة وفي ما كتبه الشعراء الفرنسيون حيث يمكنك أن تجد مثلاً ajourner بمعنى «الوقت نهار»، [...] وanuyter بمعنى «الوقت ليل»، وأيضاً assener بمعنى frapper «ضرب»، وكذلك ألف كلمة أخرى جيدة أضعناها بسبب إهمالنا».

ويشكّل الاقتراض من اللهجات الإقليمية مَصْدَراً ثانياً من مصادر الاقتراض الداخلي. يُلجأ إليه، بحسب رونسار في كتابه **الفن الشعري** (*Art poétique*) المنشور في سنة 1565، «عندما لا تجد كلمة أفضل منها وأروع في لغتك القومية».

وعلى الشاعر في النهاية، كما يقول، أن لا يتردد في استخدام مصطلحات أصحاب الحرف مثل «الميكانيكيين والبحارة والسباكين والدهانين والنقّاشين وغيرهم».

أما عن الاقتراض من اللغات الأجنبية الحية فلم يكن موضع ترحيب؛ إذ على الرغم من أن الاحتكاك بالوقائع السياسية[1] (les Médicis) وبالثقافة الإيطالية قد زوّد اللغة المستخدَمَةَ بعدد كبير من

(1) أسرة إيطالية حكمت فلورنسا ما بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر وكانت لها علاقات نسب ومصاهرة مع من كانوا يحكمون فرنسا في ذلك الزمان.

الكلمات الإيطالية، فإن استخدامها ظلّ دائماً موضع اعتراض، وهو ما تعكسه نصيحة دي بيلاي الآتية «استخدم الكلمات الفرنسية الصافية».

2 ـ التشجيع على الإبداع اللغوي

هناك مجموعة من الصيغ قد تمّ تشجيعها في ذلك العصر من مثل: التركيب القائم على بناء وحدات لغوية من صفتين كما في: (aigre-doux «حامض حلو»)، أو من اسمين مثل (homme-chien «رجل كلب»)، أو من أفعال ومفاعيلها) l'été donne-vin الصيف «المعطاء للخمر»، le mouton porte-laine الخروف «الحامل للصوف»).

ثمّ يأتي الاشتقاق وبخاصة الترقيد أي» الاشتقاق بإضافة اللواحق» (le provignement) الذي يعرِّفُهُ رونسار في المقدمة الثانية لكتابه **الفرنسية** (*La franciade*) (1572) هكذا: «إذا كانت الكلمات القديمة التي سقطت من الاستعمال قد تركت بعض الفروع فإنك تستطيع أن تُرَقِّدها وتعدِّلها وتعتني بها لتتكاثر من جديد، كما تتجدد من البراعم أغصان الأشجار المقطوعة؛ فمن lobbe التي هي كلمة فرنسية قديمة، والتي تعني «السخرية والتهكم» يمكنك أن تشتق الفعل lobber «سَخِرَ» مبنياً على الاسم.

هناك أيضاً وسيلتان أخريان من وسائل الاشتقاق حظيتا باهتمام مميَّز في ذلك العصر، وهما: التصغير الذي يبدو أنه كان يتمتع بمكانة مميزة وبخاصة عند رونسار كما تشهد على ذلك الكتابة الموجودة على قبره «Amelette Ronsardelette، Mignonnelette doucelette» [حيث أضاف لاحقة التصغير إلى اسمه ولقبه وأيضاً إلى الصفات التي تلتهما. وهي mignon «ظريف»، وdouce «لطيف»].

والاشتقاق القائم على تحويل الأفعال إلى أسماء من دون إحداث أي تغيير فيها، مثل: le chanter «الغناء»، le mourir «الموت»، le vivre «الحياة»، le savoir «العلم»[2].

ويبقى في النهاية الاشتقاق من الكلمات المقترضة من اللغتين اللاتينية والإغريقية من مثل: exceller «تَفَوَّقَ»، وinversion «عَكْس»، وperennel «خالد»، وlyrique «شِعري»، وstratagème «خُطَّة». وهكذا يستطيع دي بيلاي، بعد أن سلَّحَ الشَّاعِرَ بِكُلّ هذه النَّصَائح، أن يَحُثَّه على التوليد المعجمي قائلاً: «لا تخش إذاً يا شاعر المستقبل أن تُجَدِّد بعض المصطلحات في قصيدة طويلة».

لكن لنتذكر من جهة أخرى أن القرن السادس عشر بلغته السيَّالة والخِصْبة قد شهد، من دون اعتماده أي برنامج، ميلادَ رابليه، نابغة التجديد اللغوي الذي كان يقترض بغزارة من كلّ المستويات اللغوية ومن كلّ اللهجات.

ثالثاً ـ التوليد المثير للجدل في القرنين السابع عشر والثامن عشر

1 ـ رفض التوليد باسم الفصاحة والاستعمال

بما أن اللغة الفرنسية قد بدأت مع نهاية القرن السادس عشر تخسر شيئاً من وحدتها، فإن ذلك قد خلق رَدَّة فعل بدأت مع بداية القرن السابع عشر، وتَمَثَّلَتْ في الدعوة إلى تنظيم اللغة وضبطها. يأتي على رأس أولئك الذين تبنوا هذا الاتجاه شاعرُ القصر ماليرب (Malherbe) (1555 ـ 1628) الذي دعا إلى ضبطِ اللغة الأدبية وتنقيتِها

(2) التي تعني: غَنَّى، ومَاتَ، وعاشَ، وعَلِمَ، ولكن بإضافة أداة التعريف أمامها.

واعتبر ذلك أمراً لا مفرّ منه؛ فاللغة، طبقاً للاستخدام الجاري، في تقديره، يجب أن تكون مفهومة من جميع مستخدميها بمن فيهم، على سبيل المثال، «الحمَّالون في بور أو فوان (Port-au-Foin)»؛ لذا يجب تخليصها من مقترضاتها اللاتينية، ومن مفرداتها الإقليمية، وكذلك من المصطلحات التقنية، ومن العبارات القديمة، وأيضاً من كلماتها «الوسخة» أو «الهابطة» من مثل: (barbier «حَلاَّق»، وpoitrine «صَدْر»). إذاً فالوضوح والبساطة معياران مفضَّلان لديه. هذا وقد أخذ عليه فيكتور هوغو تَصنيفَه مفردات اللغة في طبقات ذاتِ بُعدٍ اجتماعي: الكلمات «الشريفة» والكلمات «الدَّهْماء». ليس الزمان زمان التوليد.

أما فوغلاس (Vaugelas) (1585 ـ 1860) الذي أُسْنِدَت إليه مهمة تحرير أول «قاموس» للأكاديمية الفرنسية، فقد نشر في سنة 1647 كتابه **ملاحظات على اللغة الفرنسية** (*Remarques sur la langue française*) الذي أسس فيه لمذهب (التصحيح) المبني على اختيار «القسم الأسلم من كلام الفئة الأرقى في البلاط وكُتَّاب العصر». وقد صار مرجعاً للكُتَّاب، وبخاصة الكلاسيكيين منهم؛ لأنه كان حريصاً على أن تكون اللغة، دقيقة، نقية، بعيدة عن الغموض خاضعة للعقل، ولأنه كان ينظر إلى كلّ مُولَّد نظرة شكّ وارتياب، إذ كان يري أن «استخدام كلمة قديمة موجودة في اللغة يظل دائماً الخيار الأفضل».

إن الفكرة التي سادت منذ أن تأسست الأكاديمية الفرنسية في سنة 1635، هي تلك التي تذهب إلى أن التوليد يمكن أن يحط اللغة من منزلة الإتقان التي كان أكثر الكتاب يعتقدون أنها قد وصلت إليها. فها هو فولتير يقول، بحسب ما نقله فرديناند برونو (Ferdinand Brunot): «إذا كنت لا تفكّر فلتخترع كلمات جديدة»[*].

(*) *Histoire de la langue française*, t. 10, chap. VI.

لقد أبدى بيار بوهور (P. Bouhours) (1628 ـ 1702) الناقد واللغوي عداءً شديداً للمولَّد، وكانت نصائحه موضع ترحيب كبير عند راسين على سبيل المثال؛ بل إن معارضته للتوليد قد أخذت منحى جدلياً ضدّ الجانسيين[3] (les Jansénistes) وبخاصة ميناج (Ménage) مؤلّف كتاب **الناثر** (*Prosateur*) المُولَّد موضوع جدال!

2 ـ المؤيدون للإثراء المعجمي

لقد أسلم المتحذلقون، سواءٌ منهم الذين تجمعوا حول كاترين دو فيفون (Catherine de Vivonne) أو أولئك الذين تحلقوا حول الماركيزة دو سكيديري (de Scudéry) أنفسَهم إلى مُتَع المحادثة المُرهِفة محاولين البحث عن التميُّز في المحادثة نفسها كما في طرق أدائها، باذلين الجهد في أن يكون أسلوبهم متأنقاً رغبة منهم في الابتعاد عن شَبَه العامة. وقد وُلِدت وتَرَعرعت في هذه المنتديات التي كان يرتادها ميناج (Ménage)، واسكارون (Scarron)، والسيدة دو سيفينيي (de Sévigné)، والسيدة دو لافاييت (De Lafayette) مجموعةٌ من الكلمات الجديدة، مثل: incontestable) «لا يمكن الاعتراض عليه»، وanonyme «خَفِيٌّ»، وenthousiaste «مُتَحمّس»)، وبتأثير هؤلاء ونفوذهم بدأ تحويل الصفات والأفعال إلى أسماء: (le bon «الجيد»، وl'utile «المهم»، وle ridicule «المثير للسخرية»)، وكذلك استخدام كنايات مثيرة للسخرية من مثل: les belles mouvantes «المتحركات الجميلات»، وles chers souffrants «العزيزات المتألمات» كناية عن الأيدي والأرجل.

من الظواهر التوليدية أيضاً تلك التي اعتمدت الأسلوب الساخر

(3) أتباع مذهب ديني وأخلاقي انتشر في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

الذي لجأ إليه بعض كتّاب تلك الحقبة وعلى رأسهم سكارون (1610 ـ 1660). من الأمثلة على هذه الظاهرة التوليدية التي تمثلت في معالجة مواضيع شريفة بأسلوب هابط أو العكس، أي معالجة مواضيع هابطة بأسلوب راقٍ: chausser ses lunettes «انتعل نظاراته»، وse grouiller «استعجل»، وclocher «عَرَج»، وgrosse dondon «امرأة سمينة»، وgigots (cuisses) «أفخاذ». كلّ هذه المفردات عرفت انتشاراً كبيراً بفضل هذا التيار الأدبي، كما إنَّ هناك مُولَدات أخرى لم تُحقق الانتشار نفسه فنُسيت وطويت صفحتها مثل: califourchonner وJupiterie.

لقد تمكن ماريفو (Marivaux) و«المعلمون الصغار» الذين اعتُبِروا ورثة اتجاه التحذلق في القرن الثامن عشر على الرغم من السخرية التي كانوا يواجَهُون بها والتي كان سببها «ردّة الفعل ضدّ التوليد» بحسب عبارة جان بيار سوغان (Jean-Pierre Seguin) أن يحققوا بعض النجاحات بما استحدثوه من كلمات من مثل: bienfaisance) «إحسان»، وimpressionner «أثَّر في»، وperfectionnement «إتقان») إلى الدرجة التي دفعت بعض المعجميين إلى أن يخصصوا في سنة 1725 لهذه الحذلقة الجديدة معجماً سمَّوه «**المعجم التوليدي الموجه للعقول الذكية في هذا القرن مع المدح التاريخي لقصة سروال فيبيس** (*Dictionnaire néologique à l'usage des beaux esprits du siècle avec l'éloge historique du pantalon phoebus*) (Pantalon Phoebus)». من الذين يُمَثِّلون هذا الاتجاه هناك أيضاً ماريفو (Marivaux) المُرهَفُ ومؤلِّفُ التمثيليات الخفيفة القائمة على الغزل الرقيق والمتصنع (le marivaudage[4]

(4) الماريفادية، نسبة إلى اسم هذا الكاتب ماريفو (Marivaux).

«مداعبة أو تغازُل»). لقد جسد هذا الكاتب في تقدير الجميع هذه الحذلقة الجديدة من دون أن يكون مولِّداً متخصصاً.

أما الاتجاه الموسوعي الذي كان يقوده ديدرو (Diderot) وداليمبير (D'Alembert) اللذان ألفّا «الموسوعة» فقد تميز بالنشر الهائل للمفردات التقنية التي أخذتها في الاعتبار مجموعةٌ كبيرة من المعاجم المتخصصة التي ظهرت آنذاك. إذ أشار الكاهن فيرو (Féraud) في مقدمة **المعجم النقدي** (*Dictionnaire critique*) الذي نشرة في سنة 1781 إلى المصطلحات التقنية، وإلى مولَّدات الكُتَّاب، وأيضاً إلى الكلمات العامية، وقدَّر من دون مبالغة، «بألفي كلمة عدَدَ الكلمات التي ولجت منها إلى اللغة منذ عشرين سنة».

رابعاً ـ من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين: التحرر التدريجي للتوليد

1 ـ الحركة الواسعة للرومانسية والواقعية

يلبي تحرير الكلمات أحد الطموحات الرومانسية، وذلك استمراراً لروح الثورة [الفرنسية] التي قدَّمت إلى اللغة نصيبها من المولَّد كما يشهد عليه «الملحق الجامع للكلمات المستعملة منذ الثورة» والذي نُشِر مع الطبعة الخامسة لـ «معجم الأكاديمية» حيث تمَكَّن ما نِسبتُه ستون في المائة من مداخله التي تبلغ ثلاث مائة مدخل وتسعة مداخل، مثل: (aéronaute «ملاَّح جوِّي»، وalarmiste «مُرَوِّج الأخبار المقلقة»، وcentime «جزء واحد من المائة من الفرنك»... الخ) من الانضمام إلى المعجم نفسه في طبعاته التالية.

يعتبر فيكتور هوغو رمزاً واضحاً للشعور المزدوج الذي يوحي به التوليد آنذاك؛ فهو يعتبره من جهة، «علاجاً بائساً» للكاتب، وإساءة للغة، وهو ما عبَّر عنه بصراحة في مقدمة كتابه **المزج بين**

الأدب والفلسفة (*Littérature et philosophie mêlées*) (1834) حيث يقول: «إن الذي يفسد نسيج اللغة إنما هي الكلمات الجديدة، الكلمات المستحدثة، تلك المصنوعة صناعة». لكنه يمدح من جهة أخرى، في الصفحة السابعة من الجزء الأول من كتابه **التأملات** «الكلمة الخفاقة»، واللغة الدقيقة، وكذلك الروح الوقادة التي خرجت من رحم ثورة 1830، كما إنه فتح باب لغة الأدب على مصراعيه لتدخل منه المفردات التقنية؛ فالكلمة يجب في الحقيقة أن تكون إجابة لحاجة دقيقة، وأن تبدو رشيقة مثل أنفاس العاملين في البحر» (1869).

أما باقي الرومانسيين، وبخاصة شاتوبريان (Chateaubriand)، وبلزاك (Balzac)، فقد كانوا من المؤيّدين للمولَّد، حيث نلاحظ عند الأول مثلاً الشَّعر «المنساب كالجدول»، وكذلك الكلمة الفرنسية القديمة solacier التي تعني (distraire «ألْهَى أو سَلَّى»). كما نجد عند الثاني paladinage «سخاء ظاهر»، وأيضاً une figure vituline) «وجهٌ على هيئة عِجْل» (من الكلمة اللاتينية vitulus أي «عِجْل»).

لم يكن الواقعيون، على الرغم من بحثهم الدائم عن التفاصيل الصغيرة لدقّتها، بحسب عبارة فلوبير (Flaubert) من المعادين للمولَّد؛ فهذا فلوبير، وبعيداً عن حبه لتشويه كتابة الكلمات، كما في: (Hénorme[5] بدلاً من énorme «هائل») لا يتردد في «المراسلات» في استخدام desinviter[*] «ألغى الدعوة»، وignouferie «فساد الأخلاق» رغم كرهه لهذا الفساد، وها هو هويسمان (Huysman) «يجعل زينة ثوب الحمام» (les fanfioles du peignoir) ترتجف، و«يدعم» (adjuve) قواعد الشموع الضخمة.

---

(5) حيث تمت إضافة حرف الهاء (H) إلى الكلمة الأصلية.

(*) Fasquelle, III.

2 ـ البرناسيون والرمزيون والسرياليون: الكلمة الدقيقة ذات المعنى الخَفِيّ أو المزَعزِع

بمجرد أن تتبنى حركة أدبية اللغة فإنها تأخذ في اعتبارها التوليد مباشرة؛ فالبرناسيون (Parnassiens) الذين تبنوا منذ لوكونت دو ليل (Leconte de Lisle)، وهيريديا (Hérédia) مذهب الفن للفن، وما يترتب عليه من حرص على إتقان الشكل، ظلوا مترددين بين الحذر من المولَّد المنتشِر الذي لا يجدي نفعاً وبين الحاجة إلى إبداع الكلمات الدقيقة عند الحاجة إليها. فها هو هيرديا يكتب: «السماء الكبريتية» أي (بلون الكبريت)، كما إنَّ لوكونت دو ليل لم يتردد في أن يصف خَداً نَضِراً بأنه أرجواني اللون.

أما الرمزيون الذين يدينون باسمهم هذا لجان موریاس (Jean Moréas)، فهم مجموعة من الشعراء من مشارب مختلفة يحاولون الكشف بوسائل تعبير جديدة عن السر الكامن فينا وفي من حولنا؛. فمن خلال موسيقى الكلمة القريبة من قلب فيرلين (Verlaine) يمكن إعادة خلق الكلمات وذلك باختراعها، أو بجعلها تنحرف عن معانيها الأصلية. فهذا مالارميه (Mallarmé) الذي كان يتعمد الغموض والإبهام، يختار الكلمات القديمة مثل: (mandore «آلة موسيقية») أو الغريبة: (nixe «جنيّة») أو الملغزة: (ptyx). وقد سار موریاس (Morréas) على خطاه فكتب «s'abvoler de malitornes Tenites» (*Le symboliste*, 14 octobre 1886).

لقد كان أبولينير (Apollinaire) الذي تمنّى في كتابه **القصائد المرسومة** (*Mamelles de Tirésias*) «أن تسمّى كلّ الأشياء بأسماء جديدة»، هو من أطلق اسم السريالية علي هذا الاتجاه الأدبي، في ديوانه «أثداء تيريزياس» (Tirésias) المنشور 1917.

أما الداديون، نسبة إلى الدادية (Dada) التي هي مولّد تَهَكُمِيٌّ أطلقة تريستان تزارا (Tristan Tzara) على هذه الحركة الأدبية سنة 1918، فقد كانوا يرغبون في تدمير «إدراج خزائن المخ، وكذلك إدراج خزائن المؤسسة الاجتماعية». إذا كان بعض هؤلاء مثل أندريه بروتون (André Breton)، وغراك (Gracq)، ومنديارغ (Mandiargues) لا يؤيد التّوليد البتة، فإن منهم من كان على عكس ذلك تماماً مثل بوريس فيان (Boris Vian) الذي كان يتذوق لذة الكلمات، مُولِّداً بدون حدود في كتابيه: «**الخريف في بيكين**» و«**زبد الأيام**»، حيث نجد مثلاً (blocnoter) «كَتَبَ مذكرات»[6]، وأيضاً (blairnifler) «يحبّ السطو»[7] ومثل ريمون كوينو (Raymond Queneau) الذي أنشأ في سنة 1960 الأوليبو (l'OULIPO) «مشغل الأدب الكامن» الموجّه «لدراسة الأشكال والأبنية الجديدة» والذي استقبل من بين من استقبل جورج بيريك (Georges Pérec). إن كوينو مؤلّف **الوردات الزرقاء** يجيد في الواقع استخدام سحر الكلمات مازجاً بين الغرابة والبساطة، الأمر الذي يجعله مفهوماً من الجميع يستوي في ذلك المؤيدون [للمولّد النِّظَامي] كما في (tristouillet[8] «حزين قليلاً» والذين لا يعارضون الاقتراض في مثل: (piqueup[9].

لكن المولّد الأكثر حدَّةً يرجع إلى ألفريد جاري (Alfred Jarry)، مؤلّف مسرحية الملك إيبو (Ubu)، ومن أمثلته هذه الكلمة

---

(6) فعل مشتق على الطريقة الإنجليزية من الاسم bloc-notes الذي يعني كتاب مذكرات أو ملاحظات.

(7) فعل منحوت من فعلين هما blaire «أحب» وnifler «سطا أو انتحل».

(8) كلمة عامية تعني «حزين قليلاً» وهي مشتقة من الصفة triste «حزين».

(9) تعديل كتابي للفعل الإنجليزي pick up «جمع أو قطف».

التي جاءت على لسان بطل المسرحية: Merdre «غائط»[10] وأيضاً (voiturin à phynances «عربة لتحصيل الضرائب»).

أما هنري ميشو (Henri Michaux) مؤلّف قصيدة **المعركة الكبيرة** (*Grand combat*) «فهو يُولّد» il le rague «يؤثر فيه» il le rague et le roupète jusqu'à son drâle «ينفذ إلى قلبه» (أي il le touche et le transperce jusqu'à son cœur «يؤثر فيه وينفذ إلى قلبه»)، وأنتونان أرتو (Antonin Artaud) الذي وصفه موريس رايمس (Maurice Rheims) بـ «مبدع الكلمات الرائعة» فقد ولَّد على سبيل المثال: (caffeuse، bridaline)، وكذلك سيلين (Céline) الذى وَلَّد (emberlifiquer، carafouiller، فإنّهم يمارسون توليداً يبدو أحياناً حزيناً، وبهيجاً أحياناً أخرى.

3 ـ بروز الأنواع الأدبية المولَّدة

كتب سان أنتونيو (San-Antonio) في: «**بالطول، بالعرض، وفي الوسط**» الصادر في عام (1958) «أنا هو مستقبل اللغة». ورواية الجريمة، بدءاً بـ ـ ليو مالي (Léo Malet)، ومروراً بـ ـ سيمونان (Simonin)، ولو بروتون (Le Breton)، وانتهاء بـ بودار (Boudard) تُعَد مصدراً من مصادر المولَّد التعبيري وكذلك الكلمات المقصورة على بعض المهن وبعض الشرائح، كما عرفت أعمال فريدريك دارد، المتأثرة بأعمال رابليه، هذه النشوة التوليدية إلى الدرجة التي أصبح فيها الإبداع اللغوي خاصية من خصائصها.

وأخيراً فهناك مولَّد التسمية والمستقبلي لقصص الخيال العلمي الذي يعدُّ صدى للمولَّد الصَريح والواقعي والإيحائي لرواية الجريمة (الرواية البوليسية).

---

(10) واصفاً بها مصران خنزير محشو l'andouille.

أما القصة المصورة الغنية بالكلمات الجديدة المولَّدة عن طريق المحاكاة فقد جعلت من نفسها، إلى جانب أدب الصور المتحركة استمراراً للنوعين السابقين (رواية الجريمة وقصص الخيال العلمي)، ومولِّدة بطريقة تلقائية.

لكن الكاتب، سواء أكان مؤيداً للمولَّد أم كان معارضاً له، لا يسعه إلا أن يقف دائماً مندهشاً أمام قوة الكلمة الجديدة، ولو كانت ثمرة خطأ مطبعي، مثل كلمة vilence بدل (vilenie «دناءة») التي وجدها أندريه جيد ووظفها بتلذذ في يومياته بتاريخ 6 آب/ أغسطس 1926.

الفصل الرابع
علامة لغوية متغيرة

«لا يمكن أن يتجاوز عدد علامات أي لغة عدد أفكار أهلها».

أنطوان دستو دو تراسي (Antoine Destutt de Tracy)
Eléments d'idéologie (1804).

أولاً ـ علاقة جديدة بين الدال والمدلول والمرجع

بما أن المُولَّد عبارة عن علامة لغوية تتضمن، مثل باقي العلامات اللغوية، مدلولاً (معنى) ودالاً (شكلاً) يحيلان إلى مرجع غير لغوي، فإن أي تغيير يمسّ واحداً أو أكثر من هذه الأقطاب الثلاثة للمثلث السيميائي يؤدي إلى تعديل في العلاقة بينها وبالتالي فإنه يؤثر في العلامة كلها.

1 ـ شكل جديد ومعنى جديد

هذه، من دون شكّ، هي الصيغة التي تخطر ببال الجميع عندما يتم الحديث عن المُولَّد.؛ فظهور أشياء وأفكار جديدة بفضل تقدّم المعارف والتقنية يُمَثِّل منذ وقتٍ طويلٍ الحجةَ الأساسية المستخدمة في تبرير المُوَلَّد حتّى بالنسبة إلى أولئك المدافعين عن صفاء اللغة؛

لذا فإننا كثيراً ما نشعر ببداهة الحاجة إلى تسمية حقيقة جديدة، ونلاحظ حينئذ وجود صيغ عديدة تتنافس في ما بينها قبل أن تستطيع إحداها محو الأخريات، كما يوضحه المثال التالي، حيث استطاعت الصيغة التالية (sidéen) إبعادَ صيغ أخرى مثل (sidatique، sidaïque) في تسمية المصاب بمرض نقص المناعة المكتسب. وبما أن المُولَّد قد يهدف أحياناً إلى الإشارة بصراحة إلى الجِدَّة التي يُمَثِّلُها الشيءُ الذي هو موضوعُ التسمية، فإن ذلك يكفي تفسيراً لظاهرة كثرة المولَّد في الإعلانات المخصصة للبضائع الصناعية (caméscope «مُصوِّرَة مرئية»، collant intéllijambe[1] «جورب ذكي يغطي الساق»)، أو تلك المعنية بالخدمات (customeriser)[2] «تغيير أو تعديل»). كما إنَّ تطور المجتمع، وكذلك أعرافه وتقاليده، يقود إلى خلق أوضاع قانونية جديدة بتسميات جديدة أيضاً مثل الاسم (pacs عقد مدني ينظم العلاقة بين اثنين يعيشان معاً، والصفة pacsés للشخصين اللذين يعيشان وفق هذا الوضع، والفعل se pacser لمن عاش وفق هذا العقد) من جديد[3].

2 ـ معنى جديد لصيغة قديمة

لم تعد الفأرة منذ ظهور الحواسب الآلية الصغيرة، ذلك القارض الصغير فقط، وإنما صارت تعني أيضاً عنصراً يُوصَل بالحاسب الآلي. كما إنَّ (le bouffon «المضحِك») لم يعد يشير اليوم بالضبط إلى ما كان يشير إليه في الماضي عندما كان يتعلق الأمر بوضع اجتماعي معيَّن، يقوم فيه خادم الترفيه عن مخدومه. وفي

(1) حيث الجدة في الكلمة الثانية المركبة من (intelli (gence ذكاء وjambe «ساق».
(2) فرنسة للفعل الإنجليزي customiz الذي يعني صنع أو عدَل.
(3) أي الأسر التي يكون فيها لكلا الزوجين أولاد من زواج سابق.

السياق نفسه بدأ الظرف (trop) يفقد في الغالب معنى المبالغة الذي كان له ليعبّر فقط عن الكثرة التي يعبّر عنها الظرف (très).

هناك أيضاً الصفة (mortel «قاتل أو مميت») التي صارت تستخدم اليوم لوصف مواقف مثيرة وحماسية حيث بتنا نسمع عبارات من مثل: «هذا قاتل» أي «هذا رائع». الأمر نفسه ينطبق على الفعل (craindre) الذي لم يعد يعني فقط الخشية والخوف وإنما يحمل أحياناً معنى السخرية أيضاً، حيث يقال عن شخص ما أو عن شيء ما (عن ثوب في الغالب) إنّه «يخيف» أي يثير السخرية.

وهكذا يمكن أن نطيل بسهولة لائحة هذه الكلمات التي تفلح في اكتساب معانٍ جديدة من دون أن تحتاج إلى أدنى تغيير في صيغها الصرفية، وإنما يتم إلحاق هذه المعاني الجديدة بتلك القديمة، ولكن هذا الجديد يمكن أن ينتهي به الأمر أحياناً إلى إلغاء القديم.

لقد استخدمنا مصطلح (mot «كلمة») عوضاً عن lexie «لفظ بسيط أو مركب» التي قد تكون أكثر دقة لتسمية الوحدة المعجمية رغبة في التسهيل على القارئ وفي عدم تضليله[*].

3 ـ صيغة جديدة لمعنى قديم

إن الحاجة إلى اسم جديد لتسمية أشياء موجودة في الواقع من قبلُ أمرٌ لم يتم التطرقُ إليه في علاقته بالتوليد إلا في القليل النادر، على الرغم من وجود هذا النوع من المولَّد بوفرة وارتباطه بمواقف مختلفة في الحياة منها:

(*) Jean Tournier, *Précis de lexicologie anglaise* (Paris: Nathan, 1991; 1991), et Jean-François Sablayrolles, *La néologie en français contemporain: Examen du concept et analyse de productions néologiques récentes* (Paris: H. Champion, 2000).

أ ـ ظواهر مرتبطة بذوق العصر

من الظواهر التي يمكن ملاحظتها، على الرغم من عدم القدرة علي تبريرها بسهولة، ظاهرة استبدال بعض الكلمات بأخرى تبدو أكثر حداثة. كما حصل لكلمات مثل: commanditaires وsoutiens financiers، وparrainages التي حلت محلّها sponsors «راع مالي»، وكذلك كلمة entraîneur التي أخذت مكانها إلى حدّ بعيد الكلمة الإنجليزية coach «مُدرِّب».

أما في بعض المجالات الأخرى فقد تمّ استحداث كلمات لتحل محل أخرى تفضيلاً للتلميح على التصريح؛ لذا فإن كلمات مثل: malvoyant «سَيّىء النظر»، وmalentendant «سَيِّىء السمع»، وlacune cognitive «فجوة إدراكية» قد بدأت تستعمل تفادياً لاستخدام «أعمى» و«أصم» و «خطأ»، بل إن الكلمتين الأوليين قد حلّ محلّهما déficient visuel «ضعيف النظر» وdéficient auditif «ضعيف السمع». كما إننا لم نعد نتحدث عن أمراض زهرية (maladies vénériennes) وإنما عن MST «أمراض تنتقل جنسياً».

ب ـ تَغَيُّر في طرق التفكير

إن التسميات الجديدة لوقائع قديمة ومتطابقة يصاحبها في الغالب الأعم بعض التعديلات في طريقة تصورنا لها مما يترتب عليه بعض التغيير في المعنى؛ لذا فإن الاستغناء عن كلمة fille mère «فتاة أم» ليحلّ محلّها mère célibataire «أم عَزْبة»، وحديثاً جداً foyer monoparental «بيت براعٍ واحد»، يعني أن المعني قد ظلّ هو نفسه من دون أدنى تغيير، وبخاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن الكلمة الأخيرة تتضمن أوضاعاً أخرى غير تلك المتعلّقة بالولادة خارج إطار الزواج كالانفصال والطلاق والتَّرمُّل. والأمر نفسه ينطبق على تسميات les filles de la salle «فتيات الصالة»، وles femmes de ménage

«النساء الخادمات» اللتين حلّ محلّهما - des aides soignantes «مسعفات في مجال الصحة» وtechniciennes de surface «فَنِّيَات المكان».

ج ـ إعادة تسمية أشياء قديمة

إن ظهور حقائق جديدة بأسماء جديدة يقود في بعض الأحيان إلى إعادة تسمية أشياء قديمة على الرغم من استمرارها في الوجود من دون تغيير(*). وهكذا فإن ظهور «غسالات الأواني» (lave-vaisselle) قد أدى إلى إعادة تسمية ما كان يطلق عليه «آلة تنظيف» (machine à laver) ليسمّى «غسالة ملابس» (lave-linge)، وكذلك الأسطوانات التي أصبحت تسمى أسطوانات بلاستيكية، (وأحياناً بلاستيكية فقط)، أو أسطوانات سوداء منذ أن بدأت انطلاقة الأسطوانات المضغوطة أو س د (هذا الازدواج في التسمية يُشْعِرُ بالطَّبيعة التَوْليديَّة للتسميتين).

د ـ تجديد الأشياء الموجودة

إن إدخال تحسينات وتعديلات على بعض المنتجات الصناعية قد يؤدي في بعض الأحيان إلى تغيير أسمائها على الرغم من عدم التغيّر في عملها الأساسي، كما حدث مع ما يسمّى الآن «آلات إعادة إنتاج الأصوات المسجلة على أسطوانة» **(روبير الصغير الجديد)** حيث تطور هذا الاسم بدءاً بـ phonographe «حاكٍ» (1877)، إلى phono[4] (1900)، ثمّ إلى gramophone (1901)، ثمّ إلى pick-up «لاقط صوت» (1928)، ثمّ إلى électrophone «حاكٍ كهربائي»

(*) انظر: Jacques Pohl, «Néologie à rebrousse-temps,» *Cahiers de lexicologie,* no. 63 (1993).

(4) اختصاراً للكلمة السابقة (phonograph).

(1929)، ثمّ إلى lecteur «قارئ» (1934)، قبل أن يظهر -tourne disque «مذيعة أسطوانات» (1948) وكذلك platine (tourne disque) «قرص دوَّار في الحاكي» (1963)، من دون أن ننسى mange disque «أكلة الاسطوانات» (1972) وهي الآلة الوحيدة التي أشار **معجم روبير الصغير الجديد** إلى أنها تعمل بأسطوانات بلاستيكية [كذا]، وفي النهاية lecteur de disques compacts «قارئ الأسطوانات المضغوطة» (1983).

4 ـ إحياء صيغ قديمة

إن بعض الوحدات اللغوية القديمة التي سقطت من الاستعمال، أو تلك التي شذَّ استعمالها، قد تظهر من جديد في اللغة وذلك إمّا بمعانيها القديمة، وإمّا بمعانٍ جديدة مستقلة تماماً عن المعاني القديمة. لذا فإنه يصعب أحياناً الفصل بين هذين المصدرين من مصادر التوليد.

فالكلمة القديمة المقترضة من لغة إقليمية (retoquer) «رَفَضَ أو رَدَّ» المقترضة من لغة إقليمية والتي تُستَخدم قي هذا العصر لوصف مشاريعَ أو قوانينَ أو قواعدَ لا تُقبَلُ كما هي، بل يطلب إدخال تغييرات وتعديلات عليها، تُصَنَّف اليومَ باعتبارها عامِّيَّةً. لكن يبدو أن انتشارها الواسع قد مكَّنها من التخلص من هذا الإيحاء العامِّيِّ.

هناك أيضاً الفعل (générer) «ولَّدَ» الذي يذهب المحافظون إلى اعتباره مرادفاً لا جدوى منه للفعل engendrer «ولَّد». هذا الفعل «ليس حديثاً جداً كما نعتقد»(*)، ذلك لأنه مُثْبَتٌ وُجُودُه في القرن الثاني عشر بمعنى دينيّ، ثمّ في وقت لاحق بمعنى enfanter «أنجب»، ثمّ عُرِف بعد ذلك بمعنى produire «أنتج». أمَّا عن إعادة

(*) Richard Jorif, *Le Burelain* (Paris: F. Bourin, 1989).

إدماجه في اللغة فيرجع الفضل في جزء منها إلى انتشار النحو التوليدي التحويلي في فرنسا.

أيعتبر gouvernance «طريقة جديدة في الحكم» في مجال السياسة والإدارة استمراراً لأحد الاستعمالات المشار إليها في القواميس (مصطلح قديم من مصطلحات قانون الإقطاع» charges de (bailli «مسؤوليات الإقطاعي» أم هو استعمال خاص بفرنسية أهل السنغال: (الخدمات الإدارية في إقليم ما) أم إنه، وهذا هو الأقرب إلى القبول على ما يبدو، إبداع مستقلّ تماماً عن هذين الاستعمالين القديمين؟ إن من الصعوبة بمكان معرفة ذلك.

وفي النهاية فإن لوحة إشارة مرورية تشير إلى منع «الاستدارة نحو اليسار» (tourne-à-gauche) قد لجأت بالتأكيد إلى خلق مصطلح مستقل عن المشترك اللفظي الذي يطلق على إحدى الآلات منذ 1676.

ثانياً ـ ظاهرة خطابية ولغوية

إن المولَّد، باستثناء بعض المصطلحات التي استحدثت جماعياً وبطريقة مقصودة ومدروسة في لجان متخصصة، هو، أولاً وقبل كلّ شيء، إبداعٌ فردي لمتكلمين مُعَيَّنين يصدر في مواقِفَ خَطابيةٍ مُعَيَّنَةٍ، وفي لحظات محدَّدة. هذه الخاصية الخطابية المؤكّدة والرَّاسِخَةُ على مرِّ تاريخ التوليد تفسر جزئياً الدَّور الهامشيَّ بل الذي لا يكاد يوجد لهذه الظاهرة في الدراسات اللسانية التي اهتمت منذ فرديناند دو سوسور (Ferdinand de Saussure) باللغة أكثر من اهتمامها بالخطاب وبالاستخدام الآنيّ الثابت للغة أكثر من اهتمامها بتطورها؛ وهو ما يفسره غياب مفهوم التوليد عن عدد من كتب النحو مطبوعة ومنشورة على الإنترنت، وعن عدد من المواقع اللغوية على هذه الشَّبَكَة.

إن نبذ هذا المفهوم من الدراسات اللسانية لا مبرر له إطلاقاً، وذلك لأسباب عديدة منها: أولاً ـ أن المَولَّد تجيزه اللغة، وبالتالي فهو متعلِّق بها؛ لأنه يمَثِّلُ في الواقع، باستثناء المقتَرَضِ، تحقُّقاً لقدرات كامِنَة في النظام الصرفي (صيغة محتملة، أو كلمة ممكنة غير موجودة في اللغة تظهر فجأة للوجود) أو استجابةً لقوانين التطور الدلالي ومبادئه التي درسها من بين من درسها ميشال بريال (Michel Bréal)، وستيفان أولمان (Stephen Ullmann)، ثمّ قامت علوم اللغة بعد ذلك بإدخال الظواهر النَّصِّيَّة والتَدَاوُلِيَّة في حقلها الدراسي مما يعطيها بعداً زمنياً.

من جهة أخرى، فإن مفهوم التوليد لا يمكن أن يكون موضوع دراسة واهتمام إلا خلال برهة محددة من الزمن حيث تُلاَحَظُ جِدَّةُ الكلمة، مقارنةً بحالة سابقة للغة لم تكن موجودة فيها؛ لأن المُولَّدَ يختفي باندماجه اندماجاً كاملاً في اللغة (أو باختفائه من التداول اللغوي اختفاء تاماً)، وهو اختفاء يَتَمَثَّلُ في تسجيل المعجم له. أما عن المدّة الزمنية التي قد يَسْتَغْرِقُها هذا الاندماج أو ذاك الاختفاء، فإنها تتراوح، بحسب الكلمة من بضعة أشهر إلى بضع سنين. وقد رُفِضَ في بعض الأحيان منحُ الكلمات التي تستخدم مرة واحدة وضع المُوَلَّد؛ لعدم وجود إقرار اجتماعي بها. لكن ذلك يضطر أصحاب هذا الرأي إلى تقديم إجابات عن أسئلة من مثل: كم عدد مرات الاستخدام المطلوب لاعتبار الكلمة مولّدة؟ وكم هو العدد المطلوب من المستخدمين لمنحها هذا الوصف؟ وكم من حلقات النقل (أ يقولها لـ ب الذي بدوره يقولها لـ ج. . . إلخ) نحتاج للحكم عَليها بأنَّها من المولَّد؟ وبما أنَّ ضبط الحدود في الإجابة عن كلّ هذه الأسئلة أمر مُحْرِج، فإن الأسلم إذاً اعتبار كلّ وحدة معجمية جديدة مولَّدة بمجرد ظهورها بغضِّ النظر عما ستؤول إليه في المستقبل، وبخاصة أن هذا الأخير يصعب التكهن به، كما إنه لا يمكن، إضافة

إلى ذلك، إنكارُ وجود كلمة ما بعد ظهورها في اللغة. وفي هذا السياق يتحدث رولان غرينغ (Roland Grunig) وبلانش نوييه (Blanche-Noëlle) (1985) بحقّ عن «وزن الكلمة الملفوظة» ولأن وزن الكلمة التي لا تتواتر إلا مرة واحدة ثقيل، والفضل في ذلك يعود إلى غرابتها، فإنه من غير المناسب استبعادها من حقل التوليد.

في ما يلي سوف نقوم بعرض بعض الحالات البارزة التي تنتمي إلى هذه الظاهرة (ظاهرة المُولَّد الغريب) مرتبة بحسب درجة انتشارها بدءاً بأقلها انتشاراً وانتهاء بأكثرها معرفة بين المتكلمين:

أ ـ المولَّد الغريب الناتج عن المحادثة

يَحدُث أحياناً أن ننطق أو أن نسمع بعض الكلمات الجديدة التي تولّدها مواضيع محادثاتنا، كما تسهم في إنتاجها أيضاً ظروف التبادل اللغوي. من بين هذا المولَّد الذي طَرَقَ آذاننا قول طفل: des traces de saigne بدلاً من أن يقول: saigne des traces de] «آثار دم»]، وكذلك pélicanisque «بَجَعي». ومنه أيضاً الفعل goulonner فـي قـول أحـدهـم j'ai bien goulonné le Nutella[5] «أكـلـت مـن شوكولاته النوتيلا بشراهة» ووصف جان كريستوف أفيرتي (Jean-Christophe Averty) جاك شانسيل الذي كان قد وصفه بقوله has been، has never been[6] «أي إن الزمن قد تجاوزه بمراحل».

ب ـ الغريب الأدبي

على الرغم من أن عدداً كبيراً من المُوَلَّد الأدبي لا ينتج إلا مرة واحدة فإن استقباله متعدد وممتد عبر الزمن؛ فعدد من غريب رابلاي

---

(5) والجديد في هده الجملة هو أن الفرنسية لا تعرف هذا الفعل goulonné.

(6) والجديد هنا يكمن في إضافته كلمة never للمبالغة، وهو ما لم تعرفه الفرنسية في استخدامها لهذه العبارة التي اقترضتها من الإنجليزية منذ زمن ليس بالقصير.

مثلاً ما زال يتمتع بنكهة المُوَلَّد. كما يوجد دائماً قرَّاء جدد يكتشفون كلّ يوم مُولَّدات رامبو (Rambaud) مثل: abracadabrantesque «مُهَلْهَل» التي استخدمها جاك شيراك، وكذلك bombiner[7]. «طَنطَن»، بل إن موريس رايمس جمع ديواناً من هذا الكلام الوحشي الذي أُخِذَ معظمه من أدب القرن التاسع عشر.

ج ـ الانتشار المحدود بين مجموعة اجتماعية صغيرة

يحدث في بعض الأحيان أن تتمكن بعض المولَّدات التي يتم ابتكارها صدفة أثناء محادثة ما من أن تصبح كلمات متعارفاً عليها بين مجموعة صغيرة تتكون من شخصين أو ثلاثة (أو أكثر) لا يستخدمونها إلا في ما بينهم. ففي هذا السياق يشرح دينيز فرانسوا غيغر[*] (Denise François-Geiger) ولادة une 73 تسمية لقنينة ماء من علامة بادوا (Badois) كما فاجأنا بعض الشباب أيضاً باستخدامهم في ما بينهم الفعل dénigrer (ذمَّ) بمعنى «ناقش أو تَحدَّث» بينما يستعملونه بمعناه المتعارف عليه في محادثاتهم التي تتم خارج إطار دائرتهم الخاصة. وفي الحقيقة، فإنه لا يمكن وصف مولَّدات من مثل هذا النوع بأنها مولَّدات لا فائدة من استخدامها، ذلك لأنها تؤدي دوراً عاطفياً واجتماعياً. ما دفع جورج ماتوري (George Matoré)[**] إلى رفض التفرقة بين «مُولَّد ضروري» و«مُوَلَّد ترقّي» موضحاً أن انتشار المُولَّد يتعلق بالأهمية العددية (وأيضاً بالزهو) للمجموعة أو الطبقة الاجتماعية التي شعرت بالحاجة إلى خلقه.

---

(7) اشتقاقاً من اللاتينية bombinar = bordonner «دندن أو طنطن»).

(*) Denise François-Geiger, *La linguiste* (Paris: [s. n.], 1990).

(**) G. Matoré, *Le français moderne* (Paris: [s. n.], 1952).

د ـ الدخول إلى الجماعة اللغوية بأكملها

في النهاية هناك بعض المولَّد الذي يَعرف أكبر قدر من الانتشار، وذلك أما عن طريق التوسع المستمر للدوائر الاجتماعية التي تستخدمه (انتشار يمتد شيئاً فشيئاً بقدر توسّع الطبقات الاجتماعية التي تسير علي خطى الدوائر الأولى المستخدِمة له متبنِّية طرائقهم في العيش وفي التفكير)، وإما بسبب الحاجة، حيث تلجأ الجماعة اللغوية جميعها لاستخدامه في وقت واحد؛ لأنه يسمي أشياء أو أفكاراً تمسّ جميع أفرادها (وسائل الإعلام تساعد على انتشار هذا النوع من المولَّد)؛ فكلمات مثل: ordinateur «حاسوب»، congélateur «مجَمِّدة»، caméscope «مُصَوِّرة مَرْئية»، انتشرت بسرعة وعلى نطاق واسع شَمِل أيضاً غير المستخدمين لهذه المنتجات.

ثالثاً ـ المأسسة

من المعروف أن المُوَلَّد لا يحتفظ بهذا الوضع إلا بُرهَة من الزمن (باستثناء ما له علاقة بالإبداع الأدبي)؛ فهو محكوم عليه بالاختفاء التام أو بأن يُصطَلح عليه فيَذوبَ في **معجم اللغة العام**. وهكذا يندمج المولَّد في اللغة وينضمّ إلى رصيدها المُعجَمي إلى الدَّرجة التي تجعلنا ننسى أنه كان في يوم من الأيام جديداً. هذا الاندماج التام في اللغة يَطال في ما يَطال كلمات تُثير عِنْد أولِ ظهورٍ لها جدلاً عنيفاً، لكنها تصبح بعد فترة من الزمن جزءاً من معجم اللغة، وبعيدةً عن كلّ نقد وعن كلّ شكّ.. من بين هذه الكلمات التي لاقت في بداية ظهورها نقداً عنيفاً: utiliser «استخدم»، وalarmiste «نذير» (1792)، وكذلك ambulance «سيارة إسعاف» (1752)، وأيضاً stabiliser «ثَبَّتَ» (1780). فمن ذا الذي يَسْتَنكر استخدامها اليوم ويطلبُ إبعادها عن معجم اللغة؟ هناك أيضاً، إلى جانب الزمن الذي يساعد على محو الخصومات القديمة ويعمل

على، فرض استعمالات جديدة، المعاجمُ والسلطاتُ العامة التي تُمارِس، كما ذكرنا من قبل، تأثيراً حاسماً على مأسسة معجم اللغة.

1 ـ التكريس المعجمي

إذا استثنينا معاجم «الكلمات غير الموجودة» فهذا يعني أن وجود كلمة ما في قوائم مفردات أحد المعاجم يعطيها وجوداً «شرعياً» في نظر عدد من مواطنينا الذين يخطئون في تقدير سلطة ودور المعاجم. فليس المعجمي هو من يفرض الاستعمال اللغوي أو يقررُه، ولم يُعرف عنه ادعاؤه هذه المُهمةَ ولا طموحُه في لعب هذا الدور، ولكنه يكتفي بتقييد الاستعمال، فيستبعد الكلمات أو العبارات التي تسقط منه، أو يقوم بإضافة مداخل جديدة للمُولَّد الصَّرفي، أو يعيد كتابة بعض موادِّ المعجم الموجودة؛ ليشير إلى بعض المعاني أو الاستعمالات الجديدة للكلمة. وهو عمل يُعَدُّ في حَدِ ذاته كبيراً ولا يتم من دون تردد ونقاش بل ندم في بعض الأحيان.

هَذَا يعني أن الوحدات المعجمية لا يُقال عنها إنها لم تَعُدْ من الموَلَّد؛ لأنها موجودة في المعجم، ولكن يقال على العكس من ذلك إنّها في المعجم؛ لأنها لم تعد تنتمي إلى المولَّد. ففي معجم مثل معجم **هاشيت** (*Hachette*) يوجد في طبعاته الممتدة من سنة 1989 إلى سنة 2003 ملحقٌ سنوي مخصص للوحدات المعجمية الجديدة التي تمّ رصدها داخل أعمال الجماعة اللغوية لكن من دون التأكد من إمكانية استقرارها الدائم في اللغة. فكأننا هنا أمام مَطْهَر تَمُرّ به الكلمات منتظرةً اندمَاجها في القوائم الرئيسة للمعجم في إحدى طبعاته اللاحقة، أو اختفاءَها التَامَ بلا قيد ولا شرط. من ناحية أخرى فإنه لمن المؤسف أن لا تشير المعاجم بانتظام، لأسباب اقتصادية، إلى تواريخ التغَيُر الدلالي الذي يطرأ على الكلمات الموجودة في اللغة.

2 ـ دور السلطات العامة

لم تتوقف السلطات العامة أبداً منذ المرسوم الذي أصدره فيير كوتريه (Villers-Cotterêts) في سنة 1539 القاضي بفرض الفرنسية لغة رسمية للمملكة، عن الاهتمام بمصير اللغة الفرنسية. ويكفي للتدليل على ذلك أن نشير إلى دَوْر هذه السلطات في إنشاء الأكاديمية الفرنسية، أو في دعم الدولة حديثاً للمشروع الكبير المتمثل في «كنز اللغة الفرنسية». أما في ما يتعلق بالتوليد فإن الدولة قد تبنّت سياسة تقوم على اتجاهين يلتقيان عند هدف واحد؛ يستهدف أولهما استخدامَ الفرنسية في البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وفي الإعلانات، وفي الدعايات، وفي أدلة طرق استخدام المنتجات... إلخ. وهو ما استهدفته مجموعة من القوانين، كقانون با لوريول (Bas-Lauriol) (75 ـ 1349 الصادر في 31 كانون الأول/ ديسمبر 1975)، وقانون توبون (Toubon) (94 ـ 665 الصادر في 4 آب/ أغسطس 1994). أمَّا الآخر فيهدف إلى تزويد الفرنسية بمصطلحات تُمَكِّنها من التعبير عن المخترعات التِّقَنية والعلمية من دون الحاجة إلى الاقتراض من اللغة الإنجليزية الأميركية بطريقة منتظمة؛ لذا فقد تمّ، كما ذكرنا سابقاً، تكوينُ عدد من اللجان المتخصصة في المصطلح وإلحاقها بالوزارات؛ لتُقرِّرَ أو لتوعِزَ من جهة باستخدام هذا المصطلح أو ذاك، ولتقوم من جهة أخرى باقتراح بدائل فرنسية للمصطلحات المقتَرَضة من اللغات الأجنبية. وهو ما أثمر قوائم مصطلحات تُنشَر بطريقة منتظمة يمكن الاطِّلاع عليها في الموقع الإلكتروني DGLF[8] والتي تَمَكَن عدد كبير منها أن ينتشر، وأن يفرض نفسه بسرعة على المتكلمين، كما هو حال fioul وgazole «نوعان من الوقود»، لكن

(8) مختصر الاسم المركب Délégation générale de langue française «المفوضية العامة للغة الفرنسية».

هناك في المقابل بعض المصطلحات التي اقترِحت ولم تعرف أي قدر من النجاح مثل: bouteur وenrichisseur اللذين اقْتُرِحا ليحلا محل المصطلحين الإنجليزيين bulldozer وstarter «جَرَّافة» و«مُشَغِّل».

رابعاً ـ المولَّد والمولِّدون

1 ـ الصعود المختلف

هناك ميل إلى اعتبار المُولَّد ثمرة إبداع واعٍ واختياري ومسؤول في آن معاً، لكن يبدو أن الأمر لا يتم دائماً علىً هذه الصورة، وأن الواقع أكثرَ تعقيداً وأشدَ تبايناً واختلافاً.

أ ـ إبداع واعٍ أو غير واعٍ

إنَّ المتكلم لا يشعر بالضرورة أنه بصدد إبداع وحدة لغوية جديدة، كما إنه قد لا ينتبه إلى ذلك بعد إطلاقه لها. لكن يمكن من جهة أخرى، لواحد أو مجموعة من المتلقين أن يلاحظوا عدم وجود هذا الشكل أو ذاك في اللغة المتعارف عليها. هذا البناء الجديد يمكن أن يكون نتيجة تطبيقِ إحدى قواعد بناء الكلمات أو مُجردَ شَبَه قياسي يعمل على تحقيق ما هو محتمل في اللغة، مثل: (rosacé المركبة من الصفة rose «وردي» ومن اللاحقة acé والتي تعني ما هو مائل إلى اللون الوردي)، أو بسبب خطأ في الاشتقاق، كما في examination de la lettre[9] «تحليل الرسالة»، أو بسبب خطأ في السمع (اسم الفاعل غير الموجود في اللغة attrayant «جَذّاب»

(9) لا وجود لكلمة examination «اختبار» في الفرنسية، بل يوجد examen «فحص» التي أضيفت إليها اللاحقة tion التي تضاف إلى الأفعال لبناء المصادر منها.

المشتق من الفعل الذي لا وجود له أيضاً في اللغة attraire «جَذْب» إنما هو نتيجة خطأ في تقطيع الجملة à ça a trait «أي له علاقة بـ»، حيث فهمت ça attrait à [بإدماج الفعل المساعد a مع الفعل الأساسي][10]. قد يعترض البعض على اعتبار هذه الكلمات من المولَّد بحُجة أنها من الخَطإ، لكن يمكن ردّ هذا الاعتراض بأن التوليد المنتظم لا يعتبر بالضرورة خطأً، كما في مثل: dispensable[11] «ما يمكن الاستغناء عنه» la déplaisance «الإزعاج»[12])، وبأن اتصاف المولَّد بالخَطأ لا يمنع من الاعتراف من جهة، بأن هناك وحدة لغوية جديدة قد سمحت لها اللغة بالظهور، وبأن على اللغوي أن يأخذها في الاعتبار (بعيداً عن أي حكم قيمي)، كما إنه يمكن من جهة أخرى، لهذه الكلمة الجديدة أن تصبح هي الشكل المستعمل بدلاً من كلمات أخرى موجودة قبلها (solutionner يبدو أنها بدأت تأخذ مكان résoudre «أَوْجَد حلاً»).

ب ـ خَلق إرادي أو لاإرادي

لا يعني أن يشعر المتكلم بوضع مولَّد ما أنه قد عمد إلى خلقة وقصده قصداً؛ ذلك لأننا لا نتريث ولا نفكر كثيراً عندما نتحدث إلا في القليل النادر، كما إننا لا ننتظر حتّى تكتمل الجملة في أذهاننا قبل أن ننطق بها. لكن هناك ضغوطاً مختلفة يمكنها أن تسهم في ظهور المولَّد ارتجالاً، وبخاصة عندما تكون هناك ضرورة تفرضها ظروف الخطاب؛ ففي مواجهة توليد واعٍ ومدرِك، لكن غير مقصود، يستطيع المتكلم تبنّي عددٍ من المواقف.

---

(10) مثال: ما لِ مال.

(11) المكون من فعل dispenser «استغنى» ومن اللاحقة abl «قابل لـ».

(12) المكونة من فعل déplaire «أزعج» واللاحقة الاسمية ance.

ج ـ إبداع تُتَحَمَّل مسؤوليتُه أو لا

يتمثل الموقف الأول في عدم صدور أي ردّ فعل من المتكلم على مولَّده، وفي اعتباره كأن لم يكن. غير أنه يُلاحَظ أن المولَد يَستدعي غالباً من مبدعه تعليقاتٍ تتجاوز في كثرتها تلك التي تستهدف الوحدات اللغوية المألوفة. هذه التعليقات تكتفي في الغالب ببيان معنى الكلمة الجديدة (بعبارات من مثل. أعني أو هذا يعني)، أو الاكتفاء بذكر مرادف للمولَّد، أو بشرح معناه الاشتقاقي، كما في المثال التالي: indice psophique[13] «مؤشر الضجة» من اليونانية psophos «ضجة»)، أو بإصدار حكم قيمي ظاهر أو باطن عليها. أما عن مدح المتكلم مخترعاته اللغوية، فإن العرف يمنعه، وقلّما نجد تعليقات من مثل: «هذا اختيار حسن، «هذا رائع»، . . . إلخ. وإن كان عدم التحفظ في بعض هذه التعليقات يُظهر في بعض الأحيان نوعاً من الرضى الذاتي، أو على الأقلّ عدمَ الرغبة في تصحيح العبارة (اسمحوا لي بهذه الكلمة). لكن الاحترام الكبير الذي تتمتع به قواعد التوليد المعجمي في فرنسا، حيث يعني غياب الكلمة من المعجم أنها غير موجودة أو أنه محظور استعمالها، يقود المتكلم غالباً إلى موقف رفض أو إدانة للمولَّد الذي يعي أنه قد أطلقه. يَظهر هذا الموقف غالباً في شكل تساؤلات عن صحة ما قال مثل: (هل هذا من الفرنسية؟ أو ألا يقال هذا هكذا؟) متبوعة بتصحيحات، مثال ذلك وصفه للأغاني المتعددة الأصوات بأنها chansons polyphonisée، بل polyphonées يعني (mises à plusieurs voix).

نجد أنفسنا في بعض الأحيان أمام موقف ـ نوع من التعليق غير الشفهي ـ يترجم حيرة المتكلم أمام ما يَبْدو له شاذاً في تعبيره. كما

---

(13) أحد مصطلحات الملاحة الجوية.

هو حال أحد المُمتَحَنين الذي سكت برهة من الزمن بعد أن قال: «فولتير أدان شناعة Voltaire dénonçait l'horribilité de la guerre الحرب»، لكنه لم ينجح في ملاحظة «الخطأ» l'horribilité الذي أحله محل الصواب horreur «شناعة».

2 ـ تكرار التوليد أو إعادته

على الرغم من أن الفعل الإبداعي وكذلك لحظة الإبداع يعتبران مفهومين بسيطين نظرياً فإنه يصعب الإمساك بهما في الواقع اللغوي؛ فمبدع المولَّد وظروف ظهوره تظل في الغالب صعبة معرفتها على سبيل اليقين؛ لذا فإن حالات عديدة من المولَّد تبقى مجهولة المصدر والتاريخ أو على الأقل صعبة الاكتشاف.

أ ـ مولَّدات متعاقبة ومولَّدات (شبه) متزامنة

نجد من وقت لآخر شواهد سابقة لكلمات كنا نظن أنها جديدة، فيكون ردّ الفعل الأولي حينئذ نزع صفة الجدة عنها. يمكن أن نجد لهذا القرار مُبرِّراً عندما يتعلق الأمر بجهل عارض للوجود السابق للكلمة. لكنه يجب ألاَّ يؤخذ مباشرة؛ ذلك لأن وجوداً سابقاً للكلمة لا يعني عدم إمكانية ظهورها مرة أخرى مستقلة استقلالاً تاماً عن وجودها القديم. هذه الظاهرة تبدو واضحة في الوحدات اللغوية التي تتغير دلالاتها من حين لآخر (فكلمة rosacé بمعنى «شديد التَّورُّد» تعتبر كلمة جديدة على الرغم من وجود rosacé بمعنى «على شكل وردة») وكذلك مثلها الوحدة المعجمية المركبة المذكورة سابقاً tourne-à-gauche «دوران ناحية اليسار»؛ فهذه الكلمات تعتبر من المشترك اللفظي. لكن حتّى عندما يكون المعنى هو نفسه أو قريباً من المعنى السابق للكلمة فإن الأمر يمكن أن يتعلق بإعادة خلق جديدة، وبخاصة عندما يجهل المُوَلِّد الوجودَ السابق لمُولَّدِه. وهكذا فإن

كلمات مثل: décideur «مُقَرِّر» (1961)، وdécisionnaire «من له علاقة باتخاذ القرار» (1980) ليس لاستخدامهما الآني أي علاقة باستعمالهما سابقاً عند سان سيمون (Saint-Simon) ومونتسكيو (Montesquieu). إن الفرق الجوهري بين الكلمات التي يعاد استخدامها وبين المولَّد يكمن في كون الأولى تنقل بمعانيها ودلالاتها وإيحاءاتها التي اكتسبتها في مواقف وتأويلات سابقة، في حين أن المولَّد كلمة بِكْر لا ماضي لها ولا تاريخ يُكَبِّلها أو يَشدّها إليه، كما إنها لا تقبل التأويل والتفسير إلا بحسب تركيبها الصرفي، وبحسب السياق الذي ظهرت فيه.

إن وجود الإبداع الممتد عبر الزمن تعضده أمثلة لمولَّدات وضعها عدد من المتكلمين في آن معاً من دون أن يكون لأحدهم أي اتصال بالآخر أثناء وضعها، كما هو حال الطلبة الذين استطاعوا خلق كلمة examination «امتحان» (بدلاً من examen) في وقت محدد أثناء أحد الاختبارات من دون أن تتوفر لهم الظروف المادية التي قد تمكّنهم من أن ينقل بعضهم عن البعض.

ب ـ المولَّد المشترك

إن نسبة مولَّد إلى متكلِّم أو إلى آخر تظلّ في الكثير الغالب محلّ شكّ؛ ذلك لأننا نكتشف في أحيان كثيرة أن ذلك الذي نسبنا إليه هذا المُولَّد أو ذاك إنما أخذه عن شخص آخر؛ فالنعت abracadabrantesque «مُهلهَل» الذي استشهدنا به سابقاً والذي ينسب غالباً إلى جاك شيراك قد أخذه هذا الأخير من دون شكّ عن رامبو، ولم يقم هو نفسه بتوليده. وقد تكرر الأمر نفسه مع كلمة gouvernance «حُكْم» التي نسبت إلى جان بيار رافاران (Jean-Pierre Raffarin) الذي استعملها في عنوان كتابه: **من أجل طريقة جديدة في الحكم** (*Pour une nouvelle gouvernance*) المطبوع في سنة 2002.

هذه الكلمة التي عرفت قفزة مذهلة بمجرد تعيين مبدعها المفترض رئيساً للوزراء والتي بدت لكثيرين أنها جديدة، قد ظهرت في عالم الإدارة، وفي المؤسسات الأوروبية منذ سنين عديدة. وبالتالي فإن جان بيار رافاران قد كان على علم بها من دون شكّ. بل إن مسألة نسبة هذا المولَّد لَتَزْداد صعوبة عندما نعلم أن الأمر يتعلق بمصطلح من مصطلحات قانون القرون الوسطى، وبكلمة تنتمي إلى فرنسية السنغال. هذا كلّه يعني أن منزلة الشخص المستخدم للمولَّد المبدَع سابقاً، والذي ظلّ شبه مجهول حتّى لحظة استخدامه له، هي التي تعمل على نشره بين الناس. إذاً ففي حالات من هذا النوع، فإن الذي يعيد استخدام المولَّد ويُسْهِم في نشره بين أفراد الجماعة اللغوية يتقاسم مسؤوليته مع مبدعه الأول.

والأمر نفسه ينطبِق على الصحافيين وناشري الصحف الذين يختارون من الخطب أو من النصوص التي يستشهدون بها في مقالاتهم أو في ما يقدمون عبر الإذاعة والتلفزيون، بطريقة شبه منتظمة الفقرات التي تتضمن بعض المولَّد، مما يساعد على انتشار هذا الأخير انتشاراً واسعاً يتجاوز محيط القراء أو المستمعين الذين تتوجه إليهم في الأصل.

لقد تضمنت التصريحات التي أدلى بها السياسيون أثناء حملاتهم الانتخابية في سنة 2002 عدداً كبيراً من الوحدات المعجمية الجديدة التي ساعدت وسائل الإعلام على نشرها وبالتالي على التعريف بها من مثل: faire turbuler le système «هَيَّج النظامَ»، Chirrospin «الشيراكي الجوسباني» (اللذين ولّدهما جان بيار شوفينمون، «ورشة الحملة [الانتخابية]» بدل المصطلح التقليدي «المقر العام [للحملة الانتخابية]» من مُولَّد ليونيل جوسبان (Lionel Jospin).

وكذلك sérial menteur «الكذّاب المُتَسَلسل» وsuper menteur «السَرَاق الأعظم» اللذان جاءا على لسان جان ماري لو بان (Jean-Marie Le Pen) على غرار «الكذّاب الأعظم» في «مسرح دمى الأخبار»، وأيضاً gauche d'en bas «اليسار التحتاني» وgauche d'en haut «اليسار الفوقاني» اللذين أطلقهما أوليفييه بيزانسنو مقلِّدا في ذلك «فرنسا السفلى» التي صاغها من سيصبح رئيس وزراء في سنة 2002 أعني جان بيار رافران.

كما تعمد الصحف أحياناً إلى إبراز المُولَّد الذي تنقله عن الآخرين بوضعه في العناوين الرئيسة أو الفرعية للمقالات، للفت الأنظار إليه. هذا الاختيار له أيضاً علاقة بالمسؤولية المشتركة عن المولَّد بين مبدعه وناشره. من ذلك مثلاً: L'Europe mastricheuse «أوروبا الماستريختية» عنوان مقال منشور في صحيفة **اللوموند** في عددها الصادر في 19 أيار/مايو 1992، وهو مأخوذ من نَصٍّ منقول عن جان بيار شوفينمون، ومنه أيضاً l'islamophopie «الإسلاموفوبيا» الذي هو عنوان مقال منشور في عدد 31 أيار/ مايو 2002 من الصحيفة نفسها.

من الوسائل التي تعمد إليها الصحافة أيضاً لنشر المولَّد وإبرازه، تلك المتمثلة في عنونة بعض المقالات بعبارات وجمل تتضمن بعض المولَّد، لكن لا وجود لها داخل هذه المقالات، مما يجعلنا نميل إلى التفكير في أنها من صنع المسؤولين عن تحرير الجريدة لا من اختراع كاتب المقال صحافياً كان أو شخصاً يعمل في الصحيفة. من الأمثلة على هذه الظاهرة هذه العبارة la résistible ascension de la vidéosurveillance «الصعود الذي ينبغي مواجهته للمراقبة بآلات التصوير المرئي» التي اختيرت عنوان نصّ كتبه مستشار دولة لصحيفة

لوموند في عددها الصادر في 4 آذار/ مارس 1993 يُحَلِّل فيه الفراغ القانوني أثناء الانتشار المفاجئ والسريع لوسائل المراقبة للأماكن العامة بآلات تصوير مرئية. إنَّ مما يعزِز من فرضية مسؤولية أسرة تحرير الصحيفة عن هذا المولَّد أننا استخرجنا من اليومية نفسها مجموعة من العناوين صيغت علي الطريقة نفسها التي صيغ بها العنوان السابق في الأسابيع والأشهر السابقة على نشر المقال السالف الذكر مثل: (la résistible ascension des dépenses de santé «الصعود الذي ينبغي مواجهته لمصاريف القطاع الصحي»)، وشبيه بهذا ما جاء في صحيفة أخرى تليراما التي عنونت في 30 تشرين الأول/ أكتوبر رسالة أحد القراء بـ Panthéonisons[14] «لندفن في مدافن العظماء» على الرغم من عدم وجود هذا المُولَّد في صلب الرسالة.

على الرغم من أن انجذاب وسائل الإعلام، أو بعضها على الأقل، نحو المولَّد ظاهر لِكُلّ ذي عينين، فإنه عادة ما يكون مصحوباً بشيء من الحذر والريبة تترجمه محاولة الإبعاد التي يتعرض لها بمساعدة علامات ترقيم خاصة (وبخاصَة المزدوجان، والكتابة المائلة)، وبتعليقات على خصائصه التوليدية. كما يظهر غالباً احترام معجم اللغة المتعارف عليه في عدم تحمل مسؤولية المولَد ومحاولة الظهور في صورة الناقل للوحدة اللغوية الجديدة فقط؛ فصحيفة **اللوموند** مثلاً ظلت تستخدم كلمة décideur «مقرِّر» بين مزدوجين طوال سني التسعينيّات من القرن الماضي على الرغم من أن المعاجم تؤرخ لظهورها بسنة 1969. لكن تظل وسائل الإعلام، مع هذا الحذر كلّه، عاملاً مهماً في نشر المولَّد وتعريفِنا به، بل وتعويدِنا عليه، وبالتالي فهي تسهم في عملية اندماجه المحتمل في اللغة.

---

(14) فعل مشتق من الاسم panthéon «اسم مَدْفن العظماء في فرنسا».

من ناحية أخري يحدث أحياناً أن يقوم أحد الصحافيين بإعادة استخدام مولّد منسوب إلى شخص آخر ومذكور في مقال سابق، متوخياً الحذر في نقله، غير أنه في أحيان أخرى يتبنّاه، ولا يشير البتة إلى أصله، ولا يواكبه بأية علامة ترقيم خاصة. من الأمثلة على ذلك: المولّد الطبي chauffe-prostate «مُسَخِّن البروستات» الذي أعاد استخدامه جان إيف نو (Jean-Yves Nau) المُعلِّق الطبي في صحيفة **اللوموند** في عددها الصادر في 31 آذار/ مارس، 1993، والذي نقله عن خطاب أستاذ في الطب استخدمه في 19 نيسان/ أبريل 1991 للتنديد بعدم فاعلية علاج تضخم البروستات بالتسخين. أيشير ذلك إلى أن هذا المصطلح كان قد حقق بعض الانتشار في وسط هذه الجماعة من المختصين؟

لعل من فوائد الاشتراك في المسؤولية عند نشر المُولَّد أنه يقود إلى معرفة دقيقة لخط سيره أو لما يسميه بلانش نويل ورولان غرونيغ (Grunig) «حركة الكلام»(*).

ج ـ حركة الكلام: خطوط سير بعيدة عن التوقع

إن التوقعات المتعلّقة بطول حياة مولَّد ما، وكذلك تلك المتعلّقة باندماجه في اللغة، يجانبها الصواب غالباً، وبالتالي فإن مصير المولَّد لا يمكن توقّعه؛ فمن ذا الذي كان يحسب أن كلمة burelain «صاحب مكتب» التي صاغها ألفريد سوفي (Alfred Sauvy) من كلمة (bureau) «مكتب» على غرار chatelaine «صاحب قصر [المشتقة من] château «قصر» سوف يعاد استخدامها يوماً ما؟ لقد أعاد استخدامها ريتشارد جوريف (Richard Jorif) عنواناً لإحدى

(*) Blanche-Noëlle Grunig et Roland Grunig, *La fuite du sens: La construction du sens dans l'interlocution* (Paris: Hatier-CREDIF, 1985).

رواياته، كما اشتق منها burellénie «التَّمَكتُب»، كما استعمل الكاتب نفسه داخل هذه الرواية نفسها الاسمَ navarance ونقل في الحاشية ما كتبه بصدده مؤلّفو معجم **ليتريه** (*Littré*) تحت مدخل navrant: «لقد تمّ اقتراح بناء الاسم navarance «تَأسئّف»، وهو اقتراح مهم ـ لكنه لم يتم تبنّيه حتّى الآن». لكن لعل استخدام هذا المصطلح على لسان إحدى شخصيات هذا العمل القصصي يساعده على انطلاق عملية انتشاره التي ظلت مشلولة حتّى الآن. من يدري؟ فقد يحدث أحياناً أن تبقى بعض المولدات في الظل رَدْحاً طويلاً من الزمن قبل أن تعرف انتشاراً مفاجئاً وسريعاً، كذلك الذي عرفه مصطلح synergie (أحد مصطلحات علم الأحياء الذي ظهر في القرن الثامن عشر والذي يعني «مؤازرة العضلات بعضها بعضاً أثناء القيام بحركة ما») في دلالته المجازية (تَعَاون): فهذا المعنى المجازي لهذه الكلمة موجود في اللغة مند نهاية القرن التاسع عشر لكنه لم يعرف الانتشار الواسع الذي يعرفه اليوم إلا مع نهاية القرن العشرين.

من جهة أخرى، فإن هناك مولَّدات تتمكن من الاندماج والانتشار بسرعة، لكن بدلالات لغوية مختلفة عن دلالاتها الأصلية؛ فقيمة كلمة مثل impressionniste «انْطِبَاعي» التي قام أحد النقاد باشتقاقها بحسب عنوان نجمة موني «انطباع شروق الشمس» ليسخر بها من روّاد اتجاه معيّن في الرسم. (الانطباعيين). انعكست تماماً منذ أن استخدمها هؤلاء الرسامون اسماً لحركتهم. انعكست تماماً.

وعلى العكس من الحالة السابقة، فإن توقعات متعلّقة بعدم قدرة بعض المصطلحات على البقاء لعدم مطابقتها ما يسمّى بـ «عبقرية اللغة الفرنسية» لم تتحقق. من بين تلك المصطلحات الاسم entrisme المركَّب من entre (أصل الفعل entrer «دخل» واللاحقة الاسمية ism) الذي ما كان يفترض أن يرى النور أبداً. ومنها كذلك mort-né «وُلِد مَيْتاً» الذي حقق انتشاراً لا بأس به مع انتشار تقنية «إدخال

أعضاء جدد بأعداد كبيرة في مؤسسة أو حزب لغرض السيطرة عليه وتغيير اتجاهه وحركته» (**روبير الصغير**).

ومن ذلك أيضاً تكاثر الكلمات المنتهية باللاحقة issime التي تفيد «الكثرة المفرطة»، كما في مثل: (lelouchissime نسبة إلى اسم (Lelouche)[15]، ringardissime «مُغرِق في القِدَم» وitalianissime، «مُغرِق في إيطاليته»، وautomobilissime «كثرة السيارات». . . إلخ). هذا الارتفاع المستمر في عدد هذا النوع من المولَّد يدحض قولاً لفرديناند برونو (Ferdinand Brunot) يؤكّد فيه أنه «لم يعد أحد يفكر في إحياء صيغة التفضيل الصناعية التي تتم بإضافة اللاحقة ism أو issime إلى صفة ما».

خامساً ـ شروط ظهور المولَّد

إن أفراد الجماعة اللغوية لا يمارسون التوليد المعجمي بطريقة واحدة كما إنَّ مقاربته تختلف باختلاف مواقف الخطاب؛ لذا فإن هناك مجموعة من الأسباب التي تكمن وراء ظهور الوحدات المعجمية الجديدة التي يُنظر إليها غالباً في فرنسية أهل فرنسا باعتبارها انتهاكاً لنظام اللغة، وجرأةً لا مبرر لها بحسب كثيرين.. ففي تقرير عن [تصحيح] إحدى مسابقات التَبريز في الأدب الحديث تمت سنة 1997 نجد تعبيراً صريحاً عن منع التوليد المعجمي: «نذكر في النهاية بأنه لا يجوز لأي متكلم أن يصوغ كلمات جديدة: لذا فإن عبارات من مثل l'éphémérité de la flamme «سرعة زوال الشعلة»، أو la déstructure du texte أو sa présentification «تفكيك النصّ أو استحضاره» قد أثارت حنق لجنة التحكيم». هذا المنع يعتبر مزعجاً مادام أصحاب هذه المولَّدات يعتقدون أنهم ملزمون بتبريرها،

(15) مخرج سينمائي فرنسي.

وهو ما فعله الممثل الساخر كولوش (Coluche) الذي لا يمكن اتهامه بأنه من التقليديين أو من المتزمّتين، في ما يتعلق بكلمة(*) (من يتعايش مع شخص أو اتجاه آخر). إذا كان حقاً أن كلّ خطاب وكذلك التفاصيل القائمة وراء تعبيراته تفرضها «ضغوط» تُكَوِّن «حزمة الأسباب» التي تقف وراء القول(**)، فإن ظهور أي عنصر لغوي غير متعارف عليه يخضع لضغوط يصعب على المخاطبين ألا يتساءلوا بشأنه بمجرد أن يلاحظوه قائلين: لماذا هذا المُوَلَّد؟ على الرغم من أنه لا توجد في الحقيقة إجابات مؤكَّدة عن هذا السؤال فإنه يمكن تقديم عدد من العوامل التي تشجع على ظهور المولَّد.

1 ـ موقع المتكلم في التبادل اللغوي

لا يُعتبر جميع أعضاء التبادل اللغوي من وجهة نظر علم الاجتماع اللغوي، متساوين في منزلة واحدة؛ فإن موقف القوة الذي يكون فيه المتكلم تجاه مستمعيه يمكنه أن يوجه إليهم المولَّدات، كما يتمّ توجيه اللكمات، من دون الشعور بأدنى تهديد بشيء من العقوبات، ولو كانت رمزية. فلكي يدلل على موقف القوة الذي يتمتع به بين من يتبادل معهم الحديث فإنه يجيز لنفسه فِعلَ ما هو مُحرَّم على الآخرين، بل إنّه ليستمتع أحياناً بصياغة كلمات جديدة ظناً منه أنه لا يمكن لمخاطبيه ملاحظة الجدة فيها؛ ذلك لأنهم غالباً ما ينسبون عدم معرفتهم بها لفقر في معجمهم اللغوي. هذا الاختبار الذي يمكن معلِّماً أن يجريه على تلاميذه أو طلابه، يُظْهر فقدانَ الأمن اللُّغوي لدى عدد منهم بسبب شكهم في قدراتهم اللغوية.

(*) ورد في: Henriette Walter, *Le français dans tous les sens* (Paris: R. Laffont, 1988).

(**) Grunig et Grunig, *La fuite du sens: La construction du sens dans l'interlocution*.

موقف القوة هذا الذي يتمتع به الكُتَّاب أيضاً هو الذي دَفع غالبية أفراد الجماعة اللغوية إلى الاعتراف لهم بالحق في توليد الكلمات الجديدة؛ فقدراتهم اللغوية الَّتِي تخوّلهم التصرف في اللغة لا تتوفر لعامة الناس. لكن هذا الرأي الشائع على نطاق واسع لا ينسجم، إلا نادراً، مع واقع التَّطُّور اللغوي في القرون السابقة، حيث كان لِسَواد الناس دورٌ حاسم فيه، وإن كان هذا الدور قد سلبتهم إياه اليومَ وسائلُ الإعلام الحديثة التي أصبحت صاحبة الكلمة الأولى في ما يتعلق بالاستخدام اللغوي. من جهة أخرى، فإن مُولَّد الكُتَّاب، على عكس مُولَّد عامة الناس، يكون في العادة موضوعاً للمدح والإطراء. وهكذا فإن كاتباً مثل أنطوان دارميستتير (Antoine Darmesteter)، في نهاية القرن التاسع عشر، يقارن بين «جواهر الكتّاب» وبين «العُملَة التافهة» المنسوبة إلى العامة من الناس، كما إنَّ التراث المدرسي وكذلك النقد الأدبي لا يألوان جهداً في إطراء الابتكار اللغوي لشعراء **الثريا** (*Pléiade*) ورامبو، ولافورج (Laforgue)، وحديثاً ريتشارد جوريف (Richard Jorif)، وجيل كاربانتيير (Gilles Carpentier). لكن هذا «المولَّد النَّفيس والفصيح»، كما تقدّمه دعاية إعلانية تستشهد بناقد أدبي من نقاد صحيفة **اللوموند** لرفع نسبة مبيعات بعض الكتب، يظل مُحَرَّماً على التلاميذ أن يصنعوا مثله.

من جهة أخرى، فإنَّ فَقدَ المتكلم الذي يشعر بالنقص تجاه مخاطَبيه بسبب هيبة (حقيقة أو محتملة)، أو بسبب فخامة مواقف لم يتعود عليها، تجاه وسائل التعبير، يدفعه إلى استبدال كلمات يُولِّدها ضرورةً بأخرى متعارف عليها، غابت عنه آنياً بسبب الانفعال، والتأثر. من بين مواقف الرَّهبة والخوف التي تقود إلى مثل هذا النوع من المولَّد موقفُ الامتحان الذي دفع إحدى الطالبات المتميزات إلى وصف قدرة أحد الكتاب على التحليل بكلمة analysation (بدل analyse «تحليل»).

كما إنَّ حرص بعض المتكلمين على مراقبة كلامه في بعض المواقف، رغبة منه في عدم الوقوع في الخطأ، وفي اجتناب التلفظ بعبارات أو بكلمات عامية، بخاصة، يقوده أحياناً إلى ارتكاب أخطاء، بسبب الإفراط في التصحيح، بعضها يعتبر من المولَّد. فاستخدام athéiste صفةً مشتقة بدلاً من athée «مُلحِد» يرجع على الأرجح إلى الرغبة العارمة في تمييز الكلمة باعتبارها صفة.

إذا كان عدم الاطمئنان إلى القدرة اللغوية يدفع أحياناً إلى ارتكاب «الأخطاء»، فإن الشعور بغياب خطر العقاب أثناء التبادل اللغوي بين متكافئين يمكن أن يُشَجع على شيء من الجرأة في مجال الإبداع اللغوي. ويتعلق الأمر هنا بإبداع لغوي له علاقة بالتسلية، وبالبحث عن تواطؤ مع مخاطبه أو مخاطبيه، أو رغبة في الاقتصاد ليجنّب نفسه عناء البحث عن عبارة أخرى وتغييرَ جملته في ضوئها، بحيث لا تتضمن سوى وحدات لغوية متعارفٍ عليها بين أهل اللغة. من ذلك مثلاً إطلاق صفة pélicanesque «بجعي» لوصف حال ربّ عائلة باعتباره «مثيراً للشجون مثل بجعة (pélican) تضحّي بنفسها من أجل إطعام صغارها». هذا الوصف يشكل اختصاراً مسَلّياً مبنياً على خبرة ثقافية مشتركة تكمن في معرفته بقصيدة مُوسيه (Musset): «ليل مايو».

2 ـ القدرة اللغوية

من المعروف أن إتقان اللغة والتمكنَ منها يمكنان من استخدامها بطريقة مألوفة أو اصطلاحية، كما يساعدان على استخدام كلّ الإمكانيات التي يتمتع بها نظامها. وهكذا فإن مؤلّفي المقالات والتعليقات الصحافية يعتنون بجماليات اللغة؛ لأن الأمر يتعلق بأنواع أدبية قصيرة حيث يبدو الشكل بخاصة مُهماً. وهو ما تشهد له قائمة

المُولَّد المنقولةُ عن أعمال فيليب ماير(*) (Philipe Meyer)، وكذلك أعمال ريتشارد جوريف التي يمكن اعتبارها صورة عن اللغة الفرنسية المعاصرة في حركتها، وشكلاً من أشكال الدفاع عنها. هذا الأخير بالذات يمزج بذكاء بين وحدات لغوية قديمة، قد سقطت من الاستعمال أو صارت نِسياً مَنسيّاً وأسميناها بالترتيب مهجورة وقديمة، وبين وحدات جديدة صاغها هو نفسه أو آخرون. إن معرفته العميقة بمعجم **ليتريه** (*Littré*) تلعب دوراً مهما في كتابته؛ لذا نجده يستخدم بعض المفردات الجديدة التي عَبَّر مؤلّفو هذا المعجم بصراحة عن أسفهم لغيابها عن معجم اللغة. من هذه الكلمات: الاسم navrance «أسَف» وصيغة الماضي البسيط من الفعل clor «أغلَق». وعندما يقوم أحد شخصياته بحلاقة وجهه ضدّ رغبته فيجرح وجهه، لأنه لم يعر ذلك العمل الذي اعتبره في تلك الأثناء ضرورة أملتها عليه مهنته أيَّ اهتمام، فإنه يستخدم، لوصف ذلك، الوحدةَ المركبة التالية «à écorche-menton» التي صاغها على غرار العبارة الواردة في **معجم ليتريه** (*Littré*) faire quelque chose à écorche-cul أي «عملُ شيءٍ ما ضدّ رغبته».

من بين أسباب ظهور المولَّد أيضاً معرفة لغات أجنبية، حيث إن معرفتها تدفع المتكلم شعورياً أو لاشعورياً إلى استحداث مفردات لاستخدامها بدلاً من تلك المستعملة في اللغة، وبخاصة تلك الخارجة عن القياس والتي يصعب التكهن بها غالباً؛ فاستعمال diablesque في نسبة إلى الشيطان، مثلاً، يبين بجلاء الجهلَ أو النسيانَ العابرَ بكلمة diabolique «شيطاني». من الأمثلة الكثيرة على

(*) انظر: Jean-François Sablayrolles, *La néologie en français contemporain: Examen du concept et analyse de productions néologiques récentes* (Paris: H. Champion, 2000), pp. 295-298 et 475-488.

تلك الظاهرة هناك أيضاً استخدام اسم الفاعل attrayant «له علاقة بـ «الغائب عن المعاجم والذي نتج عن خطأ محتمَل في السماع حيث سمعت عبارة ça a trait «هذا له علاقة» هكذا ça attrait «جَذَبَ» على سبيل الخطأ.

بعض تلك المقترضات التي نجدها مبثوثة في ثنايا وسائل التواصل اللغوي المختلفة يتمكن من تحقيق انتشار واستخدام واسعين، كما هو حال الصفة الإنجليزية cool «لَطِيف» التي دخلت حديثاً إلى الفرنسية في قولك c'est cool «هذا لطيف» وكذلك اللاحقة ing.

لكن هناك تأثيراً أكثر خفاء يتم عندما يقوم المتكلم بتطبيق وسائل توليد لغوي موجودةٍ في لغات أجنبية تعتبر أقل تقيداً من تلك الموجودة في الفرنسية، كالتركيب في الألمانية واليونانية الحديثة، أو الاشتقاق في الإنجليزية والإيطالية... الخ. هذا يعني تَبنّي الحرية الكبيرة التي تتمتع بها هذه اللغات في خلق وحدات معجمية جديدة في اللغة الفرنسية. كما إنَّ معرفة هذه اللغات تُزيل المُثبِّطاتِ والموانع التي تَحُدُّ كثيراً من قدرة الفرنسيين على التوليد من مثل: هذا غير موجود، هذه الكلمة ليست فرنسية، هذا غير موجود في القاموس. لقد لاحظنا، في هذا السياق، أن من يتعلمون الفرنسية من الأجانب لا يوجد عندهم هذا النوع من الموانع، وبالتالي فهم لا يترددون في خلق وحدات معجمية فرنسية يحتاجونها مُطبِّقين قواعدَ البناء المعجمي التي تعلّموها.

إنَّ إتقان عددٍ من اللغات الأجنبية له، من دون شكّ، تأثير على الآليات الفكرية المنتجة للكلام، كما إنَّ الرياضة الذهنية المرتبطة بالانتقال من معجم لغة إلى معجم أخرى يُسَهِّل عملية تنشيط وسائل بناء الوحدات اللغوية في جميع اللغات.

3 ـ الضَّغط المُمَارس على المُتلقِّي

يخضع المولّد، في الغالب، عندما يكون مقصوداً إلى هدف استراتيجي يضعه المتكلم لغرض التأثير على متلقيه الذين يتوجه إليهم به. فعلى الرغم من أن المهمة الخطابية (الأثر الذي يتركه الكلام على المتلقي) لا تقتصر في الحقيقة على المولَّد، فإن وجودَه البارز في النصّ والناتجَ عن غرابته والجهدَ التأويلي والتفسيري الخاص الذي يتطلبه (إذ لا ينسب إليه أي عبء دلاليّ) يجعله يحتل مكاناً بارزاً من خلال وجهة النظر هذه.

أ ـ مُهمَّة شدِّ الانتباه

يَسْتَخدم المُولِّدون، غالباً، غرابةَ المُولَّد وسيلةً من وسائل شدّ انتباه المتكلمين إليه؛ ليميزوا به النَّص الذي ورد فيه عن غيره من النُّصوص التي تنهال علينا من دون توقف. وهكذا فوجوده ضمن العناوين، كبيرها وصغيرها، يُمَكِّنه من تحفيز رغبة القارئ ودفعه إلى قراءة المقال كلّه لمعرفة المزيد عنه. ولعل هذا ما يفسر النسبة العالية للمولَّد في عناوين الصحافة اليومية والأسبوعية الفرنسية، كما تظهرها قوائم الكلمات الجديدة التي استخلصها جان فرانسوا سابليرول (Jean François Sablayrolles) من هذه الصحف في دراسته «المولَّد في الفرنسية المعاصرة».

كما إنه ليس من المصادفة أن تتضمن نصوص الدعايات عدداً لا يستهان به من هذا المولَّد من مثل هذه الدعاية لنوع من الأحذية مصحوبة برسم مقابل يبرز ساق الحذاء: qui monte qui monte la bobotte[16] «الحذاء (حذاء عال) الذي يصعد ويزداد صعوداً»، وتلك

(16) مولد من botte «حذاء».

الدعاية لنوع من الهواتف المحمولة تقوم على الجمع بين الاقتراض وتحويل الأسماء إلى أفعال: «il organise, il Wap, il Word, il Excel, il e-mail, il MP3, il e-book, il internet, il GPRS...» «يُنَظِّم، ويُوَورد، وَيُوبب وَيُؤَكسِل ويُمَايل، ويُمَبِب، ويُؤَبكِك، ويُتَرنِت، ويُجَبسِس، وإضافة إلى ذلك كلّه فإنه يُهاتف»، ومنها كذلك هذه الكلمة المركبة bombe anatomique «قنبلة تشريحية» في: Alaia mis une bombe anatomique «أليا وضعت قنبلة تشريحية في دليلها المُصَوَّر» (دعاية معلقة على جدران إحدى محطات قطار المدينة) التي تثير الانتباه بتأثير المفارقة (إشارة إلى عمل ذي إيحاء سلبي في الواجهة: وضع قنبلة «اعتداء»)، وبتوظيف الجناس والتعدد الدلالي (une bombe anatomique «قنبلة تشريحية» إشارة إلى «فتاة جميلة جداً» على غرار bombe atomique «قنبلة ذرية»).

ب ـ مهام حِجَاجية

يستخدم المولَّد أيضاً لأغراض حِجَاجية مختلفة بغية التأثير في المخاطبين؛ إذ يمكن العمل على إقناع شخص ما بوجود شيء ما بتقديمه باعتباره شيئاً جديداً، أو باعتباره تجديداً بائناً لشيء قديم؛ فالتجديد في الدَّالّ يمثل إذاً ضماناً لجِدّة المدلول والمرجع بغضّ النظر عن نجاح المولَّد في فرض نفسه من عدمه. وهكذا فاستعمال مصطلح «ورشة الحملة الانتخابية» من قبل المرشح للانتخابات الرئاسية في 2002 ليونيل جوسبان (Lionel Jospin) بدلاً من المصطلح التقليدي «مقر الحملة الانتخابية» كان يهدف إلى إطلاق إشارة قوية على الرغبة في «الحكم بطريقة أخرى» الذي مثل الشعار الأساسي للحملة الانتخابية للمرشح المذكور. أما في الجانب الآخر من رقعة الشطرنج السياسية، فقد لعب الاسم gouvernance «حُكم» في عبارة «الحكم بطريقة جديدة» الدورَ نفسَه، كما إنه كان موازياً

لاستبدال التحليل السياسي التقليدي القائم على ثنائية يمين/ يسار بذلك القائم على ثنائية فرنسا التي تحت/فرنسا التي فوق. من الأمثلة على ذلك أيضاً التسمية الجديدة «مركز (تربوي) مقفل» التي تُظهر الرغبة في البحث عن حلول لمشكلة انعدام الأمن، بإنشاء مراكز جديدة لعلاج الجانحين من القُصّرِ الذين يعودون إلى ارتكاب الجنح نفسها، وفي التميز عما كان موجوداً في الماضي القريب (مثل بعض المؤسسات القديمة: (بيوت التأديب) التي أُلغيت في منتصف سنوات الستينيات من القرن العشرين).

لقد حَسِبت المجلة الأسبوعية **تليراما** (*Télérama*) أنها توصلت إلى إبراز مدرسة أو حركة سينمائية فرنسية جديدة إلى الوجود أطلقت عليها اسم «الطبيعيَّة الجديدة»، إلا أنها اعترفت في ما بعد بعدم نجاح محاولتها في فرض هذه التسمية التي صيغت على غرار مصطلحي: «الرومانسيون الجدد»، و «الفلاسفة الجدد» اللذين ظهرا في العصر نفسه.

إن الدَالَّ في الكلمة المولَّدة يُختار في الغالب ليقوم بدور المُوَجِّه للتأويلات والتفسيرات؛ فالمتكلم يحاول دائماً التأثير في الطريقة التي سيوظفها المتلقون لتأويل وتصوّر الشيء المسمّى، وذلك بطريقة إيجابية أو سلبية. فعدم نجاح علاج التهاب البروستات عن طريق الحرارة قد أشير إليه بالتسمية الساخرة المذكورة سابقاً «مُسَخِّن البروستات» (chaufe-prostat) تحقيراً لهذا الجهاز الطبي بتنزيله منزلة بعض الآلات العادية مثل «مسخِّن ماء» و«مسخِّن وجبات غذائية»، وكذلك «مُسَخِّن زجاجات الرَّضَاع» التي صيغ على غرارها. وعلى المنوال نفسه، فإن طريقة تفصيل نوع من السراويل القصار مخصص للسباحة قد كان سبباً في تسميته سخرية «مِلَف الخِصَيتَين» (roule-couilles) تعبيراً عن الذكورة، بإبرازه ما كان متوقعاً منه أن يخفيه.

وها هو فيليب ماير يدعونا إلى مشاركته استياءه من الأسعار العالية التي تفرضها محلات بيع الخضروات والفواكه فيسميها مؤسسات علم الخضار (légumologie) التطبيقي. وعلى العكس مما تقدّم فإن الكلمة الإنجليزية الأميركية customerize أطلِقَت لِتقدم صُورة إيجابيةً عن خدمة تُسَمّى (جلب الزبائن) في إشارة للتقدّم التقني والنجاح الاقتصادي والتجاري للشركات الأميركية.

كما يتم استخدام المُولَّد، بالتوازي مع التأويل الإيجابي الذي يحاول التأثير به على تأويل المتلقي، وسيلةً لبيع هذا المنتج أو ذاك، أو للجوء إلى هذه الخدمة أو تلك، أو لحضور هذا النشاط الرياضي أو ذاك، أو المشاركة في تلك التظاهرة الثقافية أو تلك بمقابل أو بدونه.

من المعروف أن تسمية المنتجات الجديدة تخضع في العادة إلى تفكير طويل قبل أن يتم إنزالها إلى السوق، بل إن هناك مكاتب مختصة تعرض خدماتها في هذا السياق حيث تقوم باستحداث ما يمكن أن نسميه مولَّدا «تجارياً» الذي من أهم خصائصه رنَّته القوية التي ترفع من قدرته على الجذب والإيحاء.

هناك أيضاً تدويل التجارة الذي يتطلب أخذَ لغات البلاد المستورِدة في الاعتبار. من الأمور التي تبحث الدعاية عنها أيضاً بحثها عن الترويج لبعض المنتجات بإبراز بعض خصائصها من خلال بعض المولَّد المختار بعناية؛ فقد استطاعت منتجات مساحيق الغسل، بعد نجاحها في إدخال هذا المصطلح المركب «الإنزيم الشَّرِه» enzymes gloutons[17] (إذ دخل المصطلح التقني إلى اللغة

(17) الجزء الأول من هذه الوحدة المعجمية المركبة enzymes هو نفسه مصطلح تِقني إنزيم «خميرة».

الجارية فغيّر جنسه من مؤنث إلى مذكر، واشترك مع كلمة أخرى لا تنتمي إلى المستوى اللغوي نفسه) إدخَالَ عناصر من مثل lipoaction[18] «ضدّ الدهون». . . إلخ.

ج - مهام تواصلية

إذا كان يُعتَقد أن دور اللغة الأساسي هو تحقيق الاتصال بين الناس، وأن عدداً كبيراً من المواقف اللغوية اليومية تؤدي ما سماه جاكبسون (Jakobson) مهمة شدّ الانتباه (la fonction phatique) (يشار أيضاً إلى مهمة التواصل كما تُصوِّرُه من بين مواقف أخرى، المحادثاتُ حول المطر والجوّ الجميل)، فليس من المستغرب أن يقوم بعض المولَّد بالمساهمة في خلق نوع من التوافق بين المتخاطبين، وبخاصة أن عدداً كبيراً منه يقوم على معلومات مشتركة بينهم. ففي بعض الأحيان يَعمَد بعض المتكلمين إلى استخدام كلمات جديدة بدلاً من أخرى معروفة في اللغة، كما في هذا المثال: (un auditeur sachant auditer]) بدلاً من [écouter «مستمع يجيد الاستماع» وهو من باب الخطأ المقصود به الإضحاك.

كما إنَّ سببَ المولَّد قد يكون صرفاً لدلالة الوحدة اللغوية عن وجهها مبنياً على معارف لغوية وثقافية مشتركة تقريباً. من ذلك المثالان الآتيان اللذان تمّ تحليلهما في الفصل الخامس، واللذان ينتميان إلى الاستعارة وصرف الدلالة عن وجهها: «بهاء وبؤس علم الاقتصاد» (splendeurs et misères de la sciences économique)، و«نبحث عن مارْسو لونْ يعرف الحساب» (on cherche un marceau long sachant compter). إن بعض المولَّد، كما هو حال المثال الأخير، يكشف في بعض الأحيان عن انتقائية واضحة.

---

(18) نحت لكلمتي lipo التي تعني «دُهن» وaction بمعنى حركة.

يمكن التجديد المعجمي أن يكون سلاح إغراء عن طريق استخدام مهارة اللعب على الكلمات وبعض من السخرية. في الحوار، كما في (بجعي) مثلاً، وكذلك في المقالات الصحافية حيث (كتب أحدهم كناية عن حبه للنساء هذه الجملة: أنا سِحَاقي) وأيضاً في الدعايات الإعلانية (j' Halloweene أنا أُهَلْوِن)[19].

4 ـ ضغط بالسياق والمقام

على الرغم من أن المولَّد يجد مبرراته غالباً في عملية البحث عن دالّ لمدلول جديد ومرجع جديد، فإن عدداً لا بأس به منه إنما هو نتاج لما يمارسه السياق النصّي من ضغط على المتكلم؛ إذ كثيراً ما يجد المتكلم نفسه ملزماً بأن يكيف وحدة معجمية موجودة في ما يسميه ب ـ ورولان غرينيغ «مشروعه الذهني السابق للكلام»، فيجعلها في قسم آخر من أقسام الكلام، لتناسب السياق النحوي للجملة التي هو في سبيل بنائها. وهذا ما يفسر كثيراً من «الأخطاء»، وإن كان لا يفسّرها كلها. يبدو أن وجود الدوال التالية: diable «شيطان»، وhorrible «فظيع» في الأذهان هو الذي شجع علي اشتقاق الصفة diablesque «شيطاني» من الأولى، والاسم horribilité «فظاعة» من الثانية؛ لتناسب السياق النحوي. كما يمكن أن نفسر بهذا السبب نفسه (البحث عما يلائم السياق النحوي) ظهور كلمة examination «افتحاص» على لسان ثلاثة ممتحنين في وقت واحد تقريباً؛ ذلك لأن نصّ ألبرت كوهين (Albert Cohen) الذي كان علي التلاميذ أن يعلّقوا عليه تضمّن الجملة التالية: elle examine la lettre «تَفحصُ الرسالة».

---

(19) حيث تمّ اشتقاق فعل من الاسم الإنجليزي Halloween؛ «اسم لأحد الأعياد، ألا وهو عيد الأموات».

5 ـ الضغط الذي تمارسه اللغة وذلك المُمَارَس عليها

أ ـ تطور العالم

هناك إجماع على أن أي لغة لا تتطور تعتبر لغة ميتة؛ ذلك لأنه يجب على اللغة أن تمَكِّن أهلها من التعبير عن الحقائق الجديدة التي تظهر كلّ يوم، وكذلك طرق حياتهم وأساليب تفكيرهم الجديدة، سواء تعلّق الأمر بالمنتجات الصناعية مثل «غسّالة الأواني»، و«فرن يعمل بالموجات الصغيرة»، و«مصوَّرة مرئية»... الخ، أو بالحقائق غير المادية، كالتطورات التي تمسّ نظام العمل والتي تحتاج إلى مصطلحات جديدة لتعبّر عنها. من ذلك مثلاً الكلمة الإنجليزية week-end «نهاية الأسبوع» التي دخلت إلى الفرنسية في بداية القرن العشرين مع دخول الأسبوع الإنجليزي الذي يتضمن راحة أسبوعية تشمل يوم الأحد ويوم السبت أو جزءاً منه، وكذلك المصطلح synergie «تَعاوُن» الذي عرف دفعة قوية سببها انتشار الظاهرة المتمثلة في عمل جماعة أو فريق في مشروع معيّن. هذا الأسلوب الجديد في العمل بدء يحلّ محل الأساليب القديمة القائمة على التسلسل وتوزع العاملين في مكاتب مفصولة بعضها عن بعض (في علاقة مع التغيرات التي طرأت على الفضاء الداخلي الذي صار كالمنصة مفتوحاً يضم مكاتب جميع العاملين من دون فصل بينهم). وقد لاحظت فابيان كوزان بيرش[*] (Fabienne Cusin-Berche) التي درست ظهور المصطلحات الجديدة المرتبطة بدخول فنّ التنظيم والإدارة في مؤسسة كبيرة، هي شركة الكهرباء الفرنسية، أنه عندما يتم تغيير تسمية «رئيس أو مدير العاملين» إلى «مسؤول عن الموارد

(*) Fabienne Cusin-Berche, *Le management par les mots: Etude sociolinguistique de la néologie* (Paris: l'Harmattan, 1998).

البشرية»، فإن هذا التغيير لا يطال فقط الجانب الدَّالِّي من التسمية، وإنما يتعداه إلى الجانب الدلالي حيث يتم بناء علاقات جديدة بين العاملين في الشركة.

ب ـ تغيير العالم

نتوهم أحياناً، وذلك بسبب التماهي بين العلامة اللغوية ومرجعها، أنه يمكننا تغيير الواقع بتغيير الأسماء. لكن الأمر ليس كذلك؛ إذ ماذا ربح «الفقراء» عندما صاروا ينادون بـ «الضعفاء اقتصادياً»، و «المُشَرّدون» بـ «من لا يملكون منزلاً ثابتاً» والعُمْي بـ «من لا يبصرون» ثمّ بـ «ضعاف البصر»؟ إن الأمر لا يتعدى هنا عملية تخفيف بعض الكلمات التي تسَمِّي، بفظاظة، حقائق تعدّ مزعجة؛ فيصار إلى توريتها خوفاً منها.

لقد قادت الرغبة في القطيعة مع النظام الملكي الثوارَ[20] إلى إحلال مسمَّيات جديدة محلّ أخرى قديمة، فقاموا في سنة 1793 مثلاً باستحداث تقويم سنوي جديد بأسماء أشهر جديدة مثل (ترميدور (Thermidor) فركتيدير (Fructidor)) إلا أنها كانت تسميات عابرة. كما قاموا في سنة 1795 بوضع وحدات قياس جديدة مرتبطة بالنظام المتري الذي استمر حتّى يوم الناس هذا.

كما قد يرتبط تغيير التسميات أحياناً بالرغبة في تغيير الطريقة التي يتم بها إدراك بعض الحقائق، كما هو الشأن بالنسبة إلى المصطلح الشائن «فتاة أمّ» (fille mère) الذي يصفه **معجم روبير الصغير** بأنه عَتيقٌ ومُحقِّر، والذي حلّ محلّه مصطلحُ «أم عزبة» (mère célibataire)، ثمّ تَرَكَ، لما فيه من تمييز بين الرجل والمرأة

(20) ثوار الثورة الفرنسية 1789 الذين أسقطوا هذا النظام الذي حكم فرنسا من نهاية عصر النهضة إلى الثورة أي ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر.

(إذ لا يوجد في المعجم مصطلح أب أعزب) مكانه لمصطلح «البيوت التي لها راعٍ واحد».

ج ـ التلاعب بالنظام اللغوي

على الرغم من عدم الاعتراف بالقيمة الحقيقية للمهمة اللغوية القائمة على التلاعب بالنظام اللغوي، فجاكبسون (Jakobson) لم يأت على ذكرها في مخَطَّط المهامّ الست للغة مثلاً، فإنها تظل مهمة جداً؛ إذ ما أكثر المزاح القائم على أسس لغوية خالصة، مثل الاشتراك الصوتي والجناس والتضاد. . . الخ. وفي هذا الإطار يحتلّ المولَّد مكاناً مركزياً حيث تظهر بعض نماذجه صدفة أثناء تبادل لغوي ما، كما يظهر بعضها الآخر انصياعاً إلى استراتيجيات للإبداع اللغوي منتظمة ومخطط لها.

وهكذا نجد في كثير من الأعمال والمواقع الإلكترونية مئات من الأبنية الجديدة مصحوبة بتعريفاتها. من بينها هذا العمل الذي نستشهد به للمرة الثانية ألا وهو «الخيالوسي» لـ الآن فنكييلكرو (Alain Finielkraut)(*) وكذلك **«معجم الكلمات غير الموجودة»**(**) لجان لويس شيفليه (Jean-Louis Chiflet)، وأيضاً الموقع الإلكتروني المخصص لـ «اللغة الخشبية»(***). الذي يضمّ بشكل حصري تقريباً وحدات معجمية بنيت بمكونات قديمة مثل: cératocéphale «زوج مخدوع» التي تعني حرفياً «برأس أقرن». من بين من يعمدون إلى اللعب على الكلمات هناك أيضاً بعض الممثلين الساخرين

(*) Alain Finkielkraut, *Petit dictionnaire illustré* (Paris: [Le Seuil], 1981).

(**) Jean-Loup Chiflet, *Le dictionnaire des mots qui n'existent pas* (Paris: Presse de la cité, 1992).

(***) http: www. geocities. comme/Vienna/3117/xylo. htm

المحترفين، وليس كلّهم، كـ ريمون دوفوس (Raymond Devos) ودو سول (de Sol) (الشخصية التي جسّدها على المسرح م. فافرو (M. Favreau) اللذين يدعوان إلى التفكير في اللغة والتساؤل عن العلاقة بينها وبين العالم؛ فها هو الأخير يحكي في كتاب له بعنوان: *je m'égalomane*[21] **أتعاظم على نفسي** (العنوان وحده يعدّ برنامجاً كاملاً) سفراً في طائرة بعيني ساذَج مسحور بجمال، وثياب، وطريقة حياة من يسميها altesse de l'air[22] «سعادة المضيفة».

د ـ نشر الفرنسية والدفاع عنها

هذا الميل إلى اللغة والإعجاب بها الذي كان السبب في بناء هذا العدد الكبير من المُولَّد القائم على اللعب بالكلمات، يظهر أيضاً في الرغبة في الدفاع عنها وإثراء معجمها كما كان يفعله شعراء **الثريا** (*Pléiade*)، وآخرون غيرهم أيضاً. لكن الأمر لم يعد يتعلق، اليوم، أساساً بسدّ النقص المعجمي الذي كانت الفرنسية **تعانيه**، بل صار الاهتمام منصبّاً أكثر على حماية هويتها والمحافظة على إشعاعها لغةً للثقافة والتواصل. وفي هذا السياق توجد ثلاثة مواقف متباينة؛ فهناك موقف المدافعين عن صفاء اللغة المعادين لأي شكل من أشكال التجديد اللغوي والذين يقابلهم في الطرف الثاني من المعادلة المتساهلون المبارِكون لِكُلّ تغيير وكل جديد، كما يوجد بين هذين الموقفين مواقف متدرّجة. وبما أن أي لغة لا تُسلِم قِيادَها لقانون التطور تعدّ لغة ميتة فإن التجديد، وبخاصة في مجال المعجم، أمرٌ لا يمكن دفعه. غير أنه تجديد تختلف نسبته بين اللغة العامة واللغة

---

(21) فعل مشتق من الاسم mégalomanie «جنون العظمة»، وهو مركب من mégalo «عظيم» وmanie «جنون».

(22) على نمط hôtesse de l'air «المضيفة في الطائرة».

المتخصصة، وتختلف وسائله؛ فكما رُفض في القرن التاسع عشر الاقتراضُ من اللغات العلمية (القديمة)، وبخاصة الإغريقية منها، ينصبّ الاهتمام منذ منتصف القرن العشرين، على انتقاد المقترضات من الإنجليزية الأمر الذي دفع لغوياً مثل إتامبل (Etiemble) إلى تسميتها سخريةً الفرنجليزية. كتب بعض اللغويين عن العجز الذي يعانيه الاشتقاق على الطريقة الفرنسية، في سنوات الخمسين من القرن العشرين، بل نادى بعضهم من أمثال روبرت ليون فاغنر(*) (Robert-Léon Wagner) إلى الاعتماد على «النباتات الأجنبية القوية» بدل الاعتماد على نظام الفرنسية الصرفي الذي يشبه أرضاً حرمت من الراحة فلم تعد قادرة على إنتاج أي شيء طيِّب».

من جهة أخرى، فقد أشار لغويّون آخرون (إميل بنفينيست (Emile Benveniste)، ولويس غيلبيرت (Louis Guilbert) إلى ظهور صيغ جديدة من التركيب الاسمي. لقد اختار البعض، لمواجهة هذا النقاش، أن يعمل ويدلّل على حيوية الفرنسية ونشاطها بإعادة كلمات وعبارات منسية إلى الحياة (lourpidon «عجوز»، وsonica «لعبة فرعونية»، vespérise «وبَّخ»، وla pelle se moque de forgon «الجاروف يضحك من العربة»)[23]، وباستخدام صيغ أشار إلى غيابها بل تأسف عليه معجم **ليتريه** (*Littré*)، مثل (navrance «أسَفٌ»، وIls clorisent، «يُغلِقون») وبتوليد أبنية أو دلالات جديدة (le jeu de la bête à trios dos «لعبة الذابة التي لها ثلاثة أظهُر»، وaccosté de «قريب من»)، وأيضاً بالإلحاح على تغيير بناء بعض المقترضات أو بعض الصيغ المغرورة مثل: cash-flow (التي صارت flot cache-

(*) R. L. Wagner, Préface au: Maurice Rheims, *Dictionnaire des mots sauvages* (Paris: Larousse, 1969).

(23) مثل يضرب لشخصين سخيفين يسخران من بعضهما البعض.

«سيولة مالية») أو hypofifriophobie ومثلها أمثلة كثيرة موجودة في رواية ريتشارد جوريف (Richard Jorif) **المكتبي** (*Le burelain*).

6 ـ المولَّد في خدمة مستعمل اللغة

أ ـ مبدأ الاقتصاد المعجمي

يهدف المولَّد أحياناً إلى اجتناب استخدام شروح تكون في الغالب طويلة وثقيلة. وهكذا فإن استخدام وحدة معجمية جديدة من مثل: chimiquier «ناقلة مواد كيميائية» قد حال دون استخدام هذه العبارة الطويلة «سفينة مصممة لنقل منتجات كيميائية» وكذلك l'entarteur «التُورْتي» (من فرنسية أهل بلجيكا دخلت إلى فرنسية أهل فرنسا في نهاية القرن العشرين) التي تشير إلى «من قذف، ولو مرة واحدة، قرصاً من العجين المحلاة بالسكر في وجه أحد الشخصيات العامة».

كما إنَّ المولَّد يُمَكِّن المتكلم من توفير الجهد اللازم للبحث عن عبارات جديدة مكوَّنة من كلمات لا وجود لها إلا في المعجم. لكن يبدو أن هذه الخدمة التي يسديها المَوَلَّد للمتكلم لم تنل اهتماماً كبيراً من قبل الباحثين على الرغم من الاعتراف بأن معجم اللغة يشكو من نواقص عابرة. فها هي جوزيت ري دوبوف (Josette Rey-Debove) تشير في هذا الإطار إلى ثغرات المعجم اللغوي؛ إذ إنّه من جهة، لا يوجد فيه دائماً ما يعرف بالمفردات المُشتَمِلة(*) (archilexème) (كلمة عامة تعبّر عن كلمات ذات معان خاصة) لتسمية معانٍ جامعة (archisémème) (مجموعة المعاني التي تجمع بين هذه الكلمات ذات المعاني الخاصة جميعها)؛ وهكذا فلا يوجد مثلاً أي

(*) J. Rey-Debove, «Prototypes et définitions,» *DRLAV*, no. 41 (1989).

اسم خاص لمجموعة «قبّعات الريش» ضمن المجموعة الكبيرة «للقبعات»، كما لا يوجد من جهة أخرى مشتقات لِكُلّ الكلمات، أو حتّى إذا وجدت فإنها لا تغطّي كلّ المعاني؛ لذا فليس في الفرنسية فعل مثل polyphoniser «يُعَدِّد الأصوات»، المشتقة من الاسم polyphonie «تعدّد الأصوات» ولا الاسم chrétienneté «التديُّن بالمسيحية» [من chrétien «مسيحي»] ولا يوجد فيها مصدر يدلّ على الاقتراب مشتق من فعل اقترب abordage d'un virage «الاقتراب من منحنى» أو abordage de quelqu'un «الاقتراب من شخص» في مقابل العبارات التقليدية aborder un virage «يقترب من منحنى» أو aborder quelqu'un «يقترب من شخص»، ولذلك تُبتَدَعُ الكلمة الغائبة أحياناً لغرض تجنّب عناء شرحها.

ب ـ البحث عن الكلمة الصحيحة

إن غياب الكلمة التي يمكنها التعبير بدقة عما يدور في الذهن يقود، وإن بتردّد في بعض الأحيان، إلى استحداث أخرى من أجل أن «نُدرج في النسيج التصوري للخطاب قليلاً مما يضيع في الكون إلى الأبد لعدم وجود اسم يمكنه من ولوج الخطاب»(*).

ج ـ علامة انتماء

يمكن المولَّد أن يكون طريقة لتأكيد هوية المتكلم وكذلك هوية المجموعة التي يُتداول في إطارها. فالمولَّد الذي يُرَصِّع به الصحافيون، كآلان شيفر(**) أو فيليب ماير(***)، أعمالَهم، مثلاً، يشكّل في الواقع علامات خاصة على أساليبهم، وهكذا

(*) R. L. Wagner, Préface au: Maurice Rheims, *Dictionnaire des mots sauvages* (Paris: Larousse, 1969).

(**) Alain Schifres, *Les parisiens* (Paris: J.-C. Latès, 1990).

(***) Chroniques édité au Seuil.

تلعب هذه المهمة، مهمة التعبير عن الهوية التي وضَّح أهميتها بجلاء جان بيار غودايه (Jean-Pierre Goudaillier)(*)، دوراً أساسياً في عملية التجدُّد السريع في مفردات ساكني الضواحي. فضلاً عن ذلك فإن استخدام مصطلح غير مطابق لذوق العصر يجعل من صاحبه عرضة للسخرية.

7 ـ المولَّد المزدوج المرجع

إن فهم بعض المُوَلَّد وكذلك النصوص التي يظهر فيها يتطلب ربطَه بوحدات لغوية سابقة له في الظهور يتمثلها أو يصرفها عن وجهها. فكلمة مثل paillotegate «فضيحة البايوت» (لتسمية حريق مُتَعَمَّد لأكواخ قش في جزيرة كورسيكا قام به بعض رجال الدَّرَك) لا يمكن فهم دلالتها ما لم يتم ربطها بالمصطلح الأميركي Watergate فضيحة ووترغيت»، وهو اسم لمبنى كان يضم بعض مكاتب الحزب الديمقراطي التي تعرضت للتجسس بطريقة غير قانونية بأمر من الرئيس نيكسون (Nixon) الذي اضطر إلى الاستقالة من منصبه بسبب ذلك. يلاحظ أن مفهوم «الفضيحة السياسية» قد تركز في الدال gate (الذي يعني «باب» في معناه الأصلي) والذي استعمل للإشارة إلى قائمة من الأعمال المشبوهة مثل monicagate «فضيحة مونيكا» (للدلالة على نزوات الرئيس كلنتون)، وأيضاً Yomagate «فضيحة يوما» (إشارة إلى الإثراء عن طريق الاحتيال الذي قامت به أخت زوجة الرئيس الأرجنتيني كارلوس منعم)... الخ. ومن ذلك أيضاً العبارات المولَّدة عن طريق الاستعارة والتي تُعَبِّر عن الدرجة القصوى في الوصف، مثل: «أم الاستعراضات» (استعراض النصر في

(*) Jean-Pierre Goudaillier, *Comment tu tchatches!*, préf. de Claude Hagège (Paris: Maisonneuve et Larose, 1997).

الولايات المتحدة الأميركية)، أو «أبو الخطابات» (الخطاب المتعلق بحالة الاتحاد سنة 1991)، أو «أم الأسئلة» (للتساؤلات التي كانت تطرح في أوساط الحزب الاشتراكي عن العلاقات الفرنسية العربية)، إضافة إلى مجموعة أخرى من العبارات صيغت على المنوال نفسه وازدهرت بعد حرب الخليج الأولى (1991)، وتصريح صدام حسين الشهير (المُتَرجَم) الذي أكد فيه ضرورة الانتصار في «أمّ المعارك».
من ناحية أخرى. فإن الانحرافات الدلالية التي تتعرض لها التعبيرات والشواهد والعناوين التي تُستَذكَر جُملةً لا يمكن فهمها غالباً إلا بربطها بالمعنى الأصلي للوحدة اللغوية موضوع التغيير، شرط إدراك العلاقة بين الدلالتين (الأصلية والمُحوَّلة)، وبخاصة أن بعضها يتم تشفيره مثل عبارة couches-culottes «حوافظ الأطفال»، في هذا النصّ المنشور سنة 1991: «عمداء دوائر بلدية [باريس] يفتتحون حوافظ الأطفال» التي تشير، بعد ربطها بالتعبير التالي «يفتتحون الأقحوان» الذي اشتهر لوجوده في تصريح لـ شارل ديغول (Charles de Gaulle) أدلى به سنة 1965، إلى أنهم يمارسون أنشطة تافهة (افتتاح رياض للأطفال)، وإلى أنهم لا يملكون سلطة فعلية.

8 ـ المولَّد البالغ التعبير

إن جِدّة بعض المولَّد لافتة للنظر ومعبِّرة إلى الدرجة التي تكشف فيها عن خصوصية بالنسبة إلى القواعد المعروفة من قبل متكلّم بالسَليقة. هذه الميزة يمكنها أن تطال الشكل الكتابي أو الصوتي للوحدة اللغوية أو استعمال أحد مكوناتها أو عدد منها.

أ ـ خصائص كتابية

إن التراكم الشاذ لحرفي هـ وي في «الحصان يصهل صهيلاً طويلاً يكاد لا ينتهي هيهيهيهيهيهيهيهي» يشير في الواقع المادي إلى

طول النفس وكذلك إلى قوة الصهيل ومدته، كما يمكن ملاحظة هذه القدرة على الإبداع في ما يتعلق بالمحكيات وكتابتها في الكتب المصورة، كما هو الحال في إضافة حرف c إلى مؤنث peintre بدلاً من peinctresse «رَسَامة» من اللاتينية pictor) لتضفي عليها لوناً قديماً وغريباً يلائم تماماً شخصية فنانة متميزة.

يشير استخدام الرسم الكاتالوني[24] ny (catalane) بدلاً من الكاستياني (castillane) (اللغة الرسمية لإسبانيا) ñ في عبارة: «الإقليم الكاتالوني بسكانه الذين لا يتجاوز عددهم المليوني نسمة استطاع أن «يُكَتلنَ» (catalunyer) ستة ملايين نسمة من غير سكانه الأصليين» إلى الجاذبية القوية للغة والثقافة الكاتالونية إلى الدرجة التي مكنتها من التأثير على كتابة أولئك الذين يتحدثون عنها في فرنسا، وهم يمارسون اللغة الفرنسية (إدغار موران (Edgar Morin) في صحيفة **اللومند**). هناك أيضاً عدد كبير من أشكال الرسم الإنجليزية الأميركية، مثل ic بدلاً من ique و's أو' فقط التي من المفترض فيها إعطاء صورة عن الحداثة والقدرة الاقتصادية جديرة بتلك العالقة في الأذهان عن الولايات المتحدة الأميركية.

ب ـ خصائص صوتية

يتمّ في بعض الأحيان صنع بعض المختصرات لما تحمله من إيحاءات ترتبط بكلمات تشترك معها في النطق؛ فمثلاً تمت الاستفادة من شهرة الملحنين رامو (Rameau) ورافيل (Ravel) للرفع من قيمة مستودع مداخل ثبت الأطْروحات العلمية الذي هو الفهرس الحجة الموسوعي والألفبائي متحدين المسمّى **رامو** (RAMEAU) (Répertoire d'autorité matière encyclopédique et alphabétique

(24) لغة سكان إقليم الباسك.

(unifié والإحصاء الآلي لرغبات التلاميذ في ما يتعلق بتسجيلهم في الجامعات المسمّى رافيل (Ravel) (Le recensement automatisé des voeux des élèves).

من جهة أخرى، فإن المشترك الصوتي يمكن أن يكون كلمة مقترضة لكنها تختلف في كتابتها عن تلك التي تشترك معها في النطق، كما في SPID (مختصر المصطلح المركب Syndrome polyalgique idiopathique diffus le «عرَض المرض الشامل والمنتشر المجهول المصدر») الذي هو مشترك لفظي للكلمة الإنجليزية speed «سرعة» على الرغم من أنهما يختلفان في الكتابة

كما إنه لا يشترط في الاشتراك الصوتي أن يكون شاملاً بل يكفي الجناس الناقص في بناء المولَد وفي تأويله؛ فالمصَغَّر minuimette (سيارة برتقالية بقوة حصانين) الذي هو جناس لـ mignonette «ظريفة» يجعلنا ندرك أن الأمر يتعلق بـ «سيارة صغيرة بلون الزيرقون».

ج ـ خصائص شكلية

يُبنى بعضُ المولَّد من عناصر لغوية بطريقة تبدو أقل وضوحاً مما هي عليه في الظاهر، مما يترك أثراً في معناه. سوف نميز في ما يلي، على الرغم من الوضع الخاص لِكُلّ حالة، أربعةَ أنواع من إعادة الاستخدام الخاص لمواد لغوية سابقة:

أولاً: هناك بعض الوحدات المعجمية التي تبدو في ظاهرها مشتقة أو مركّبة لكن عند التدقيق فيها نكتشف أنها قد نحتت نحتاً. كما في عبارة serial menteur «الكذّاب المتسلسل» والتي وُلِدَت بالتقاطع بين serial killer[25] وبين supermenteur (الكذّاب الكبير

(25) اسم بطل أحد المسلسلات الأميركية قام بارتكاب سلسلة متتالية من جرائم القتل.

إحدى شخصيات البرنامج التلفزيوني الساخر عرائس الأخبار)؛ فالأمر يتعلق هنا بشخص يكذب كذباً متسلسلاً باستمرار كما يقوم آخرون بارتكاب جرائم قتل متتالية. من الأمثلة على هذه الظاهرة أيضاً الفعل الماضي habitudais في هذا النصّ الذي جاء على لسان أحد الفرسان في رواية كلود سيمون (Claude Simon) «**طريق فلاندر**»: *j'habitudais de monter long* (لقد اعتدت على الصعود عالياً) حيث يبدو أنه تحويل للاسم habitude «عادة» إلى فعل هو habituder «تَعَوّد»؛ لكن بداية الجملة «j'avais l'habitude، je veux dire j'habitais l'attitude, je veux dire j'habitudais de monter long» (لقد اعتدت، أريد أن أقول لقد سكنت الأعالي ما أريد قوله هو أنّني قد تعوّدت على الصعود عالياً)، تشجع على القول بأنه، أي الفعل منحوت من بداية الفعل habitais «سَكَن» ومن نهاية الاسم attitude «أعالي» اللذين يتضمنان - itud ويسبقان الفعل مباشرة في النصّ.

ثانياً: يمكن في بعض الأحيان استخدام عناصر لغوية وتحليلها تحليلاً خاطئاً عن قصد. فالعنصر الصوتي [fast] في عبارة néfaste food (طعام غير جيد) التي تعبّر عن إدانة مطاعم الوجبات السريعة، يستوعب الصفة الإنجليزية fast «سريع» والفرنسية faste (جيد مناسب). من ذلك أيضاً نهاية المولَّد pyrowoman «امرأة تحب النار» الذي يجمع بين العنصر الفرنسي ذي الأصل اليوناني mane «جنون» وبين الكلمة الإنجليزية man (رجل) التي تقابل woman (امرأة، إذاً فالأمر يتعلق بـ «امرأة مجنونة» بالنّار.

ثالثاً: من الممكن أيضاً منح كلمات وعبارات ذات معان مألوفة دلالاتٍ مركبةً؛ كما في الصفة intraitable التي تعني في الأصل «قاسٍ، عديم الإحساس» لكنها قد تعني «الذي لا يمكن علاجه»، على غرار صفات أخرى عديدة من مثل ingérable «الذي لا يمكن

السيطرة عليه» وقد استخدمها بهذه الدلالة أحد الجامعيين في رسالة بعث بها إلى صحيفة **اللوموند**.

من جهة أخرى فإن المعنيين قد يجتمعان بحيث يجب أن نفهم المعنى الأصلي في قولنا «الإدارة قاسية» أي («لا تريد أن تفهم») وفي مثل «سأكون قاسياً» أي («لن أمَكِّن أحداً من استغفالي»)، وكذلك المعنى المركَّب عندما يتعلق الأمر بمشكلة إدارية لا يمكن علاجها.

رابعاً: قد يكون مصدر الشذوذ الشكلي عدم اشتقاق الكلمة اشتقاقاً مباشراً من كلمة أو من كلمات أخرى. هذا النوع من التوليد توليد ارتجائي مطلَق ولكنه يرتبط بعائلة من الكلمات، ومن أمثلته الفعل Goulonné (أكل بشراهة) في «j'ai bien goulonné le Nutella» (أكلت شوكولاتة النوتيلا بشراهة) الذي لم يُشتقَّ من اسم أو من صفة محددين، لكن توجد عائلة من الكلمات التي لها علاقة به مثل gueule/ goulu «فَم/ شَرِه»؛ لذلك نفهم أن الأمر يتعلق بـ «الأكل بشراهة» وبـ «ملء الفم».

إن ظروف ظهور المُولَّد وكذلك الضغوط المسؤولة عن خلقه عديدة ومختلفة في آن معاً؛ مما يضطر المتلقي في التعرف عليه إلى بذل جهد تأويلي خاص لمعرفة معناه، لأن ذاكرته لا تحفظ له معنى جاهزاً، وللوقوف على معرفة الظروف التي برز فيها والأسباب التي أدت إلى هذا التجديد الذي يكمن في التغيير الذي يَمَسّ أحد الأقطاب الثلاثة في المثلث السيميائي وما ينتج عنه من تحول في العلاقات التي تربطها بعضها ببعض. هذه التغيرات التي هي نفسها متعددة ومتنوعة، أنتجتها وسائل توليد معجمية مختلفة (أو معجمية جينية بحسب عبارة جان تورنييه).

الفصل الخامس

تعدد طرق التوليد

«يُعَرَّف التوليد المعجمي بأنه إمكانية خلق وحدات معجمية جديدة عن طريق قواعد التوليد المُتضَمَّنة في النظام اللغوي».

لويس غيلبيرت (Louis Guilbert)
La créativité lexicale (1975)

إن عدد وتنوع تصنيفات المولَّد التي تقترحها أعمال عامة ومتخصصة يُظهر عجز أي واحد منها عن فرض نفسه من دون سواه، ويبيّن مدى الفوضى التي تسود هذا المجال، والتي يجب تبديدها قبل أن نقوم بدورنا باقتراح تصنيفنا الخاص لوسائل التوليد المعجمي.

أولاً ـ تعدد وتنوع التصنيفات

إن عقد مقارنة بين حوالى مائة من هذه التصنيفات(*) يُبرز مدى الاختلاف بينها في الأهداف وفي الأسس التي تقوم عليها. فإذا نظرنا

(*) Jean-François Sablayrolles: 1996-1997 et *La néologie en français contemporain: Examen du concept et analyse de productions néologiques récentes* (Paris: H. Champion, 2000).

مثلاً إلى تلك المبنية على القوالب، والتي تعتبر الأفضل تمثيلاً من بينها، نلاحظ التباين الكبير في أعدادها، (التي تتراوح ما بين اثنين وبضع عشرات)، وأيضاً في علاقاتها بعضها ببعض، حيث نجد من بينها ما يضع عدد الوسائل التي يقترحها على المستوى نفسه، كما إنَّ بعضها الآخر يعتمد على تصنيف متدرج لوسائل البناء المعجمي (يتراوح ما بين مستويين إلى خمسة مستويات) بحسب النقاط المشتركة بينها. لكن على الرغم من أن عدد وسائل التوليد المعترف بها والتصنيف المتدرج لا يسيران على الخطى نفسها، فإن التصنيفات التي تملك حججاً وبراهين أكثر من غيرها هي تلك التي تضم عدداً أكبر من المستويات وتتضمن عدداً أكبر من وسائل التوليد المختلفة من غيرها.

لعلَ التصنيف الأكثر حضوراً من بين كلّ تلك التصنيفات المقترحة هو ذلك الذي يعتمد التقسيم الثلاثي غير المتدرِّج: توليد شكلي (صيغة جديدة)، وتوليد دلالي (معنى جديد)، واقتراض. لكن هناك من جهة أخرى من يرى الاقتصارَ على مستويين اثنين أي توليد صرفي وآخر دلالي، بدعوى أن المقترضات يمكنها الانضواء تحت لواء المستوى الأول إذا كانت مقترضات شكلية أو أن تصنّف ضمن الثاني إذا كانت دلالية. وهو ما تبنّاه جورج ماتوري (Georges Matoré) (1952) وهنرييت والتر (Henriette Walter) (1984) مع إضافة قسم آخر إلى هذين القسمين الأساسيين؛ حيث أضاف الأول التوليد بتغيير المقولة النحوية، كما أضافت الثانية التوليد بقلب المقاطع. أما في ما يتعلق بالتقسيم الثلاثي التقليدي فقد أضاف إليه كلّ من ميكائيل ريفاتير (Michaël Rifaterre) (1953)، **والقاموس التاريخي للغة الفرنسية** (*DHLF*) (1992) قسماً رابعاً هو: الكلمات التي تَسقط من الاستعمال ثمّ يُعاد إحياؤها بالنسبة إلى الأول، والحروف التي تختصر الكلمات بالنسبة إلى الثاني.

ينتج عن هذه الاختلافات في التحليل أن وسيلة التوليد الواحدة ليس لها تصنيف واحد عند الجميع؛ فوسيلة التوليد المتمثلة في خلق كلمات ارتجالاً، مثل كلمة غاز (gaz) (التي ولدت في القرن السابع عشر من الإغريقية (Khaos) خاوس)، وكوداك (Kodak) «علامة تجارية»، المنسية غالباً، قد وضعها «كنز اللغة الفرنسية» (1986) في قسم التوليد الشكلي، كما صنّفتها فرانسواز دونياك (Françoise Dougnac) (1983) مع المولَّدات الناتجة عن المحاكاة ضمن مقولة التوليد الصوتي، بينما خصص لها كلود حجاج (Claude Hagège) (1983) مقولة كاملة.

هذا يعني أن الأمر لا يتعلق في الواقع بضم وسائل توليد متخصصة إلى مجموعات توليدية كبيرة، وإنما يتعلق بأنظمة تحليلية متباينة تماماً ومتنافرة.

من مصادر الخلط التي يمكن أن تضلِّلَ القارئ غيرَ المتَخصِّص غموضُ المصطلح المُوظَّف في هذا السياق. من الأمثلة الدالة على ذلك استخدام تسمية التوليد التركيبي أو النَّحوي للدلالة على ثلاث حقائق مختلفة تمام الاختلاف. **1** ـ التوليد باستخدام كلّ الوسائل المتاحة في اللغة والمجموعة هنا تحت عنوان التركيب. **2** ـ التوليد بتغيير المقولة النحوية من دون إضافة أو إلغاء لأي مزيد اشتقاقي، وهو ما نسميه هنا التبديل. **3** ـ أما الاستخدام الثالث، وهو تقريباً خاص بمعجم **لاروس الصغير المصور** (1898 ـ 1907) فله علاقة بتغير البناء النحوي للكلمة[1] وهو ما نتبناه نحن.

لكي نستطيع دفع خطر الوقوع في الغموض أو الفوضى الذي قد يتسبب فيه عدد من العروض التقليدية أو السريعة، فإننا سنقوم

(1) كتحول الفعل من لازم إلى متعد أو العكس مثلاً.

بإثبات ملاحظتين أساسيتين بخصوص وسائل التوليد المعجمي قبل أن نقوم بعرضها في مجموعات متجانسة ثمّ جمعها بعد ذلك في جدول مختصر في نهاية الفصل.

ثانياً ـ وسائل التوليد والشكل الظاهري للكلمة

يجب أن نميز أولاً بين ما يمكن أن نسميه الشكل الخارجي للكلمة، أي تحليل هذه الأخيرة إلى عناصرها التركيبية (المورفيمات تحديداً، لكن المدلول لا يتطابق بالضرورة مع كلّ الدوالِّ المعزولة عن طريق التحليل التوزيعي: المُوَصِّلات والمورفونات بحسب مصطلحات كلود غرواز (Claude Gruaz) 1990 وبين الوسيلة التوليدية التي أنتجتها. يُبرِر المثالان الآتيان هذا التمييز كما يبينان مدى العلاقات المتكاملة بين أشكال الكلمات الخارجية وبين وسائل التوليد.

لا تعتبر الكلمات البسيطة بعامة ثمرة لوسيلة توليد ما؛ فكلمة «أب» التي لا يمكن تفتيتها إلى أجزاء، هي كلمة موروثة لا يمكن ربطها في الفرنسية بأي وسيلة من وسائل التوليد المعجمي، لكن الفضل في وجود الصفة cool «لطيف» التي دخلت إلى اللغة حديثاً والتي لا يمكن تحليلها صرفياً، في الفرنسية، يرجع إلى وسيلة من وسائل التوليد، ألا وهي الاقتراض.

أما البناء الفعلي désagrémente المُركَّب من سابقة النفي dés، والجذر agré، واللاحقة الاشتقاقية ment، والعلامة الصرفية e التي تبين أنه فعل لضمير غائب، فتتنازعه وسيلتان توليديتان اثنتان؛ إذ يمكن أن يكون نتيجة لإضافة لاحقة النفي إلى الفعل agrémenter «جعل الشيء لطيفاً أو جمَّل» ليصبح معناه «قبَّح» أو أنه مجرد تحويل للاسم désagrément «مَلَل، انزعاج» إلى فعل بمعنى «أزعج». لكن

السياق الذي ورد فيه هذا الفعل: («ما هو الأمر الذي يزعجك؟» يتساءل فريدريك بصوت عال)(*). يرجِّح الاختيارَ الثاني.

يبدو أنه لا أحد يأخذ في الحسبان أن الوحدة المعجمية يمكن أن تكون نتاجاً مشتركاً لعدد من وسائل البناء المعجمي؛ فالكلمة المركبة foot-bas(**) قد وُلِّدت عن طريق التركيب والتغيير الصوتي لكلمة foot-ball «كرة قدم». كما نقرأ عند المؤلِّف نفسه (لابو تانسي Labou Tansy) أيضاً العبارة التالية «je vous aime sur ondes de chair courtes» (أحِبُّك على موجات جسد قصيرة) حيث عبارة ondes courtes «موجات قصيرة» هي نتاج طريقتين من طرائق الخلق المعجمي هما: التركيب والتغيير الدلالي، إذ تمّ خلق كلمة مركبة جديدة بإضافة عنصر لغوي في وسط كلمة قديمة مركبة (ondes courtes «موجات قصيرة»).

وفي النهاية نجد في عبارة «ta chaire silexe dans ma chaire» («جِسمك يتمدد داخل جسمي») تغييراً في المقولة النحوية بتحول الاسم[2] إلى فعل وتغييراً دلالياً بالاستعارة (والمفارقة) حيث شبَّه جسمها المَرِنَ والطَرِيَّ بالصَّوان الذي يعتبر نموذجاً للصلابة والقسوة. ونجد في أحد الإعلانات الدعائية (2001) :Des prix si bas j'halloweene: «أسعار رخيصة إلى هذا الحد!: «أَهَلْوِن «أحتفل بعيد اللاوين» أن الفعل halloweene قد اشتركت في إبداعه ثلاث وسائل توليدية هي: الاقتراض، وتغيّر المقولة النحوية من اسم علم إلى فعل، والجناس مع j'hallucine «أَهْذي».

(*) Richard Jorif, *Le burelain* (Paris: F. Bourin, 1989).

(**) Sony Lab'ou Tansi, *La parenthèse de sang* (Paris: Hatier, [1971], 1981).

(2) يقصد الاسم Silexe «مَرِن».

ثالثاً ـ تصنيف وسائل التوليد المعجمي

التصنيف المقترح في هَذا الكتاب مستلهم بقوة من ذلك الذي أعده جان تورنييه (Jean Tournier) (1985 و1993) للغة الإنجليزية وهو تصنيف متدَرِّج (يصل إلى خمسة مستويات من التضمين)، كما إنه يقترح مقابلة بين وسيلة توليد خارجية (الاقتراض) وبين وسائل توليد تنتمي إلى نظام اللغة نفسها وتتضمن أربع مجموعات تنقسم كلّ واحدة منها إلى مجموعات أصغر. هذه الوسائل هي: **1** ـ الوسائل الصرفية الدلالية **2** ـ الوسائل النحوية الدلالية **3** ـ الوسائل الصرفية **4** ـ الوسيلة التي أسميناها، لعدم وجود تسمية أفضل، الوسيلة التداولية (pragmatique)، علماً بأننا لم نضف إلى النموذج الأصلي إلا بعضَ الوسائل التوليدية من بينها هذه الأخيرة، لنأخذ في الاعتبار بعض المولّدات التي وجدناها هنا أو هناك، ولِنضَمِّنه عدداً من الوسائل المهمة والموجودة في بعض التصنيفات الأخرى.

1 ـ الوسائل الصرفية الدلالية

نجد في قلب هذه المجموعة وسائلَ التوليد بالتركيب[3]، وتلكَ القائمةَ على التقليد والتغيير. لكن الأولى تظهر قدراً من الانتظام كما إنَّ إمكانيةً توقعها عند التطبيق هي أكبر من الثانية، بحيث يمكن أن نصوغ لها قواعد تركيب للكلمات (ق. ت. ك.) التي تستخدم إما وحدة معجمية وإحدى الزيادات (أنواع الزيادات المختلفة الموجودة في الفقرة (أ) أو عدداً من الوحدات المعجمية (أنواع التركيب المختلفة، بالمعنى الواسع، المذكورة في الفقرة (**ب**).

(3) أي بإضافة بعض الزوائد إلى جذر الكلمة.

أ ـ البناء

● **الإسباق**: تكمن هذه الوسيلة في وضع زيادة أمام جذر الكلمة (مورفيم غير متصل[4] ينتمي إلى مجموعة مقفلة ومحدودة) من نوع -re، -dé- en، كما في مثل refonder «أعاد تأسيس» المركَّب من fonder «أسَّس» و «من سابقة الإعادة re»، أو dédroitisation «إنهاء سيطرة اليمين» المركبة من droitisation «سيطرة اليمين» و[من سابقة النفي dé] أو entarter «تَرْتَر» «قذف قرصاً من العجائن الحُلوة في وجه إنسان «المركب من tarte «عجين مُحَلى بالسكر. «و» من سابقة الفعل en». أما في ما يتعلق بالمثال الأخير فإننا نتفق مع دانيال كوربان (1987) على أن العلامات الصرفية لا تعدّ لواحق اشتقاقية وأن عملية الإلحاق يمكن، على عكس ما يُكتَبُ أحياناً، أن تُغَيِّر الانتماء المقولي للوحدة اللغوية. ويمكن ملاحظة هذا النوع من التغير في اللاحقة anti «ضدّ» عند إضافتها إلى إحدى الوحدات اللغوية كما هو في المثال التالي: commando antiOGM «فريق يناضل ضدّ المحاصيل الزراعية المعدلة وراثياً»؛ حيث تمّ، بإضافة السابقة anti «ضِد»، تحويلُ الاسم OGM (محاصيل زراعية معدلة وراثياً) إلى صفة.

هناك مجموعة من السَّوابق قد عرفت شيوعاً كبيراً في السنوات الأخيرة مثل super «كبير أو أكبر» حيث بتنا نسمع مع بداية القرن الواحد والعشرين، وبخاصة في مواضيع لها علاقة بالسياسة الداخلية الفرنسية، كلمات من مثل: supermenteur «كذّاب كبير»، وsupertribun «خطيب بارع»، وsupervoleur «سارق كبير»، وsupervaleur «قيمة عالية». كما إنَّ انتشار استخدام الحاسوب قد

---

(4) أي لا يمكنه الاستقلال بنفسه.

ساعد، بحسب موريس تورنييه[*]، على ميلاد وتنمية سوابق جديدة مثل: e (الحرف الأول من electronic «إلكتروني» الذي ينطق [i]) كما تظهر في الوحدات اللغوية الآتية: e-commerce «تجارة إلكترونية»، وe-taylor «إلكتروني آلي»، وe-connaissance «المعرفة الإلكترونية». وكذلك السابقة cyber التي تشير إلى ماله علاقة بالانترنت... الخ.

● **الإلحاق**: تكمن هذه الطريقة في إضافة لاحقة إلى نهاية الجذع سواء أكَانَ بسيطاً أم لا. أما عَن عناصرها التي تتحقق بها، أي اللواحق، فإنها تنتمي، كالسوابق، إلى مجموعة محددة ومقفلة. وعلى الرغم من الخطاب الذي ساد في خمسينيات القرن العشرين حول القصور المزعوم في الاشتقاق الفرنسي الحديث، فإن هذه الوسيلة تعتبر الوسيلة التوليدية الأكثر إنتاجاً من غيرها في تاريخ اللغة الفرنسية. وهذه أمثلة حديثة تشهد عليها: vieillardisme[5] «عَجُزْ» ringardissime[6] «قديم جداً» policiarisation[7] «شَرطَنة» أو sloganiser[8] «شَعَّر» كما يمكن إضافة اللاحقة إلى المختصرات، مثل umpéiser[9] «يَمْبَبَ». من جهة أخرى فإن إضافة لواحق إلى الكلمات المركَّبة لا يتم دائماً بطريقة مُرضِية، لذا فقد تمّ اللجوء إلى

(*) Maurice Tournier, *Mots, les langages du politique*, no. 68 (mars 2002).

(5) مركبة من vielliard بمعنى «شيخ كبير جداً» ولاحقة المصدر isme.

(6) مركبة من ringard بمعنى «قديم» ولاحقة المبالغة issim.

(7) مركبة من police أي «شرطة» ولاحقة المصدر sation.

(8) مركبة من slogan بمعنى «شِعَار» ولاحقة الفعل er.

(9) حيث أضيفت اللاحقة التصريفية eiser إلى المختصر (UMP (Union pour un mouvement populaire)) «الاتحاد من أجل حركة شعبية» وهو اتحاد يجمع أحزاب يمين الوسط الفرنسية. ومعنى الفعل هنا ضمّ إنسان أو شيء إلى هذا التجمع السياسي أو صبغه بصبغته.

وسائل أخرى كما في المثال التالي: حيث تمّ اللجوء إلى ferroviaire «ما له علاقة بالسكة الحديد» لِتَحل مَحَلَّ chemin de ferresque أو cheminesque de fer اللذين لا يوجد لهما شواهد في اللغة. لكننا نقرأ، رغم ذلك، كلمات مركبة ملحقة مثل bien -- pensance «التفكير المساير» droits de l'hommisme[10]، وكذلك droit de l'hommiste[11] «الحقوق الإنسانية».

من بين الأدوار التي تقوم بها اللواحق عند إضافتها إلى الوحدات اللغوية هو فرضُ مقولة نحوية على الوحدة اللغوية (لكن هذا لا يعنيها كلها، فلاحقة مثل ette يمكنها أن تُكَوِّن أسماءً وصفاتٍ في آن معاً)؛ لذا فإن وجود بعض المشتقات إنما جاء من الرغبة في تغيير المقولة اللغوية للكلمة، كما في النقل غير الموفق للكلمتين horrible «فظيع» وchrétien «مسيحي» من خانة الصفات إلى خانة الأسماء، فصارتا horribilité «فظاعة» وchrétienneté «التدين بالمسيحية». بدلاً من horreur «فظاعة» وfoi «إيمان» أو croyance «عقيدة» الموجودتين في اللغة.

وهذا ما دفع أغلبَ المعاجم وكتبِ النحو إلى الإشارة إلى طبيعة الجذع الذي تضاف إليه الزوائد (اسم أو فعل، مثلاً) وإلى دلالة الزائدة نفسها (ـ - ot تفيد التكرار مثلاً)، كما إنها تحرص على تسجيل المقولة النحوية للوحدة اللغوية بعد الإضافة كما في مثل: (isme لاحقة اسمية).

---

(10) مصلح يطلق على التفكير المساير للأفكار المحافظة في المجتمع بعامة أو تلك التي يتغذى عليها تيار سياسي أو اجتماعي ما. وهو مركب من المصطلح المركب bien-pensé واللاحقة الاسمية ence.

(11) حيث تمت إضافة اللاحقتين isme وiste إلى الجزء الثاني من المصطلحين المركبين ألا وهو homme «إنسان».

● **شبه المركَّبات**: تُطلق هذه التسمية عادة على الوحدات المعجمية التي تستقبل لواحق وسوابق في آن معاً مثل: inviolable «لا يمكن اغتصابه» أو encablure «عُشر الميل». ذلك لأنه لا يوجد في اللغة invioler «لا يُغتصب» ولا violable «يمكن اغتصابه»، كما إنَّ اللغة لا تعرف encabler، ولا cablure. لكن دانيال كوربان(*) (Danielle Corbin) تَعترض على هذا التحليل وتَستبدلُه بإمكانية بناء مشتقات على جذور تسمح اللغة ببنائها على الرغم من عدم وجودها فيها واقعاً مع الإشارة إليها بوضع علامة° قبَلها فَتصبح هكذا: -in °violable أو°encabler -ure التي يمكن أن تحلل بهذه الطريقة: [(en)) سابقة، [cable] اسم] فعل، و(ure) لاحقة)] اسم.

كما إنه توجد وحدات معجمية أضيفت إليها سوابق ولواحق في آن معاً قياساً على وحدات موجودة في اللغة استخدمت باعتبارها قوالب؛ ففي كلمات مثل antichiraquisme primaire «ضدّ الشيراكية الساذجة والضيقة»، أو antiallégrisme primaire «ضدّ الأليغرية الساذجة أو الضيقة»، أضيفت السابقة anti «ضدّ» واللاحقة الاسمية isme التي تدلّ على مذهب أو اتجاه معين، إلى اسمي رجلين من رجال السياسة الفرنسية هما على الترتيب جاك شيراك(12) وكلود الليغر(13) وذلك على غرار anticommunisme primaire «ضدّ الشيوعية الساذجة». والأمر نفسه يمكن أن يقال عن الاشتراك بين السابقة(14) dé وبين اللاحقة ـ iser (أو isation) كما في dépigeonnisation «التخلص من الحمام»،

(*) Danielle Corbin, *Morphologie dérivationnelle et structuration du lexique*, 2 vols. (Tübingen: M. Niemeyer, 1987).

(12) رئيس فرنسا السابق.
(13) وزير تعليم سابق في الحكومة الفرنسية.
(14) التي تعبر عن العكس أو التغيير.

و dédandrellisation de France Musique «التخلص من آثار لويس داندرل (Louis Dandrel) مدير إذاعة فرنسا الموسيقية بعد مغادرته إيّاها؛ حيث أضيفتا إلى pigeon «حمامة» و داندرل (لويس داندرل مدير إذاعة فرنسا الموسيقية) وذلك بعد مغادرته إيّاها.

● **الاشتقاق العكسي**: يَكْمُن هذا الاشتقاق في توليد كلمة بحذف إحدى زياداتها. وهو من الوسائل القليلة الإنتاج، وبخاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن أغلب الأمثلة التقليدية التي تقدّم باعتبارها نتاجاً له، مثل الاسم galop «عَدْو» المشتق من الفعل galoper «عَدَا» السابق له في الوجود، إنما يرجع الفضل في توليدها إلى وسيلة أخرى، ألا وهي وسيلة التغيير المقولي النحوي، وليس إليه؛ ذلك لأن ما يتمّ حذفه في مثل هذه الأمثلة إنما هو علامة الفعل. لكن توجد، على الرغم من ذلك، بعض الوحدات المعجمية التي عرفت طريقها إلى اللغة بفضل هذه الطريقة التوليدية، كالفعلين agresser «اعتدى»، و somnoler «غفا» اللذين اشتقا من الاسمين agression «اعتداء»، و somnolence «غفوة» أو من الصفتين agresseur «مُعْتدٍ»، و somnolent «غافٍ». أما المولَّدات القليلة الحديثة من هذا النوع، فلم يُقصَد بها سوى التسلية في أغْلَبِها. من ذلك مثلاً: (الفعلان orater «خَطَب»، و auditer «اسْتَمع» اللذان وُلِدا بإلغاء لاحقة اسم الفاعل eur من orateur «خَطِيب»، و auditeur «مُسْتَمع»)، لكن الفعل turbuler «هَيَّجَ أو هَزَّ» في عبارة: هَيَّج النظام أو هَزَّه، ليست منها. من ناحية أخرى، فإن حذف السوابق يعتبر أقل وروداً من حذف اللواحق، على قلة هذا الأخير. ومن أمثلته إلغاء سابقة النفي an في analphabète «أمِّيٌ» لتوليد alphabète «غير أمِّي».

● **المولَّد التصريفي**: لنصنف هنا أيضاً، على الرغم من أن

الأمر لا يتعلق في الحقيقة بالاشتقاق، التجديدات الشكلية التي تمسّ تصريف الوحدة المعجمية؛ إذ على الرغم من أن هذه المولدات التصريفية تحسب من الخطأ، فإن بعضها لا يعتبر كذلك. كما إنَّ الشاذ التصريفي تسهل معرفته على صاحب اللغة، لكنه يظَلُ موضوعاً للتعلم بالنسبة إلى الأجنبي. من ناحية أخرى، فإن الإشارة المستمرة إليه في المعاجم تؤكد أن الأمر يتعلق بمعرفة مرتبطة بإتقان المفردة. إذاً، فالتجديد التصريفي ينتمي إلى المُولَّد. وهكذا فإن ريتشارد جوريف يستخدم الماضي البسيط من الفعل clore «أغْلَقَ» ils closirent «أغْلَقُوا» الذي تَأَسَّفَ معجم **ليتريه** (*Littré*) على عدم وجوده في اللغة، كما يقترح صفة مؤنثة frétillones «مرتعشة» من frétillon «مُرتَعِش»[15]. وها هو رونو (Renaud) يعيد الفعل aller «ذهَبَ» الشاذ في تصريفه إلى قائمة الأفعال المنتظمة في تصريفها، فيقول: nous nous en allerons [بدل: nous nous en irons] «سنذهب»، كما يُذَكِر الصفة المؤنثة lesbienne «سِحَاقِية»؛ فيصرّح بأنه lesbien «سِحاقي» [أي] عاشق لِكُلّ النساء]. ومِما يمكن ملاحظته في هذا السياق أيضاً، النزعةُ الحديثةُ المتمثلةُ في استخدام أسماء في صيغة الجمع لكلمات لا تستخدم عادة إلا بصيغة المفرد، مثل: Les incivilités augmentent dans les banlieues[16] «قـلاّت الأدب [بدل قلة الأدب] تزداد في الضواحي». كما إنَّ استخدام الجمع بدل المفرد «الشعبيات (les cites)، وفي الأحياء (les quartiers) يشير إلى الانتماء إلى طبقات اجتماعية محرومة؛ وهو معنى لا يفهم من استخدام الكلمتين نفسيهما مفردتين، أي (cité «شعبية»، وquartier «حيّ»).

---

(15) كأن تقول في العربية عجوزة في تأنيث عجوز التي تطلق على المذكر والمؤنث.

(16) هذه الكلمة التي تعني «الضواحي» ليس لها جمع في أصل اللغة.

ب ـ التركيب

عنى التركيب جمعَ أكثرِ من وحدة معجمية بسيطة لبناء وحدة معجمية مُركَبة، وينقسم إلى ثلاثة أقسام، هي: **1** ـ **الكلمات المركبة** بالمعنى الحَصْري .**2** ـ الوحدات المركبة من كلمتين فأكثر **3** ـ المركّبات العلمية (التي تسمى أحياناً بالكلمات المُعَاد تركيبها)، كما يضاف إليها تلك المنحوتة نحتاً.

● **المركبات بالمعنى الحَصْري**: تكمن هذه الوسيلة في جمع كلمات من أقسام الكلام المختلفة لبناء أسماء (أما في بناء أقسام الكلام الأخرى فلا يتحدث عن تركيب بل عن عبارات كما يشير إلى ذلك غاستون غروس(*) (Gaston gross)، حيث يجتمع الاسم والفعل في مثل: bronze - cul (استسمار)، وlave - linge «غَسَالة ثياب»، المركّبتين بالترتيب من الفعلين bronzer، «اسْمَرَّ» وlaver «غَسَل» والاسْمَين cul «عَجُز»، وlinge «ثياب» أو يجتمع فعلان في مثل: voiture - bélier «السيارة الكبش» المبنية من الاسمين voiture «سيارة»، وbélier «كبش»، أو من اسم وصفة كما في مثل: foyer monoparental «أسرة ذات عائل واحد»، وbombe sale «قنبلة قذرة» (تتضمن نفايات مشعة) المكونتين من الاسمين foyer «أسرة» وombe «قنبلة»، والصفتين monoparental «ذات عائل واحد» وsale «قذرة»، أو من ظرف وفعل في مثل les mal - nutris «سيئ التغذية» المركّبة من الظَرْف mal والصيغة الفعلية nutri «مُغَذّى»... إلخ.

أما عن النظام المتّبع غالباً في بناء هذه الكلمات المركبة فهو النظام التحليلي الروماني القائم على تقديم الموصوف على الصفة

(*) Gaston Gross, *Les expressions figées en français: Noms composés et autres locutions* (Gap: Ophrys, 1996).

والمقابل للنظام الجرماني المسمّى تركيبياً. لكن هذا الأخير الذي لجأت إليه الفرنسية بنسخها بعض الوحدات المعجمية الإنجليزية الأميركية، مثل: gratte - ciel ترجمة للإنجليزية skyscraper «ناطحة سحاب»، قد بدأ يُستخدم حديثاً بكثرة فيها، بحسب ميكائيل دايفد بيكون(*) (Michaël-Davide Picone). وذلك بتأثير الإنجليزية الأميركية؛ فإليه تنتمي كلمات مثل turbo - prof «أستاذ غير مقيم»، وturbo - cadre «موظف سريع الترقي». من جهة أخرى فإن هذا النظام قد تعرّض للتشويه عندما تمّ استخدامه في إنتاج بعض المولدات المزاجية للاحتجاج على الطابع الأميركي للحياة، وما يرافقه من مقترضات مثل vite nouriture، «طعام سريع» وnéfaste food «طعام سيئ»[17].

نلاحظ في النهاية أن وضع شرطة بين مكونات الكلمة المركبة يتم بطريقة جِدُّ عشوائيةٍ، بحيث نجد بعضها مفصولاً بين عناصرها، مثل: compte - tours «عداد دورات المحرك»، وبعضها الآخر من دون فصل، كما في: compte rendu «مَحْضَر».

● **الوحدات المركّبة من كلمات وأدوات**: هذا المصطلح اقترحه أميل بينفينيست (1966) لتسمية شكل من أشكال التركيب التي أشار إلى انتشارها الحديث والسريع في اللغة، وبخاصة في المصطلحات العلمية والتقنية. وتتمثل هذه الوسيلة التوليدية في الجمع بين عدد من الكلمات وربطها ببعض الأدوات (à «إلى»، de «من»، pour «لأجل»)، كما في هذا المثال: pomme de terre[18] «بطاطس»، أو

(*) M. D. Picone, «L'impulsion synthétique: Le français poussé par la synthèse,» *Le français moderne,* vol. 2, nº 59 (1991).

(17) للسخرية من fast food.

(18) التي تعني حرفياً «تفاح الأرض».

في هذه الأمثلة الحديثة: Grenelle de retraites (مفاوضات بين ممثلين عن النقابات المهنية وبين الدولة على غرار تلك التي حلّت أزمة أيار/ مايو 1968)، و le séminaire de gouvernance «اجتماع فريق الحكم» (اجتماع برعاية رئيس الحكومة لكنه مستقل عن جلسات مجلس الوزراء)، وكذلك المثال المذكور سابقاً l'atelier de campagne «ورشة الحملة [الانتخابية]».

● **الكلمات المركّبة من عناصر مقترضة من اللغتين اللاتينية والإغريقية**: لقد بدأ يعرف هذا النوع من أنواع التركيب الفرنسية، بحسب بنفينيست، نمواً سريعاً منذ القرن التاسع عشر، حيث قاد التقدّم العلمي والتقني الذي عرفه ذلك العصر إلى توليد أسماء للمخترعات الجديدة، ومن ثمّ إلى اللجوء من جديد إلى مكوّنات اقترضت من لغات قديمة مثل اللاتينية والإغريقية على وجه الخصوص؛ وهو ما أثار جدلاً لم يتوقف منذ ذلك القرن الذي وصف(*) بأنه محبّ للهيلينية ومبغض للإغريقية(19)، بل مازال هناك إلى اليوم نفر من محبّي اللغة الفرنسية يُدينون بعض المصطلحات التي بنيت بهذه الطريقة ويعتبرونها مُتكلفَّة ومتَصَنَّعة، مثل: (hypofifriophobie) ويتهكمون عليها بصياغة بعض الكلمات على غرارها سخرية، مثل: (batracianophile) «حُبُّ البرمائيات».

أما عن ميزة هذه المكونات (وهي شبه مورفيمات أو مورفيمات خادعة بحسب جان تورنييه فهي تكمن في مرونتها (إذ يمكنها أن تكون صدر الكلمة، كما في graphologue «أخصائي دراسة السلوك بملاحظة الخط»] حيث يأتي المكون اليوناني graphe في صدر

(*) H. Leclerq, «A propos des néologismes d'forigine Grecque,» *Les études classiques*, no. 44 (1976).

(19) أي محب للحضارة الإغريقية لكنه كاره للغتها.

الكلمة]، كما يمكنه أن يكون عَجُزَها، كما في sténographe «كاتب مُخْتزِل»، [حيث نجد المكّون نفسه عَجُز الكلمة]، وكذلك في logopathie «خلل كلامي» [التي يتكون عجزها من مكِّون يوناني هو pathie «مرض»])، وفي مساهمتها في عولمة المصطلحات التي تسهّل التبادل بين اللغات؛ ذلك لأن كلّ اللغات الكبرى المعنية التي تسهم في إنتاج الخطاب العلمي والتقني تتصرف بالطريقة نفسها في صياغة مصطلحاتها.

هناك بعض المعاجم(*) التي تُحصي الكلمات القديمة المستعملة مكِّونات علميةً، وتوضح بدقة قواعد التوليد بهذه الطريقة، وبخاصة تلك المتعلّقة بالصوتين i وo في الصائت النهائي في الجزء الأول من الوحدة المعجمية المركّبة بهذه الطريقة. أما عن المشتقات من هذه المُولَّدات، وكذلك المركبات منها، فإن نقاشاً عبثياً قد دار حول وضعها اللغوي استناداً إلى عدم انتماء هذه المكونات إلى مقولة نحوية معينة؛ فهي تشبه اللواصق في عدم استقلاليتها، والكلمات في صورتها الدلالية، وفي قدرتها على احتلال كلّ الأماكن في التركيب. غير أن شبهها بالكلمات المركبة المقترَضَة من الإغريقية، مثل: (logographe «فقيه الخطاب» philologue «فقيه لغوي»، وpentathlon «مباراة خماسية» [في ألعاب القوة]) يشجع على معاملتها من باب أولى معاملة المركبات التي لها قواعدُها الخاصةُ بها.

نُذَكِّر في النهاية بأن الأمثلة التي ذكرناها في البداية هي مولَّدات فرنسية يجب تمييزها عن المقترضات.

● **النحت**: يَجْمَع هذا النوعُ من المركبات (التي تسمى أحياناً كلمات مشاجب) شظايَا من كلمات بينها اشتراك جزئي في اللفظ. أما

Tels que celui de Henri Cottez, *Dictionnaire des structures du vocabulaire* (*) *savant: Eléments et modèles de formation* (Paris: Le Robert, 1980).

طريقة مزجها في ما بينها فهي أكثر سهولة من تلك التي تُنَظِّم بناء أنواع أخرى من المركّبات. وقد درسها كلّ من ألموت غريسيون(*) (Almuth Gresillon) وأندريه كلاس(**) (André Clas) الذي قسمها إلى ستة أنواع بحسب مكان الحذف الابتدائي (حذف يقع في بداية الكلمة) والحذف النهائي (حذف يتم في آخر الكلمة)، لكن هذا الأسلوب من أساليب التوليد الذي لم يستخدمه كثيرون في القديم، باستثناء بعض الكتّاب، مثل جول لافورغ (Jules Laforgue) في هذه الكلمات مثلاً (crucifige[20] «الصلب» Eternullité[21] «عَجْزٌ أبدي» violuptés[22] «اللذة الاغتصاب») بدأ يعرف منذ عدة عقود من الزمن استخداماً واسعاً، ونجاحاً ظاهراً من بين علاماته، كما لاحظنا سابقاً، ظهورُ عدد من المعاجم. ومن بين الأمثلة الرائعة على وسيلة البناء المعجمي هذه، الكلمةُ التي ولَّدَها أهل الكيبيك لِتَحُل محل الإنجليزية e-mail «رسالة إلكترونية»، ألا وهي courriel، وشبيه بها télématique «تلفزيون عبر الحاسوب» التي تجمع بين télé، «صدر كلمة تلفزيون» وmatique عَجُز كلمة informatique «علم الحاسوب».

إن تفرد هذه المركّبات وكذلك الجهد الخاص الذي تتطلبه معرفة معانيها يسهلان بعامة ملاحظة الجدة فيها، وهو ما بيّنه بوضوح

(*) A. Gresillon, «Le mot-valise, un monstre de langue?» dans: Sylvain Auroux [et al.], éds., *La linguistique fantastique. La Linguistique fantastique* (Paris: J. Clims; Denoël, 1985).

(**) A. Clas, «Une matrice terminologique universelle: La brachygraphie gigone,» *Méta*, vol. 3, no. 23 (1987).

(20) المنحوتة من crucifix «الصلب» واللاحقة ige.

(21) المركبة من الصفة éternel «أبدي» والاسم nullité «عجز».

(22) المركبة من viol «اغتصاب» وvolupté «لذة أو شهوة».

التحقيق الذي قمنا به عن الإحساس بالمُولَّد(*). ومما يمكن ملاحظته في هذا السياق أيضاً، أن من بين أعراض بعض الأمراض النفسية بناءُ عدد من هذه المركبات بطريقة غير واضحة.

ج ـ التوليد بطريق المحاكاة والتحريف

الوسيلة الأخيرة من وسائل التوليد الصرفية الدلالية تلك التي تقوم بخلق كلمات جديدة عن طريق التقليد والتحريف، مثل: المحاكاة، والجناس، والتقطيع الخاطئ، وتحريف الكتابة، والخرق المنتظم لقواعد اللغة.

● **المحاكاة**: تمثل هذه الوحدات اللغوية التي تمتلئ بها الكتب المصوَّرة، إعادةَ إنتاج للأصوات الموجودة في الواقع بحسب النِظَام الصوتي لِكُلّ لغة، وهو ما يفسر اختلافَها من لغة إلى أخرى، على الرغم من أنها تحاكي الوقائع نفسها، أما في ما يتعلق بطرق كتابتها، فإنها تتمتع بحرية واسعة في هذا المجال، بحيث تخالف في كثير من الأحيان القاعدة المتعلّقة بتتابع الحروف وتسلسلها كما في المثال الذي أشرنا إليه سابقاً، والمتعلق بصهيل الخيل والذي كتب في رواية سـان أنـتـونـيـو (Saint Antonio) هـكـذا: hhhhiiiiihhhiiiii (هههههيييييهههييي).

● **الجناس**: يتم بناء هذا النوع من المُولَّد الذي يظهر، في الغالب، إما عن قصد وإما لغرض التسلية، بتحريف دالّ مقيَّد بطريقة خاطئة أو صعب نطقه أو صعبة كتابته. ولعل من بين الأسباب التي تُسَهِّل توليد هذا النوع من الوحدات المعجمية قربُها الدلالي من كلمات أخرى في اللغة، وهو ما جعل كلمة مثل infarctus[23] «سُداد

(*) Jean-François Sablayrolles, éd., *L'innovation lexicale* (Paris: H. Champion, 2003).

(23) حيث تمّ تغيير حرف المد (a) من مكانه بعد حرف (F) ووضعه بعد حرف (R).

أو ذبحة قلبية» تتغير في الغالب، فتصبح infractus (كأن به كسراً)، أو nec plus ultra[24] «لا أروع منه» التي صارت mec plus ultra «رجل لا أروع منه».

هناك أيضاً المثال الرائع وغير المقصود على ما يبدو، ألا وهو la condition في عبارة la condition humaine «الحياة الإنسانية الكريمة» التي صارت incondition باستبدال أداة النفي in بأداة التعريف la للإشارة إلى ظرف إنساني لا يمتّ إلى الإنسانية بأي صلة.

● **التقطيع الخاطئ**: لقد لعبت هذه الوسيلة من الناحية التاريخية، دوراً مهما في تغيير بعض الدوالّ، مثل: (l'ierre «اللبلاب» التي صارت le lierre) كما ذكرنا سابقاً. لكن هذا النوع من الأخطاء لا يستقرّ في اللغة إلا نادراً. من بين هذه الأخطاء أخطاء تُرتكب حقيقة وواقعاً، كما في هذا المثال: (six coffantes بدلاً من sychophantes «واش»). ومنها ما يتم اختلاقه على ألسنة بعض شخصيات الكتب المصورة، مثل (la bulance بدلاً من l'ambulance «سيارة إسعاف»).

● **تحريف الكتابة**: يعمد البعض، ليظهر في هيئة العصري «أميركي» إلى إحلال اللاحقة الإنجليزية ic محل الفرنسية ique، كما في l'hôtel panoramic «الفندق البانورامي»، أو يلجأ، على العكس من ذلك تماماً، إلى إضافة بعض الحروف إلى الكلمات بغية إكسابها إيحاء بالقدم، كما في إدخال الحرف c على كلمة peintresse «رسامة» لتصير peinctresse.

---

(24) حيث تمّ إحلال (m) بدل (n) في nec فصارت mec.

● **الخرق المنتظم للقواعد**: من أشهر هذه الأساليب التي تعمل على إحداث تغيير في شكل مفردات اللغة أسلوبُ القلب (le verlan) أي قلب مقاطع الكلمات. وقد استقر بعض هذا المُولَّد في اللغة محتفظاً بقليل من السوقية أو الشبابية، ومن أمثلته Meuf [مقلوب femme «امرأة»]، وbeurette [مقلوب arabe] «عربية».

هناك أيضاً شكل آخر من أشكال الخروق اللغوية يستخدمه الجزارون في لغتهم كثيراً، ويكمن في نقل الحرف الأول من الكلمة إلى آخرها وإتباعه بلاحقة غريبة ووضع حرف» I «في بدايتها بدلاً من الحرف المنقول؛ فإذا طُبِقت هذه الطريقة على كلمة boucher «جزار»، مثلاً، صَيَّرَتها loucherbem التي تدين لها اللغة الفرنسية بكلمة loufogue المقلوبة بالطريقة نفسها عن fou «مجنون».

أما الشكل الثالث من أشكال الخروق هذه، فهو ذلك المسمّى le javanism «الجاوية» والذي يقوم على إضافة مقطع ـ - av في وسط الكلمات. كما في mavonstre المتحولة عن monstre «ضخم».

2 ـ الوسائل النحوية الدلالية

التجديد، بحسب هذه الوسيلة، لا يمسّ شكل الوحدة المعجمية الموجودة في اللغة من قبلُ، بل استخداماتِها التركيبيةَ (د)، أو دلالتَها (هـ).

د ـ الاستخدامات التركيبية

● **التحويل**: تقوم هذه الوسيلة التي يطلق عليها أيضاً: اشتقاق بالمعنى المجازي للكلمة، وإعادة التصنيف الخ، على تغيير الانتماء المقولي النحوي للوحدة المعجمية من دون أية إضافة أو حذف لأي من الزيادات الاشتقاقية، بحيث تصبح الصفات ظروفاً j'hallucine

grave[25] «أهذي بقوة»)، أو العكس فتتحول الظروف إلى صفات (il est trop[26] «هذا زائد عن الحد») كما تتحول الأفعال إلى أسماء، كما في هذا المثال: la gagne[27] «الفوز».، وكذلك la glisse[28] انزلاق، والأسماء أيضاً إلى أفعال[29] (j'hypnose, je crise, il Wap, il Excel, il e-mail, il MP3, il e-book, il Internet, il GPRS)، كما توجد أيضاً أسماء تستخدم صفات (Ottavio est vachement colère)[30] «أوكتافيو فعلاً رَجُلٌ غَضِبٌ». أو العكس أي استخدام بعض الصفات أسماء كما في un oscarisé[31] «مُؤَسْكَر»، و-(le déjà-lu)[32] «المقروء سابقاً».

من جهة أخرى، فإننا نذهب مذهب دانيال كوربان في عدم اعتبار اللواحق التصريفية، وبخاصة، الأفعال غير المصرفة، لَواحقَ اشتقاقية؛ لذا فإننا نعتبر esclave «اسْتَعْبَدَ» في جملة ça m'esclave sévère «هذا يستعبدني بقسوة» نتاجاً لتغير المقولة النحوية من esclave «عَبدٌ» وليس لعملية الإلحاق، كما نعتقد أن الاسمين glisse «إنزلاق» وgagne «فوز» إنما صارا كذلك بتغيير مقولتهما النحوية لا بالاشتقاق العكسي.

---

(25) حيث تمّ استخدام الصفة grave «ظرفاً».

(26) لقد تمّ استخدام الظرف trop «بكثرة» صفة.

(27) وهي في الأصل فعل في الزمن الحاضر.

(28) أصلها فعل في الزمن الحاضر.

(29) فهذه كلها أسماء استخدمت أفعالاً دون أدنى تغيير في بنيتها. وهي على التوالي: hypnose «تنويم مغناطيسي»، crise «أزمة»، Wap «واب»، Exel «اكسيل»، e-mail «ايمايل»، MP3«م ب 3»، e-book «ايبوك»، Internet «إنترنت»، GPRS «ج ب ر س».

(30) حيث استعمل الاسم colère «غضب» صفة.

(31) فهذه الكلمة صفة تحولت إلى اسم من دون أي تغيير في شكلها.

(32) حيث تحولت الصفة إلى اسم من دون حدوث أي تغيير فيها.

● **التوليد التركيبي**: تكمن طريقة التوليد هذه في تغيير البناء التركيبي للوحدة اللغوية، أو في استخدام كلمات لم تجرِ العادة باستخدامها مع بعض الكلمات. ومن أمثلتها الموجودة في معجم **لاروس المصوّر** (*Larousse illustré*) وفي كتاب **تاريخ اللغة الفرنسية** (*l'HLF*) الفعل se rappeler «تَذَكَّر» الذي كان فعلاً متعدياً بنفسه، فصار يتعدى بحرف الجر [تذكر به] هكذا se rappeler de quelque chose «تذَكَّر بشيء [بدل تذكر شيئاً]»[33]، وكذلك الفعل اللازم pâmer «أغْمِيَ عليه» الذي بات يستعمل متعدياً بنفسه [أغماه] كما في جملة آلان برتراند هذه: les phalènes pâment leurs lèvres «الأَرْفِيَّات [نوع من الفراشات] تغمي شفاهها [بدل تغمي على شفاهها»]. أما الفرنسية المعاصرة «لغة الشباب» فإنها تميل ميلاً واضحاً إلى استخدام هذا النوع من التجديد، حيث بتنا نسمع استخداماً لازماً لأفعال متعدية من مثل: [il craint يخافه ← يخاف]، [il assure يُؤَدِيه ← يُؤَدي]، je calme بمعنى «je me calme» [أهَدِّئه ← أهدأ] كما تمت تعدية أفعال لازمة كالفعل ironiser «سَخِرَ» [سَخِرَ من ← سَخِرَهُ] في جملة (ironiser un passage أي «سَخِرَ النَصَّ [بدلاً من سَخِرَ مِنَ النَصِ]»)، وتعديةُ أفعال متعدّية بنفسها بحروف جَر، كما في مثل: (se souvenir quelque chose [تَذكَّره ← تَذكَّر به]، وpallier [تَدَارَكه ← تدارك إليه]، وvitupérer سَخِطَه ← سخط منه]). كلّ هذه الأفعال المتعدية بنفسها في الأصل باتت تستخدم غالباً متعدية بأدوات جر مثل: à «إلى»، وcontre «ضِد».

من جهة أخرى، فإن المتكلمين يعلمون جيداً أن هذه الكلمة أو تلك، لأنهم هم الذين أضافوها إلى اللغة عن عمد تقريباً، لا تستعمل في الغالب إلا مع كلمات بعينها؛ فمثلاً كلمة aborigène

---

(33) حرفياً تذكّر من شيء.

«صفة للسكان الأصليين لبلد ما» لا تستخدم إلا مع أستراليا (l'Australie) «سكان أستراليا الأصليين»، كما إنَّ الصفة libidineux «شَبِق» لا تناسب إلا propos «كلام»؛ فيقال «كلام شَبِق»... الخ.

هناك أيضاً عبارات أخرى (وصفتها مجلة (*Mercure de France*) في القرن التاسع عشر بأنها «تراكيب غريبة من الكلمات التي يتفاجأ بعضها ببعض») تنتمي هي أيضاً إلى المولَّد الذي يعتبر نتيجة للتركيب المعجمي، والذي تعرضت قيمته لبخس كبير سببه عدم إدراك المدى الذي وصل إليه الجمع بين بعض الكلمات التي يمكن أن تصبح عبارات مسكوكة في النصوص المنتجة فعلاً، بحيث يؤدي وجود كلمة ما إلى استدعاء أخرى، أو عبارة مسكوكة، لكن المتكلم قد يتحرر أحياناً من هذا الثقل فيُجَدِّد عبارته بإحلال كلمات غير متوقعة محلّ كلمات أخرى متوقّعة. ومن أمثلتها عند سوني لابو تانسي(*) الذي يعشق هذه الاستعمالات الجريئة une parenthèse d'entrailles «قوس من الأحشاء»، elle me met les pieds en crue «تَضَع قدمَيَّ في الفيَضان»، وune passe de viande «تمريرة من لحم» بدل passe de balle «تمريرة كرة» ... الخ[34].

هـ ـ التوليد الدلالي

إن استخدام التحليل الآني لصور التعدد الدلالي الذي أعده روبير مارتان(**) يساعد على أن يؤخذ في الاعتبار أكبرُ عدد من

(*) Sony Lab'ou Tansi, *La parenthèse de sang* (Paris: Hatier, 1981).

(34) كأن يقال في العربية، مثلاً: انقلب رأساً على كتف، بدل القلب رأساً على عقب، أو أن يقال: رمية من غير قائم بدل رمية من غير رام، أو: أُكلت يوم أُكل الحوت الأبيض بدل أكلت يوم أكل الثور الأبيض، أو: اليوم صبر وغداً أمر بدل اليوم خمر وغداً أمر.

(**) Robert Martin, *Pour une logique du sens* (Paris: Presses universitaires de France, 1992).

حالات تَغَيُّر المعنى الذي يأتي في مقدمة وسائله تَضييقُ المعنى وتوسيعُه، وكذلك الاستعارةُ والمجازُ ووسائلُ بلاغيةٌ أخرى.

● **تضييق المعاني وتوسيعها**: تكمن هذه الوسيلة في تطبيق الكلمات على حقائق أكثر خصوصية من تلك التي كانت تسميها قبلُ. الأمر الذي يُؤَدِّي إمّا إلى اتساع المعنى، لأن تعريف الكلمة يتضمن معلومات إضافية، وكذلك معينمات أكثر، وإما إلى تضييقه، بسبب اختفاء بعض المعلومات، ونقص في المعينمات؛ فالفعلان pondre «باضت»، وtraire «حَلَب» المشتقان تاريخياً من poser «وضَعَت»، وtirer «جَذَب» بات استعمالهما مقتصراً على مجال الزراعة. أما الفعل arriver «وَصَل» فقد رحل معناه في اتجاه معاكس لسابقيه؛ إذ بعد أن كان يستخدم في الأصل للدَّلالَة على اقتراب السفينة من الشاطئ، صار يعني الوصول مطلقاً. مما يعني اتساعاً في الاستخدام (وإفقاراً في المعنى). هذه التَطُّورات أصبحت مُمْكنة بفضل ما سماه أنطوان مييه (Antoin Meillet) «التقطع في انتقال المعنى» أي إن المتلقي لا يبني بالضبط المعنى نفسه الذي قصده المتكلم. فإذا تكرر هذا التفاوت في الفهم في الاتجاه نفسه، فإن معنى الكلمات يتغيّر؛ فكلمة مثل saoul «شبعان من الطعام» فُهِمَت هكذا «شبعان من الخمر» عندما وُصِف بها أناس ثملون. وقد تمكّن هذا المعنى الأخير من القضاء على المعنى الأول. من ذلك أيضاً استخدام كلمة bug وصفاً لحادثة نشر نتائج إحدى المسابقات قبل أوانها على الرغم من أن الأمر لا يتعلق في الحقيقة بخطأ حاسوبي [كما هو معنى الكلمة الآن]. كما يعدّ من الاتساع في استعمال كلمة formaté «مُعَدّ» أيضاً وصفُ مترَشِّح إلى وظيفة ما بأنه formaté «مُعَدٌّ لها» (il a été formaté pour ce poste).

● **الاستعارة**: لكي يقال عن وحدة معجمية بأنها مُوَلَّدة

بالاستعارة فلا بدّ من أن تكون هناك، بحسب تعبير ميشال بريال(*) (Michel Bréal)، «ملاحظة فورية لتشابه بين شيئين» كما هو الحال في كلمة فأرة، (يقال لها أحياناً في أيامنا فأرة الإحراج) التي سُمِّي بها الشيء الموصول بالحاسوب، بسبب حجمها، ولونها الذي يكون في الغالب رمادياً، وحركتها، وكذلك الخيط الذي يوصلها بالجهاز والذي يذكر بذيل الفأر.

● **المجاز المرسل**: يتم التوليد بالمجاز المرسل بإعطاء كلمة ما معنى له علاقة مصاحبة مع المعنى الأصلي. ومن بين هذه العلاقات المتعددة: تسمية الحدث بالمكان الذي جرى فيه un grenelle de «مفاوضات ثلاثية بين الدولة وأرباب الأعمال والعمال جرت في هذا المكان») أو إطلاق اسم المكان على ما يتم إنتاجه فيه (picardine) «بطاطس يزرع في إقليم بيكاردي» (Picardie)، أو تسمية شيء باسم أحد مكوِّناته (un transistor) «مُحَوِّل») أو بالمادة المصنوع منها (vinyle فينيل «مادة كيميائية»)... إلخ.

● **صور مجازية أخرى**: توجد أساليب مجازية أخرى، لا يشار إليها في الغالب، تُسهِم بدورها في عملية التجديد المعجمي. منها على سبيل المثال: ـ المفارقة كما في الصفة المركبة «صحيح ـ خاطئ» ـ، والتورية، ومن أمثلتها هذه العبارة: «فجوة إدراكية» بدلاً من «خطأ» ـ والتلطيف الذي منه «الحارسة» تسمية لـ «المومس التي تُستدعى بالهاتف»،. والتضادّ كما في مناداة المومس بالمحترمة. ـ والكناية، ومنها مارسو لون (un Marceau Long) كناية عن «إنسان محترم وكفؤ» وكذلك نيكو المعلومات (Nicoud) كناية عن شخص ذي خصائص تامة... إلخ.

(*) Michel Bréal, *Essai de sémantique: Science des significations* (Paris: Hachette, 1897).

3 ـ الوسائل الصرفية

القسم الثالث من أقسام وسائل التوليد الداخلي المنتمية إلى النظام اللغوي يتكون من **الحذف والاختصار** اللذين يصنفهما جان تورنييه باعتبارهما وسيلتين صرفيتين فقط على الرغم من عدم حيادية الشكل الجديد على المستوى الدلالي تماماً، وبخاصة في ما يتعلق بالمستوى الإيحائي.

● **الحذف**: يخضع هذا النوع من وسائل التوليد، باختصاره لوحدات معجمية متعددة المقاطع، إلى مبدأ الاقتصاد اللغوي، ويمكن تمييز ثلاث صور منه بحسب موقع الحذف: في البداية أو في الوسط أو في النهاية (apocope).

من الملاحظ حديثاً تعدّدُ استخدام هذه الوسيلة، فظهرت مُولَّدات بمزايا متعددة؛ إذ قد تزايد في هذا السياق الحذف الذي يتم في أول الكلمات والذي كان نادراً في الماضي. ومن أمثلة: blème بدلاً من problème «مشكلة»، وleur اختصاراً لـ contrôleur «مُفتِّش»، وأيضاً tain مختصر putain «بَغِيّ». أما في ما يتعلق بالمقطع الذي يبقى بعد الحذف فإنه غالباً ما يكون مقفلاً، أي إنه يتضمن حرفاً صامتاً منطوقاً في نهايته، في الكلمات البسيطة (scol اختصاراً لـ scolarité «دراسة»، وأيضاً proc بدلاً من procureur «وكيل نيابة»، في عبارة «وكيل نيابة جديد لباريس»)، أو في الكلمات المركبة أو في العبارات، كما في: petit déj بدلاً من petit [déjeuner «وجبة إفطار» وفي à plus اختصاراً لعبارة à plus tard في ما بعد»، وفي Place d'it [مختصر Place d'Italie] «ساحة إيطاليا». في حين أن المقطع الذي كان يُترَك في الماضي كان مفتوحاً، كما في (le pro [مختصر proviseur] «مدير مدرسة ثانوية») بل إنّهم كانوا

يُبْقُون في الماضي على مقطعين مفتوحين في الغالب، ومن الأمثلة على ذلك (ciné [من cinéma] «خَيَالَة» وsympa [من sympathique «لطيف»]. . . الخ.

● **الاختصار**: إن التعريف الأكثر تداولاً والأكثر أهمية من غيره لهذه الوسيلة التوليدية ذلك الذي يذهب إلى أنها تتضمن المختصرات التي تنطق حرفاً بحرف (les sigles)، وتلك التي تنطق مقاطع كالكلمات العادية (les acronymes). لقد بدأ اللجوء إلى استخدام هذه الوسيلة يتزايد بصورة واضحة، وبخاصة في مجال المصطلح الإداري؛ فبعد الـ UV (unité de valeur «وحدة قيمية») قامت الجامعة باستحداث الـ UE (unité d'enseignement «وحدة تعليمية»)، وأيضاً ECUE (أحد عناصر UE الوحدة القيمية). إن بعضاً من هذه المختصرات لا يكتفي بلغة الاختصاصات بل يتجاوزها ويدخل إلى اللغة العادية، ويحلّ في بعض الأحيان محلّ كلمات من اللغة كما في SDF مختصر عبارة sans domicile fixe «بدون سكن ثابت» التي أخذت مكان clochard «مَتشَرِّد»، على الرغم من أن الأمر لا يتعلق بالحالة نفسها تماماً.

من الاتجاهات الحديثة في هذا السياق النزوع إلى استحداث مختصرات تشترك في لفظها مع كلمات موجودة في اللغة (قد تكون هذه الكلمات أسماء مشتركة مثل MAL اختصاراً لـ mouvement apolitique lycéen «حركة غير سياسية خاصة بطلبة المدارس الثانوية»)[35]، أو أسماء أعلام كما في سيرس CERES ورامو RAMEAU.

---

(35) والتي تشترك لفظاً مع كلمة mal بمعنى «ألم».

تبقى ملاحظة أخيرة تجدر الإشارة إليها هنا وهي أن هذه المختصرات يمكن أن تكون جذور اشتقاق كما في: Rmiste[36] «الحاصل على الدخل الأدنى للاندماج الاجتماعي».

4 ـ في تغيير دلالة وحدة معجمية «طويلة ومركبة»

الوسيلة الأخيرة من الوسائل الداخلية للتوليد المعجمي هي تلك المتمثلة في تغيير دلالة وحدة معجمية «طويلة ومركبة» كالعبارات أو الجمل التي يحفظها عدد كبير من المتكلمين، مثل: (الأمثال، وعناوين الأعمال، والشواهد القديمة، والجمل الصغيرة التي تنسب إلى أناس ذوي شهرة، والمقاطع من أغاني الأطفال... الخ) والتي تضمّ في الوقت نفسه ما هو ثابت، وما هو محفوظ، وكذلك التجديد المترتب على تعديل أحد أجزائها، بالإضافة أو بالحذف أو بالاستبدال. فكيف لا يمكن الحديث عن مولَّد في هذه الحالة إذاً؟ ولا سيّما أن المعنى الجديد، بغضّ النظر عن الإشارات والغمزات التي لا مبرر لها دلالياً، هو حصيلة العلاقة بين العبارة في ثوبها الجديد وبين دلالتها القديمة.

إذاً فعلى هذا الأساس يمكن الحديث عن تداول هنا. هذه الآلية تقوم من جهة على الخبرات الثقافية والمعجمية للمخاطبين، وعلى العلاقات المشتركة بين المتكلمين من جهة أخرى؛ لذا فإن نصاً مثل «on cherche un Marceau Long sachant compter»[*] يمكن ألا يَعْني أيَّ شيء لكثير من المتلَقِّين [الذين لا معرفة لهم بالظروف التي قيل فيها ولا بعلاقة ا لتَّنَاصّ التي تَربطه بنصوص أخرى.]؛ فالأمر

---

(36) المشتقة من *RMI* مختصر revenu minimum d'insertion «الدخل الأدنى للاندماج الاجتماعي».

(*) *Nouvel Observateur* (1993).

يتعلق هنا ببحث «[حزب] التجمع من أجل الجمهورية» RPR(*) عن محاسب نزيه في نزاهة موظف الدولة الكبير مارسو لون (Marceau Long) وكفء في فهم الأرقام كفاءةَ جورج بومبيدو في مجال الآداب، في إشارة إلى شارل دو غول (Charles de Gaulle) الذي كان يبحث عن «خريج من مدرسة المعلمين العليا يجيد الكتابة» «normalien sachant écrire». يشير غاستون غروس(**) في هذا السياق، إلى أن التغيير الذي يمس العبارات المسكوكة يُبرز بوضوح وجود هذه العبارات.

نشير في النهاية إلى أن هذا النوع من المولَّد يكثر في أنواع من الخطاب اللغوي من دون أخرى، كالخطاب الصحافي والإعلاني، ومنه (la vie du côté bon «حلوة الحياة»، pièges à jeunes loups[37] «شرك لذئاب صغيرة» [كناية عن فخّ يدبر لمن لا خبرة لهم])، وإلى أن طبيعة هذه العبارات المسكوكة مختلفة ومتنوعة.

5 ـ الاقتراض

يُعتبر الاقتراض الذي يقابل جميع طرق التوليد اللغوي الأخرى باعتماده على أنظمة ولغات أجنبية ـ حية أو ميتة ـ لا على النظام الداخلي للغة نفسها في خلق وحدات لغوية جديدة، وَسيلةً تلجأ إليها اللغات جميعها لإثراء معاجمها اللغوية؛ لذا فهو لا يشكل أي مصدر

(*) Rassemblement pour la république [حزب التجمع من أجل الجمهورية].

(**) Gaston Gross, *Les expressions figées en français: Noms composés et autres locutions* (Gap: Ophrys, 1996).

(37) حيث تمّ تأخير الصفة bon «حسن أو جيد» التي هي مقدمة في العبارة الأصلية prendre la vie de bon côté كناية «عن النظر إلى الجوانب الإيجابية في الحياة» كأن تقول في العربية حلوة الحياة بدل الحياة حلوة.

خوف على اللغة؛ فالمجتمعات تحتاج إلى اقتراض الكلمات بقدر احتياجها إلى استيراد الأشياء محسوسةً كانت مثل: (le radar «الرادار»، le fast-food «الوجبات السريعة»)، أو مجردةً مثل: (le week-end «نهاية الأسبوع» [التي دخلت إلى الفرنسية]» مع دخول مفهوم الأسبوع الإنجليزي»).

إن المقاييس التي استخدمتها بعض الدراسات، لإحصاء عدد المقترضات، وبخاصة الإنجليزية منها، في المعاجم بتحليل الكلمات الأكثر استخداماً، كما استخدامات اللغة العامة تُبيِّن أنه، بحسب ما أوردته جوزيت ري دوبوف (1980) وما أكده جون أومبلي (John Humbley) (2000)، وعلى عكس بعض الخطابات التي تُخَوِّف من ظاهرة الاقتراض، أن هذه المقترضات لا تمثل سوى نسبة 2,5 في المئة من الوحدات المعجمية الفرنسية و 0,6 في المئة من كلمات صحيفة **اللوموند**.

من جهة أخرى، فإن التهديدات في هذا السياق تمسّ أكثرَ ما تمسّ اللغة المستخدمة في المجالات العلمية ومصطلحاتها في فرنسا، كما في بلاد العالم الأخرى. كما إنَّ هناك ظواهر أخرى يمكن أن تمثل مصادر قلق في هذا الإطار، كتلك المتمثلة في اقتراض كلمات إنجليزية أحاديةِ المعنى وغامضةٍ، لتَحلّ محل مفردات فرنسية بمعانيها وظلالها المتعددة. من بين الأمثلة التي يقدمها موريس بيرنييه(*) (Maurice Pergnier) لهذا النوع من المقترضات كلمة break التي يستخدمها أحد الصحافيين مرادفاً لكلمتي coupure «قَطْع»، وbrisure «كَسْر»، غير قادر على استخدام كلمات فرنسية أخرى مثل pause

(*) Maurice Pergnier, *Les anglicismes* (Paris: Presses universitaires de France, 1989).

«استراحة»، وarrêt «تَوَقُّف»، وintermède «فاصل زمني» أو entracte «استراحة بين فصلين».

من القضايا المقلقة في هذا المجال أيضاً التأثيرات الإنجليزية الخاطئة التي يبدو أن سببها أخطاء مدرسية ذكرناها سابقاً، مثل: examination (بدلاً من examen) «اختبار»، أو horribilité (بدلاً من horrible «بُغض»).

يبقى في النهاية المقترضات الدلالية التي تمر غالباً من دون ملاحظة كما هو حال الفعل réaliser «أنجز» الذي يعني اليوم ما يعنيه الفعل comprendre «فهم»، وذلك بتأثير الفعل الإنجليزي to realize (فَهِم).

من قضايا الاقتراض التي يجب التوقف عندها تلك المتعلّقة بالتفريق بين اللغة المقترَض منها ولغة المقترِض الأصلية، فكلمة مثل jungle «غابة» اقترضتها الفرنسية من الإنجليزية التي اقترضتها بدورها من الهندية. هناك أيضاً كلمات أقرضتها بعض اللغات إلى أخرى ثمّ عادت هي نفسها إلى اقتراضها من تلك اللغات، مثل: tennis (tenez «تنس»)، وbudget (bougette «ميزانية») اللتين أقرضتهما الفرنسية إلى الإنجليزية ثمّ استعادتهما منها بعد ذلك، ومثلهما أيضاً الفعل générer «وَلَّد» الذي عاد إلى اللغة الفرنسية مصطلحاً من مصطلحات النحو التوليدي.

من الظواهر التي لها علاقة بموضوع الاقتراض أيضاً ظاهرة ما يعرف بالاقتراض الخاطئ التي تكمن في بناء كلمات فرنسية على أصول أجنبية ـ إنجليزية أو يونانية أو لاتينية ـ مع الاعتقاد بوجودها في تلك اللغات. لكنه اعتقاد خاطئ، إذ لا وجود إطلاقاً لتلك المفردات فيها. من هذه الكلمات: camping-car «سيارة تَنَقُّل

وإقـامـة»، وtennisman «لاعـب تـنـس»، وOléoduc «خـطّ أنـابـيـب البترول»، وboviduc «ممر تحت طريق».

أما عن المدّة التي تحتاجها الوحدة اللغوية المقترضة ـ حقيقة أو خطأً ـ للاندماج في محيطها الجديد ـ اللغة المقتَرِضة ـ بحيث لا يعود مستخدم اللغة يشعر بغربتها، فهي مختلفة، فكلمة مثل week-end (نهاية الأسبوع) اقترضتها الفرنسية من الإنجليزية منذ ما يزيد على قرن من الزمان إلا أن أنصار الصفاء اللغوي مازالوا يعتبرونها كلمة دخيلة، على الرغم من أنها لم تأخذ مكان أي كلمة فرنسية ولا يوجد لها مرادف حقيق في هذه اللغة.

في المقابل، هناك كلمات اقترضتها الفرنسية من الإنجليزية استطاعت أن تندمج تماماً في لغتها الجديدة ـ الفرنسيةـ بفضل ملاءَمتها الأنظمة الصوتية والصرفية والكتابية لهذه اللغة. من هذه الكلمات: baquebot (من الإنجليزية packet-boat في 1634 «باخرة كبيرة»)، و redingote (riding-coat، 1725، «معطف»)، وgratte-ciel (skyscraper، في نهاية القرن التاسع عشر، «ناطحة سحاب»)، وradar «رادار» (Radio Detecting And Ranging، 1943)، وgazol (gas oil، 1973، «زيت الغاز»)، وfioul (fuel، 1983، «نوع من الوقود»).

لكن هذه الملاءَمة ليست شرطاً دائماً لاندماج المقترضات في أنظمتها اللغوية الجديدة، بدليل أن هناك كلمات دخيلة استطاعت أن تفرض نفسها على الرغم من قرارات رسمية اتُّخذت بإحلال كلمات فرنسية محلّها، كتلك التي استهدفت إلغاء كلمتي bulldozer «جرافة»، starter «مُحَرِّك»، وإحلال (bouteur، 1973، enrichisseur، 1991 محلّهما).

وسائل التوليد المعجمي

<table dir="rtl">
<tr><td rowspan="16">وسائل داخلية</td><td rowspan="8">صرفية دلالية</td><td rowspan="7">بناء</td><td rowspan="5">إلصاق</td><td>إلحاق</td></tr>
<tr><td>إسباق</td></tr>
<tr><td>اشتقاق عكسي</td></tr>
<tr><td>تصريف</td></tr>
<tr><td>شبه تركيب</td></tr>
<tr><td rowspan="2">تركيب</td><td>تركيب
الوحدات المعنوية
شبه مورفيم</td></tr>
<tr><td>نحت</td></tr>
<tr><td colspan="2">تقليد وتشويه</td><td>محاكاة
تقطيع خاطئ
لعب كتابي
جناس</td></tr>
<tr><td rowspan="6">نحوية دلالية</td><td colspan="2" rowspan="2">تغير وظيفي</td><td>التغير المقولي</td></tr>
<tr><td>تركيب نحويّ معجميّ</td></tr>
<tr><td colspan="2" rowspan="4">تغيّر دلالي</td><td>استعارة</td></tr>
<tr><td>كناية</td></tr>
<tr><td>صور مجازية أخرى</td></tr>
<tr><td>حذف</td></tr>
<tr><td>صرفية</td><td colspan="2">تصغير الشكل</td><td>اختصار</td></tr>
<tr><td colspan="3">تداولية</td><td>تغيير</td></tr>
<tr><td colspan="4">وسيلة خارجية</td><td>اقتراض</td></tr>
</table>

الفصل السادس

الاعتراف بالمولَّد ودفنه في آن معاً

«وbaser «أسَّسَ»، هذا الفعل المولَّد الذي وصفه بالأمس القريب أحد الأقلام الساخرة وصفاً سيئاً؛ هل يجب إذاً أن يُحْظَرَ، وأن تُغْلَقَ في وجهه جميع أبواب المعجم الجديد؟»

سانت بيف (Sainte-Beuve)

الأسابيع الجديدة «ج 11»

1863 ـ 1869

إن إدخال كلمة أو معنى جديد إلى المعجم ليثير في بعض الأحيان جدلاً عاصفاً، كذلك الذي أثاره الفعل baser «أسَّس». يذكر ريمي دو غورمون (Rémy de Gourmont) في كتابه **جماليات اللغة الفرنسية** (*Esthétique de la langue française*) المنشور في سنة 1999 أنّه أثناء النقاش الذي دار حول دخول الفعل baser «أسَّس» إلى معجم الأكاديمية الفرنسية تساءل بول دوشانال (Paul Deschanel) عن «الجدوى من إضافة هذا الفعل في ظلّ وجود الفعل fonder «أسَّسَ». أما روايه كولار (Royer-Collard) الرئيس السابق للمحافظين فقد أضاف مُهَدِّداً: «سَأَخْرُجُ إذا دَخَلَ». فما كان من ريمي دو غورمون إلا أن علَّق قائلاً بخصوص «هذا الفعل الممتاز

ذي الشكل الرشيق «أنّه» لا يمكننا فهم هذا الموقف وهذا الكلام. ألا يعرف روايبه كولار (Royer-Collard) أن عدداً كبيراً من الكلمات التي تحميها الأرستقراطية من هذا المتَطَفِّل السَاذَج، قد كانت هي نفسها كلمات دخيلةً ومُحْتَقَرَةً في القرن السابع عشر؟».

بما أن دخول المولَّد إلى المعجم يعني الاعترافَ الرَّسْمِيَّ به، وبدايةَ فَقْده صفة المولَّد، فإنه من الطبيعي أن تظهر أحاسيس مختلفة أثناء تلك العملية التي تتطلب من المعجميّ أن يأخذ موقفاً محَدَّداً، فيقبل أو يرفض هذا الدخول. هناك في الواقع عدد من العوامل المتشابكة التي تؤثر في اتخاذ هذا القرار؛ ذلك لأن المعجم يظل، بدءاً من تجميع المعلومات وانتهاء بمعالجتها، عملاً تفسيرياً يرتبط بوسائط ومتغيرات مختلفة من بينها:

توقعات المتكلمين وانتظارهم، وهي ليست من أسهل الضغوط التي يتعرض لها صانع المعجم، إذ ينظر إلى المعجم أحياناً باعتباره الفهرس المفضل للغة الحية؛ لأنه يقدم تعريفاً لِكُلّ كلماتها القديمة والجديدة، وأحياناً باعتباره حارساً لها؛ لذا فإن المتكلم يسوؤه أن يجد فيه ما يرفض من الكلمات. الأمر الذي يضطر المعجمي إلى تبرير اختياراته دائماً وأبداً.

تنوع الاتجاهات اللغوية للمعجميين: هذا التنوع يمكن ملاحظته بسهولة؛ فـ **ليتريه** (*Littré*) المُعجَبِ باللغة القديمة لا يبدي ارتياحه للمولَّد إلا إذا كان تجديداً لكلمة قديمة جداً، في حين أن **لاروس** (*Larousse*) القريبَ من أفكار بيار جوزيف برودون (Pierre Joseph Proudhon) والناظرَ نحو المستقبل، لا يرد المولَّد التِّقَنيَ. أما فيرو (Féraud) فقد أضاف إلى **معجمه النَّقْدِي** (*Dictionnaire critique*) (1787) أكثر من 2000 كلمة.

المرحلة التاريخية والأيديولوجيا التي تسودها تعتبران أيضاً من العناصر المؤثرة في اختيارات المعجمي؛ لذا وجب الانتظار حتّى

نهاية القرن التاسع عشر لتخفّ وجهة النظر القائمة على التفريق القِيمِي بين التوليد والمُولَّد بمدحها الأول وذمِّها الثاني. وهو ما تُبَيِّنه الأمثلة الواضحة التي يقدمها **معجم الأكاديمية الفرنسية** في مادتي التوليد والمولَّد في طبعته الخامسة؛ «فالتوليد أو فَنُّ ابتكار أو استخدام كلمات جديدة يتطلب كثيراً من الذوق والفطنة؛ إذاً فهو فن. أما المولَّد فهو عيب». وهكذا يمكننا أن نفهم بطريقة أوضح الملاحظة التي صاغها بريبا سافران (Brillat-Savrain) سنة 1825 في كتابه: **علم وظائف الذوق** (*Physiologie du goût*) «لقد استمعت قديماً في الأكاديمية إلى خطاب ظريف جداً عن خطر المولَّد، وعن ضرورة حفظ لغتنا منه لتبقى كما تركها مؤلّفو القرون الرائعة».

إن استقبال المولَّد يختلف بالطبع بين المرحلة التي اشتهر فيها علم اللغة التاريخي بفكرته القائمة على أن اللغة قد بلغت أوجها في القرن السابع عشر وبين تلك التي سادتها البنيوية التي تعطي الأولية إلى اللغة المعاصرة.

يتحكم الفضاء المخصص للكتابة، هو أيضاً، في عملية استقبال المولَّد؛ فالمعاجم كلها، باستثناء المعاجم الإلكترونية التي تتمتع بفضاء طِبَاعِيّ غيرِ محدَّد تقريباً، لها قدرة محدودة على استقبال الكلمات الجديدة، وبالتالي فهي مضطرة أولاً إلى اختيار بعضها فقط، وثانياً إلى حذف بعض المعلومات القديمة في الصفحات التي ستُفرد مكاناً لهذا القادم الجديد؛ حتّى لا تعاد طباعة المعجم بأكمله.

كما لا ننسى، في هذا السياق أيضاً، أن وتيرة إعادة طباعة المعاجم تجعل من التقييد المنتظم للموَلَّد فيها أمراً صعباً؛ فالمعاجم الصغيرة التي تصدر في كلّ عام يمكن تجديدها سنوياً، في حين أن تلك الكبيرة المكونة من مجموعة مجلدات يصعب إعادة طباعتها في مدد قصيرة نسبياً، وبالتالي فهي مضطرة إلى إضافة ملاحق من حين إلى آخر.

إن الحركة المستمرة للغة تجعل عمل المعجمي أمراً صعباً،

وهو ما يشير إليه هنري ميتيران (Henri Mitterand) في كتابه **الكلمات الفرنسية** المنشور في سنة 1963 قائلاً: «إن المعجمي لا بدّ أن يخسر في صراعه الأبدي مع معجم اللغة؛ لأنه لا يخلو يوم واحد من ميلاد كلمات جديدة».

وبما أن مستقبل الكلمة الجديدة من حيث سقوطُها في عالم النسيان أو اندماجُها في كون اللغة، غيرُ معروف مسبقاً، فإن المعجمي كثيراً ما يجد نفسه في موقف العَرَّاف الذي لم تتحقق نبوءته؛ فها هو ريشليه (Richlet) يصرح في سنة 1680 بأن كلمة «Bref» باختصار «تشيخ بسرعة» أما كلمة actualité «الحوادث الجارية»، فلا مستقبل لها بحسب دو ساسي (De Sacy) كاتب مقدمة **معجم الأكاديمية** في طبعته سنة 1879، كما يفرض المُولَد الذي يُغَذي المعاجم، ويُبَررُ وجودها بطريقة أو بأخرى، على المعجميين اختيارَ موقف محدَّد، باستثناء تلك التي ترعى مصطلحات علم ما (كالطيران مثلاً) أو تلك المتخَصِّصة في اللغة؛ فها هو بيار لاروس (Pierre Larousse) يقترح في مقدمة **المعجم الجديد للغة الفرنسية** خلاصة جميلة للطريقة التي يمكن أن يستخدمها مؤلّف المعجم في معالجته المولَّد قائلاً: «على المعجمي أن يلاحظ وأن يتابع بدقة [هذا التغير] الذي تتعرض له اللغة وأن يُصَوِّرَ هذا التغير في اللحظة نفسها التي يكتب فيها [.] فالمعجم [.] يجب عليه ألا يُتابع من بعيد جداً وألا يسرع في خَطْوِه، بل ليَتَصرفْ مثل الخادم الذي يسير وراء سيده حاملاً بضائعه»

يؤكّد جوليان غرين (Julien Green) في مذكراته يوم 4 أيار/مايو 1943 أن «مأساة الكاتب تكمن في أن الكلمات لا يمكنها مسايرة الفكر لأنها تمشى علي قدمين. أما هو فيطير بجناحين». إذاً هل يمكن اعتبار المولَّد كلمةً تمشي بسرعة أكثر بقليل من السرعة المعتادة؟

الثبت التعريفي

اختصار (siglaison): اختصار المصطلحات الطويلة بالإبقاء على الحرف الأول من كلّ كلمة.

إسباق (préfixation): إضافة إحدى الزيادات في أول الوحدة المعجمية.

اشتقاق عكسي (conversion): توليد بحذف إحدى الزوائد.

اقتراض (emprunt): تبادل لغوي يتم بين اللغات.

اقتراض داخلي (emprunt interne): اقتراض يتم داخل اللغة نفسها، أي بين اللغة العامة وبين لغات التخصصات المختلفة أو بين هذه اللغات في ما بينها، أو ذلك الذي يتم بين اللغة الفصحى ولهجاتها.

اقتراض مُعدَّل (emprunt adapté): تعديل المقترضات لتناسب قواعد اللغة المُقترِضة

إلحاق (suffixation): إضافة إحدى الزوائد إلى آخر الوحدة المعجمية.

تداوليّة (pragmatique): وسيلة توليدية قائمة على تعديل في مكوّن أو أكثر من مكوّنات إحدى العبارات المسكوكة كالأمثال والشواهد القديمة.

ترخيم (abréviation) حذف جزء من الوحدة المعجمية اختصاراً.

ترخيم ابتدائي (aphérèse): حذف يلحق آخر الكلمة.

ترخيم نهائي (apocope): حذف يكون في آخر الكلمة.

ترخيم وسطي (syncope): حذف يكون في وسط الكلمة.

تركيب (composition): توليد وحدات معجمية بإضافة زائدة أو أكثر إلى الجذع.

تنَاصّ (intertextualité): علاقة الترددية بين النصوص.

توليد بالقلب (le verlan): توليد بقلب مقاطع الوحدة المعجمية مع إضافة بعض العناصر أحياناً.

توليد بتغيير المقولة النحوية (dérivation impropre): توليد بتغيير الطبقة النحوية من دون إحداث أدنى تغيير في الوحدة المعجمية.

توليد دلالي (néologie sémantique): توليد بإضافة معانٍ جديدة إلى وحدات معجمية قديمة.

توليد شكلي (néologie formelle): توليد بإضافة وحدات معجمية جديدة إلى معجم اللغة.

توليد صوتي (néologie phonétique): توليد بتغيير أحد أصوات الوحدة المعجمية وأيضاً ذلك القائم على المحاكاة.

توليد معجمي (néologie lexicale): توليد متعلق بوحدات المعجم.

جاوية (javanais): إضافة المقطع **av** في وسط الوحدة المعجمية.

شبه مركبات (parasynthétiques): الوحدات المعجمية التي تستقبل لواحق وسوابق في آن معاً.

شبه مورفيمات (pseudophonèmes): زوائد مقترضة من اللغتين الإغريقية واليونانية.

صَفَوِيون (puristes): الذين يدعون إلى المحافظة على صفاء اللغة وحمايتها من المولَّد.

عبارة مسكوكة (syntagme figé): العبارات المحفوظة.

لفظ بسيط أو مركب (lexie): مصطلح يطلق على الوحدات المعجمية بسيطها ومركبها.

مأسسة (institunationalisation): إقامة مؤسسات ترعى النشاط اللغوي وتشجعه وتقيده كالمجامع اللغوية مثلاً.

مجموعات مفتوحة (séries ouvertes): هي الوحدات المعجمية.

مجموعات مقفلة (séries fermées): هي الأدوات النحوية.

مركبات علمية (mots composés savants): وحدات معجمية مركبة بإضافة عناصر إغريقية أو لاتينية.

معنى جامع (archisémème): معنى يجمع بين كلمات ذات معانٍ خاصة.

مفردة مُشتَمِلة (archilexème): كلمة عامة تعبر عن كلمات ذات معانٍ خاصة لتسمية معانٍ جامعة.

مقترض دلالي (emprunt sémantique): معنى مقترض من لغة أجنبية.

مقترض شكلي (emprunt formel): وحدة معجمية أجنبية أو جزء من وحدة أجنبية.

مكوّنات علمية (formants savants): عناصر مقترضة من اللغتين الإغريقية واللاتينية.

مولَّد تصريفي (néologisme flexionnel): مُولَّد ناتج عن تغيير في الصيغة التصريفية للوحدة المعجمية.

مولَّد دلالي (néologisme sémantique): مُوَلَّد ناتج عن إضافة دلالية إلى كلمة موجودة في اللغة.

نسخ دلالي (calque sémantique): نسخ معانٍ من لغة أجنبية.

وحدات معجمية مركّبة (unités lexicales composé): وحدات مركبة من وحدتين بسيطتين فأكثر.

وحدة معجمية مركبة من كلمات وأدوات (synapsie): وحدة معجمية مركبة من وحدتين معجميتين بسيطتين أو أكثر تربط بينهما أداة نحوية.

وسائل التوليد الصرفية (procédés morphologiques): وسائل توليدية تقوم على تغيير شكل الكلمة لبناء أخرى جديدة.

وسائل نحوية دلالية (matrices syntaxico-sémantique): وسائل توليد تعمل على إحداث تغيير في تركيب الكلمة وفي دلالتها.

ثبت المصطلحات

اختصار	siglaison
إسباق	préfixation
استعارة	métaphore
اشتقاق	dérivation
اشتقاق عكسي	conversion
اقتراض	emprunt
اقتراض داخلي	emprunt interne
اقتراض مُعدَّل	emprunt adapté
إلحاق	la suffixation
تخفيف	euphémisme
تَدَاوُلِيَّة	pragmatique
ترخيم	abréviation
ترخيم ابتدائي	aphérèse

apocope	ترخيم نهائي
syncope	ترخيم وسطي
composition	تركيب
antiphrase	تضادّ
restriction et extension de sens	تضييق المعاني وتوسيعها
fausse coupe	تقطيع الخاطئ
intertextualité	تناصّ
le verlan	توليد بالقلب
dérivation impropre	توليد بتغيير المقولة النحوية
néologie combinatoire	توليد تركيبي
néologie sémantique	توليد دلالي
néologie formelle	توليد شكلي
néologie phonétique	توليد صوتي
néologie lexicale	توليد معجمي
javanais	جاوية
paronymie	جناس
discours	خطاب
parasynthétiques	شبه مركبات
pseudophonèmes	شبه مورفيمات
puristes	صَفَوِيون

locution	عبارة
syntagme figé	عبارة مسكوكة
mot simple	كلمة بسيطة
mot composé	كلمة مركّبة
antonomase	كناية
linguistique	لسانية
langue artificielle	لغة اصطناعية
lexie	لفظ بسيط أو مركب
institunationalisation	مأسسة
triangle sémiotique	مثلث سيميائي
tropes	مجاز
métonymie	مجاز مرسل
séries ouvertes	مجموعات مفتوحة
séries fermées	مجموعات مقفلة
onomatopé	محاكاة
mots composés savants	مركبات علمية
terminologie	المُصطَلحيّة
archisémème	معنى جامع
sèmes	معينمات
paradoxe	مفارقة

archilexème	مفردة مشتملة
emprunt sémantique	مقترَض دلالي
emprunt formel	مقترَض شكلي
formants savants	مكونات علمية
fonction phatique	مهمة شدّ الانتباه
morphone	مورفون
morphime	مورفيم
néologisme flexionnel	مولَّد تصريفي
néologisme sémantique	مولَّد دلالي
calque sémantique	نسخ دلالي
unité lexicale composé	وحدة معجمية مركّبة
synapsie	وحدة معجمية مركّبة من كلمات وأدوات
matrices morphologiques	وسائل توليد صرفية
matrices syntaxico-sémantique	وسائل نحوية دلالية

المراجع

Books

Auroux, Sylvain [et al.] (éds.). *La linguistique fantastique*. Paris: J. Clims; Denoël, 1985.

Benveniste, Emile. *Problèmes de linguistique générale*. [Paris]: Gallimard, 1974.

Bertrand, Olivier. *Du vocabulaire religieux à la théorie politique en France au XIVe siècle: Les néologismes chez les traducteurs de Charles V (1364-1380)*. Paris: [s. n.], 2002.

Bréal, Michel. *Essai de sémantique: Science des significations*. Paris: Hachette, 1897.

Brunot, Ferdinand. *Histoire de la langue française des origines à nos jours*. Paris: A. Colin, 1966-1979.

Chiflet, Jean-Loup. *Le dictionnaire des mots qui n'existent pas*. Paris: Presse de la Cité, 1992.

Corbin, Danielle. *Morphologie dérivationnelle et structuration du lexique*. Tübingen: M. Niemeyer, 1987. 2 vols.

Cottez, Henri. *Dictionnaire des structures du vocabulaire savant: Eléments et modèles de formation*. Paris: Le Robert, 1980.

Cusin-Berche, Fabienne. *Le management par les mots: Etude sociolinguistique de la néologie*. Paris: Harmattan, 1998

Depecker, Loïc. *L'invention de la langue, le choix des mots nouveaux*. Paris: A. Colin; Larousse, 2001.

Fodor, István et Claude Hagège. *La réforme des langues.* Hamburg: H. Buske, 1983.

François-Geiger, Denise. *La linguiste.* Paris: [s. n.], 1990.

Goudaillier, Jean-Pierre. *Comment tu tchatches!.* Préf. de Claude Hagège. Paris: Maisonneuve et Larose, 1997.

Gross, Gaston. *Les expressions figées en français: Noms composés et autres locutions.* Gap: Ophrys, 1996.

Gruaz, Claude. *Du signe au sens: Pour une grammaire homologique des composants du mot.* [Mont-Saint-Aignan]: Publications de l'université de Rouen, 1990.

Grunig, Blanche-Noëlle et Roland Grunig. *La fuite du sens: La construction du sens dans l'interlocution.* Paris: Hatier-CREDIF, 1986.

Guilbert, Louis. *La créativité lexicale.* Paris: Larousse, 1975.

Histoire de la langue française 1945-2000. Publ. par le CNRS, Institut national de la langue française; sous la dir. de Gérald Antoine et Bernard Cerquiglini. Paris: CNRS, 2000.

Jorif, Richard. *Le burelain.* Paris: F. Bourin, 1989.

Lab'ou Tansi, Sony. *La parenthèse de sang.* Paris: Hatier, [1971], 1981.

Une langue: Le francais. Paris: Hachette, 1976.

Martin, Robert. *Pour une logique du sens.* Paris: Presses universitaires de France, 1992.

Pergnier, Maurice. *Les anglicismes.* Paris: Presses universitaires de France, 1989.

Pruvost, J. *Dictionnaires et nouvelles technologies.* Paris: PUF, 2000.

Pruvost, J. *Les dictionnaires de langue francaise.* Paris: PUF, 2002. (Que sais je? no. 3622).

Quemada, B. (éd.). *Mots nouveaux contemporains. Matériaux pour l'histoire du vocabulaire français.* Paris: Klincksieck, 1993.

Rheims, Maurice. *Dictionnaire des mots sauvages.* Paris: Larousse, 1969.

Sablayrolles, Jean-François (éd.). *L'innovation lexicale*. Paris: H. Champion, 2003.

———. *La néologie en français contemporain : Examen du concept et analyse de productions néologiques récentes*. Paris: H. Champion, 2000.

Tournier, Jean. *Précis de lexicologie anglaise*. Paris: Nathan, 1991; 1991.

Ulmann, S. *Précis de sémantique francaise*. 4ème éd. Berne: A. Franke, 1952.

Walter, Henriette. *Le français dans tous les sens*. Paris: R. Laffont, 1988.

Periodicals

«Aspects de la néologie lexicale dans le Journal de la langue française (1784-1795)». *Linx*: vol. 2, no. 7, 1982.

Cellard, J. «Les mots nouveau-nées.» *Universalia*: 1980.

Clas, A. «Une matrice terminologique universelle: La brachygraphie gigone.» *Méta*: vol. 3, no. 23, 1987.

François-Geiger, Denise. «Connivence et interlocution.» *Linguistique*: no. 26, fasc. 2, 1990.

Humbley, John. «Vers une typologie de l'emprunt linguistique.» *Cahiers de lexicologie*: vol. 25, nº2, 1974.

Leclerq, H. «A propos des néologismes d'origine Grecque.» *Les études classiques*: no. 44, 1976.

Matoré, Georges. «Le néologisme: Naissance et diffusion.» *Le français moderne*: t. 20, 1952.

Picone, M. D. «L'impulsion synthétique : Le français poussé par la synthèse.» *Le français moderne*: vol. 2, nº59, 1991.

Pohl, Jacques. «Néologie à rebrousse-temps.» *Cahiers de lexicologie*: no. 63, 1993.

Rey, Alain. «Néologisme: Un pseudo- concept?» *Cahiers de Lexicologie*: no. 26, 1976.

Rey-Debove, J. «Prototypes et définitions.» *DRLAV*: no. 41, 1989.

Riffaterre, M. «La durée et la valeur stylistique du néologisme.» *The Romantic Review*: vol. 44, 1953.

Sablayrolles, Jean-François. «Fondements théoriques des difficultés *pratiques du traitement* des néologismes.» *Revue française de linguistique appliquée*: vol. 7, juin 2002.

Tournier, Maurice. *Mots, Les langages du politique:* no. 68, mars 2002.

الفهرس

ـ ب ـ

ـ ت ـ

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

- ن -

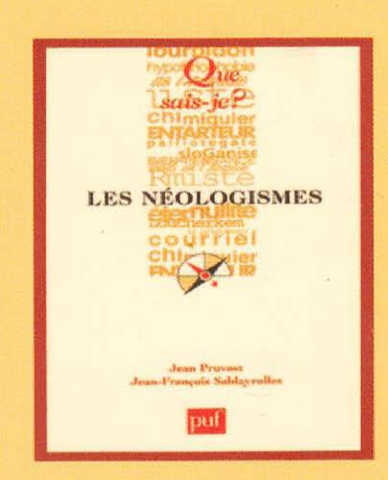
- هـ -

- و -

- ي -

المولَّد

دراسة في بناء الألفاظ



هذا الكتاب بحثٌ في بناء الألفاظ، وفيه سعيٌ إلى الإجابة عن أسئلة عديدة يطرحها التوليد:

كيف تُولَد الكلماتُ أو الاستعمالاتُ الجَديدة لِكلمات قديمة؟

كيف تَتَكوَّن؟

ما هي استخداماتها الأدبية؟

ما هي الطُّرُق التي تَدخل بها إلى المعاجم؟

لا شك في أنّ المُوَلَّد يشكِّل جزءاً من حياة كل المتكلمين والقراء والمستمعِين والكتّاب، لذا فإن على اللغة نفسِها أن تَسمح بالتوليد حتى لا تموت.

• **جان بريفو**: أستاذ اللسانيات في جامعة دو سيرجي ـ بونتواز. له مؤلفات عديدة منها: **قواميس اللغة الفرنسية** (*Les dictionnaires de langue française*).

• **جان فرانسوا سابليرول**: أستاذ اللسانيات في جامعة باريس 7.

• **خالد محمد جهيمة**: عضو في مركز البحث في المصطلحية والترجمة في كلية اللغات في جامعة ليون 2.

• أصول المعرفة العلمية
• ثقافة علمية معاصرة
• فلسفة
• علوم إنسانية واجتماعية
• تقنيات وعلوم تطبيقية
• آداب وفنون
• لسانيات ومعاجم

المنظمة العربية للترجمة



ISBN 978-9953-0-1834-8
9 789953 018348

الثمن: 8 دولارات
أو ما يعادلها